

خلاصة المتنون فى أبناء ونبلاء اليمن الميمون

للسيد العلامة المؤرخ الشهير

محمد بن محمد بن يحيى زياره

الجزء الثالث

إنقراض الدولة الرسولية وإببناء الدولة الطاهرية
إلى سنة ١٠٠٠ هـ

الطبعة الاولى
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

حقوق الطبع محفوظة

YEMENI HERITAGE
& RESEARCH CENTRE



مركز التراث
والبحوث اليمنية

ص.ب ١٣١ ريتشموند ، ساريك - بريطانيا
P.O. Box 131 Richmond, Surrey TW92LG, Great Britain

نسخه وحققه وأضاف إليه
مفتي الجمهورية اليمنية
أحمد بن محمد زبارة
نجل المؤلف

أشرف على طباعة هذا الجزء
زيد بن علي الوزير

طُبِعَ على نفقة الأستاذ
حمدي نجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو الجزء الثالث

من « خلاصة المتون في أنباء ونبلأ اليمن الميمون »
للسيد العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة رضي الله عنه
من مصادره :

« أنباء الزمن » و"المستطاب" للسيد يحيى بن الحسين بن القاسم
و"مطلع البور" للقاضي أحمد بن صالح أبي الرجال
و"طبقات الزيدية" للسيد صارم الدين إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بن القاسم
و"قرة العيون" .. "وبغية المريد" للقاضي عبد الرحمن الديبع الزبيدي
و"الزحيف شرح البسامة" للقاضي محمد بن علي الزحيف
و"الترجمان شرح البيان" للقاضي ابن مظفر و"البدر السافر في رجال القرن العاشر"
وسير لبعض الأئمة منها : "سيرة الإمام شرف الدين"
و"البرق اليماني" لقطب الدين الحنفي و"الجامع الوجيز" للمولى أحمد بن عبد الله الجنداري
و"المواهب السنية" للسيد الحسن بن عبد الرحمن شرف الدين
و"روح الروح" للسيد عيسى بن لطف الله .. وذيله ، ونبذة تاريخية للسيد أحمد بن أحمد المطاع
الشهيد بحجة سنة ١٣٦٧ هـ (الف وثلاثمائة وسبع وستين) .
وغير ذلك ...

بقلم ابن المؤلف
أحمد بن محمد زبارة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب المؤلف الباحثة المخلص العلامة " محمد بن محمد زبارة " رحمه الله في أول بعض مؤلفاته هذه الأبيات مؤرخاً سنة ١٣٧٦ هـ (الف وثلاثمائة وسبع وستين) .

جُبلتُ على الصراحة في التواصي
بحق والنصيحة لا أباهي
وتنكيري لأولادي ونفسي
وأخواني بآيات التناهي
وعزوي كل أبحاث حوتها
مجاميعي إلى الراوين ماهي
على أسلوب أسلاف حراس
على الأسناد تجتنب المناهي
وأوجبت الحمية طبع باقي
مجاميعي وأبحاثي كما هي
وأرجو خالقي تحقيق سؤلي
وسؤلي العام (يغفر لي إلهي)
١٣٧٦ هـ

وصحيح أن كتابته بأمانة وبراعة بدون غرض أو سياسة . ينقل عبارة المؤرخين كما هي، فكتبه مادة خام صحيحة على أسلوب الأوائل الثقات. ويمكن أن يصيغها عصريون بأسلوبهم بقدر فهمهم وإطلاعهم ، لكن يمكن أن يخالفهم في الفهم والإطلاع غيرهم ، فيختلف التاريخ ويضطرب، لأن لكل كاتب فهماً واتجهاً كما يقال: (الأخبار شقوق) فإبقاء عبارة الأولين أضمن لصحة التاريخ على حقيقته ، فليس التاريخ مثل سائر الفنون كعلوم العربية والأدب والفقه وغيرها التي يمكن أن تكون صياغتها بعبارة عصرية أحسن وأوضح (كالنحو الواضح) مثلاً فالأضمن لصحة التاريخ بقاء وقائعه كما هي، لا سيما الواقعة قبل قرون مخالفة لمقياس العصر .

أحمد محمد زبارة

إنقراض الدولة الرسولية وإبتداء الدولة الطاهرية

أنباء سنة ٨٥٨ هـ

(ثمانمائة وثمان وخمسين)

وما بعدها الى عام ٨٦٤ هـ (ثمانمائة وأربع وستين)

في سنة ٨٥٨ هـ (ثمانمائة وثمان وخمسين) إنقرض ملك بني رسول وزال من الوجود بعد أن ملكوا معظم البلاد اليمنية مئتين واثنين وثلاثين سنة وامتد ظل ملكهم على جبال اليمن وتجاوز إلى الحجاز إبان مجده كما سبق في الجزء الذي قبل هذا. ثم شاخ ملكهم وأصيب بالداء العضال، فتداعى بنيانه وأصبح في خبر كان، وما ذاك إلا للبطر واتباع الأهواء والاسترسال في الغفلة والملذات والجور والعدوان وتفرق الكلمة للضغائن والحسد ومحبة الاستثناء وسقوط الأخلاق الفاضلة فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول، وكان قد سار في هذه السنة ٨٥٨ هـ (ثمانمائة وثمان وخمسين) المؤيد الرسولي فاراً من زييد إلى عدن ولاية بني طاهر عمال بني رسول على مناطق عدن، فقصده بنو طاهر وأخذوا ما بيده، ثم سار المسعود الرسولي إلى عدن، فضايقه بنو طاهر، حتى خلع نفسه في ٦ جمادى الآخرة سنة ٨٥٨ هـ (ثمانمائة وثمان وخمسين)

ابتداء الدولة الطاهرية

كان من أكابر أمراء دولة بني رسول آل طاهر بن معوضه بن محمد بن سعيد بن عامر بن مسعود بن وهب، وبعد أن اشتعلت نيران الخلاف والتنازع بين بني رسول كما سبق هب آل طاهر من مكانهم لإذكاء جمرها لمناصرة هذا والإخلاص لذاك على ذلك، حتى أزالوا كل عقبة وكانت الرئاسة في آل طاهر للأخوين "علي" و"عامر" ابني "طاهر بن معوضه". ثم تلقب علي (الأكبر) بالملك المجاهد، وعامر (الأصغر) بالملك الظافر ويرجح بعض المؤرخين أن نسبهم إلى بني أمية القرشيين.

وسار الملك الظافر عامر بن طاهر إلى تعز ثم موزع ثم إلى زييد فدخلها دخولاً معظماً وخطب له على منبرها في ١٢ ذى الحجة سنة ٨٥٩ هـ (ثمانمائة وتسع وخمسين) واستمرت له الخطبة مع أنه أصغر من أخيه الملك المجاهد علي وسار المجاهد إلى عدن. ولما كان الناس في عناء من القوضى وتنازع بني رسول ومن عبث المماليك وتغلب القوي على الضعيف فما سمعوا نبأ نهضة آل طاهر إلا واشربت لها أعناقهم وعظم فيها رجاؤهم. . وكان بزييد الأمير جيش السنبلي قد ترلّف إلى الملك

المجاهد والملك الظافر ، فجعل يفتك بالعييد بزييد ويستأصلهم كما هو الشأن في الإقبال والأدبار . ولما استراح الملك الظافر عامر من شرور العييد بعث إلى المعازبه بوادي رمع يحذرهم الفساد وقطع الطرق ، فاستمروا في غيهم وكانوا عتاةً . وكان قد وصل الملك المجاهد (علي) إلى أخيه بزييد من عدن فنهض المجاهد من زييد إلى المعازبه فاستعدوا لقتاله ولما استعر القتال فشل جند المجاهد ونكص على عقبه وهلك بعض رجاله ، فركب جواده إلى زييد وأقام الأخوان بها . ثم في سنة ٨٦١ هـ (ثمانمائة وواحد وستين) غزا المجاهد المعازبة فأخضعهم .

وفي سنة ٨٦١ هـ (ثمانمائة وواحد وستين) غزا الأمير أبو "دجانه محمد بن أسعد بن فارس" أمير الشَّحَر بعدة مراكز بحرية إلى عدن ، فلما قرب منها عصفت بمراكبه الرياح ، فتحطم اثنان منها وحاول النجاة بنفسه ، فتحطم مركبه وقذفه الأمواج إلى الساحل ، فجيء به أسيراً على جمل إلى الملك الظافر عامر وكان قد خفَّ إلى عدن عند أن بلغه غزوها ، فجاءه النصر من حيث لا يحتسب وهكذا اقبال الدولة في أولها ، وفي سنة ٨٦٢ هـ (ثمانمائة وإثنين وستين) قبض المجاهد على جماعة من قبيلة القرشيين بتهامة وبعث بهم إلى المقرانة في بلاد رداع بعد أن صادرهم بعشرين ألف دينار ، وفيها سار الإمام "الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر المظلل بالغمام بن يحيى" ، وأمّه هي الشريفة "مريم بنت الإمام علي بن صلاح الدين" كما سبق . . سار إلى بلاد بني طاهر من صعدة فالتقاء الملك الظافر ووقع الصلح بينهما .

وفي سنة ٨٦٤ هـ (ثمانمائة وأربع وستين) خطب للملك المجاهد "علي" على منابر تعز وزبيد وغيرهما وضربت السكة باسمه بأمر أخيه الظافر عامر إيثاراً لأخيه الأكبر وهكذا القبول قبل الدبور .

وفيات ٨٦٣ هـ

(ثمانمائة وثلاث وستين)

"المطهر بن كثير الجمل"

فيها توفي بصنعاء العلامة الكبير "المطهر بن كثير الجمل" قال القاضي "أحمد بن صالح أبو الرجال" في "مطلع البدور" : إنه العالم الكبير والفاضل الشهير ، متفنن في جميع العلوم . وهو مصنف "المعراج" ومُتمم "جامع الخلاف" ومُحقق "المنطق" حتى بالغ بقوله : أن دجاجه يعرف المنطق من كثرة تحقيقه له .

ولما وصل الدماميني الشافعي إلى صنعاء وهو يدرس في العلوم قال :

إنى رأيت عجيبة في ذا الزمن
شاهدتها في وسط صنعاء اليمن
أن تسألوني ما رأيت فإنه
جمل بها يُقري الورى في كل فن

وقرأ عليه جلة من السادات منهم السيد "صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير" والسيد "عماد الدين يحيى بن صلاح" وغيرهما وله رسائل في الوسوسة ومن فضائله أن قبر المنع في حدة وكان المهاير من القبائل يضعون ريحاناً بينهم ويرقصون عليه مع النساء ويتقلون في البلاد ويفعلون منكرات كباراً، فلما وصلوا إلى حدة وهو بها، أنكر عليهم ودفن ريحانهم في التراب فسمي أهل حدة قبارة المنع .

قال "عبد الله بن الإمام شرف الدين" : وسمعت كتابه الأصول على سيدنا الفقيه "بشر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الطُّرِّي" .

"يحيى بن أحمد مرغم"

وفيها توفي القاضي العلامة "يحيى بن أحمد بن علي مرغم" شارح «البحر الزخار» .

أنباء سنة ٨٦٥ هـ

(ثمانمائة وخمس وستين) وما بعدها

فيها نهض الإمام "الناصر بن محمد" من دمار إلى رداع ، فالتحم القتال بينه وبين بني طاهر، فصبر جند الناصر وانهزم جند بني طاهر، ورجع جند الناصر إلى دمار بالنصر والغنيمة، ثم نهض الملك المجاهد علي بن طاهر بجيوش واسعة لمقاتلة الناصر بدمار، فضرب قبايه خارج دمار، فلم يستطع الناصر مقابلته وخرج من دمار إلى هران وخرج أعيان دمار إلى المجاهد فأمنهم ودخل المدينة بدون قتال وأخذ ما بها من أموال بيت المال وهدم القصر وبعض الدور ولم ينل أحداً من الناس مكروه ، ثم رجع إلى بلاده واستخلف على دمار ابن أخيه علي بن تاج الدين وأما الناصر فغادر هران بأهله وأولاده إلى صنعاء وأعطى القبائل شيئاً من القنود والثياب .

وفي سنة ٨٦٦ هـ (ثمانمائة وست وستين) تجهز الملك الظافر عامر إلى الشحر وبلادها، فقرر أمورها- وكان تجهزه إليها من عدن على طريق الساحل- وشحن المراكب في البحر بالعتاد والذخيرة فاتفق أن المراكب تعوقت فكاد الظافر وجنوده أن يهلكوا عطشا وانقطعوا عن السير حتى أغاثهم الله بسيل من بعيد، فشريوا منه وحملوا منه وساروا إلى الشحر بدون

قتال واستخلف عليها وسار إلى ظفار الجبوضى وكانت الجنود قد سبقته إليه بقيادة الشيخ عبد الملك بن داود، فعاثوا وأفسدوا، فلما وصل الظافر أمنهم وكف أيدي العابثين واستخلف على ظفار من قبله وجعل لصاحب ظفار حق الإشراف على عامله وقفل راجعاً إلى عدن.

ولما كان الناصر في طريقه من ذمار إلى صنعاء فأراً من الظافر إستقبله أهل عرقب وأظهروا له الاستبشار به وأضافوه فأنزلوه حصنهم وفرقوا أصحابه في القرى، فلما صار في قبضتهم، جعلوا ضيافته الوثائق مع بعض أصحابه وكتبوا إلى الإمام المطهر بن محمد بن سليمان بن محمد وهو عدوه المعارض له يشرونه بقبضه، فأسرع في طائفة من جنده فاستلمه وسار به نحو صنعاء، فأراد جند الناصر استنفاذه، فلما علمت الشريفة «فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين» وهي عدوة الناصر وسجيته بدارها بصنعاء بعد أن أسرها من صعدة، خافت أن يخلص الناصر من الأسر، فأوحت إلى خدماها أن يصيحوا باسم الإمام المطهر من سطح دارها فارتاع جند الناصر وظنوا أن المطهر قد احتل صنعاء، ثم عادوا وهاجموا دار الشريفة فاطمة لينهبوها وكان «محمد بن الناصر» نائب والده الناصر بصنعاء فكفهم عن النهب وزجرهم وكان شهماً حازماً صبوراً فقدر على الثبات في أخرج الأوقات وسار المطهر بالناصر إلى كوكبان ثم حصن العروس، حيث مات به سنة ٨٦٨ (ثمانمائة وثمانين وستين) وكان كريماً ماجداً ممن مدحه الأديب ابن العطاء الإبي بقصيدة عامرة منها:

إلى من للخلافة منه زهو نميس به ولا زهو العروس
أمير المؤمنين ومن يرجى لدفع شدائد الدر العبوس
فمدح الناصر بن محمد لي شعاري وهو ملبوس لبؤسي

.. إلخ

فأجازه بجملة من الذهب والملبوس النفيس - وقد أورد الزحيف في «شرح البسامة» نبذة من مدائحه وأطال الثناء عليه - وأما والدته الشريفة "مريم بنت علي بن صلاح الدين" فتوفيت بصنعاء في صفر سنة ٨٧٢ هـ (ثمانمائة وإثنين وسبعين) وقبرها في قبة والدها وجدها جوار مسجد صلاح الدين غرباً - أما قبر ابنها الناصر فإنها نقلته من العروس على أعناق الرجال ودفنته بالقبة .

ولما قبض أهل عرقب على الناصر وأرادوا إرساله إلى السلطان عامر مقابل فلوس صاح فيهم فقيه هذوي لا تهدموا المذهب بتسليمه إلى عامر ولكن سلموه إلى الإمام المطهر، ففعلوا وقد سبقت سيرة الناصر ومعارضيه .

"الإمام المؤيد محمد بن الناصر"

هو محمد بن الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المتوكل المطهر المظلل بالغمام بن يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي . . إلخ المولود في سنة ثمانمائة وثلاث وخمسين وقيامه في سنة ثمانمائة وثمانين وستين ووفاته في سنة ٩٠٨ هـ (تسعمائة وثمان) والذي تربى في حجر الخلافة بصنعاء وأحرز شريف الخصال.

قال صاحب البسامة:

وَقَدْ أَمَرَ مَلِكٌ مِنْ بَنِي حَسَنٍ ماضٍ عزائمه من خيرة الخير
مؤيداً أيدَ الدين الحنيف به لواؤه خافق بالنصر والظفر
سل عنه أخبر به أنظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والبصر

قال الزحيف في شرحه للبسامة : هو الخليفة الأفضل طراز العزة المكلل العالم العامل العادل المؤيد بالعزیز القاهر محمد بن الناصر بن محمد بن الناصر ، وقال صاحب «أنباء الزمن» إنه لما كان أسير والده الناصر خاف على صنعاء من الإمام المطهر وهمدان فكتب إلى الملك الظافر عامر وبذل له تسليم صنعاء إلى مقابل خمسين ألف دينار فأجابه الظافر إلى ما طلب فسلم القصر إلى رسول الظافر وانتقل إلى الدار التي كانت بها الشريفة «فاطمة بنت الحسن» ثم وصل الأمير "عبد الوهاب بن داود بن طاهر" عاملاً لعمه الظافر على صنعاء وجعل للإمام "محمد بن الناصر" قُرى حول صنعاء . وعظم ملك آل طاهر واستولوا على بعدان وبعض الجبال وخطب لهم على منبر صنعاء . وتملك صعدة في هذه الأيام الأمير "الحسين بن علي بن قاسم الحمزي" ، ثم في سنة ٨٦٧ هـ (ثمانمائة وثمانين وستين) وصل الملك الظافر عامر إلى صنعاء في ألف فارس وعسكر كثير ، فتلقيه أهل صنعاء وقبائل همدان ودخل صنعاء دخولاً معظماً وأقام بها مدة ، وأمر طائفة من جنده بحرب أهل ذهبان شمالي صنعاء وقبض جماعة منهم . وأمر بقطع أشجار قرية حدة وأخرب بيوتها لامتناعهم عن تسليم ما عليهم ثم صالحهم على مال وأكرم الشيخ "علي حسن الهمداني" وأمره بالحرب على ذي مرمر وفيه الأمير "محمد بن عيسى شارب الأسدي" من أصحاب الإمام الناصر ودامت الحرب سجالاً ثم سار الظافر إلى بلاد بعدان فدوخها ، وفيها استعمل المجاهد «علي» أخاه عبد الملك بن طاهر على

زيد فُقل إلى المجاهد أن عبد الملك تسامح في أمر الملاهي التي كانت فاشية فغضب المجاهد وكان رجلاً ورعاً وتقياً وعزل عبد الملك فسار إلى الظافر شاكياً من المجاهد فغضب المجاهد وخرج من زيد على جمل مستخفياً يريد العزم إلى مكة فخرج علماء زيد وتشفعوا إليه بالقرآن الكريم أن يرجع فرجع برهة قصيرة ثم ركب البحر إلى الحديد فاستقبله عاملها ورجاه العود في البحر إلى زيد فلم ينزل بها واتجه نحو الهند فعصفت الريح بمركبه إلى عدن فبادر العامل إلى استنقاذه إلى عدن فهرع إليه أخوه الملك الظافر وبذل كل مجهود في استرضائه حتى طابت نفسه .

وفي سنة ٨٦٩ هـ (ثمانمائة وتسع وستين) خاف الظافر من وثوب "محمد بن الناصر" على صنعاء فكتب إلى عامله بصنعاء "محمد البعداني" في إرساله إليه، وعلم "محمد بن الناصر" أن الظافر سيحبسه إلى الممات فاستغاث "محمد بن الناصر" بأميره "محمد بن عيسى شارب" فتحمس مع أهل صنعاء وانتهوا إلى دار العامل البعداني واحتشدوا أمام دار "محمد بن الناصر" وخرج راكباً على جواد فاحتل القصر وصنعاء وانتهب أصحابه دار العامل ودار يحيى الكواز من أعظم رجال بني طاهر وأخذوا منهما أموالاً جلية جداً وطلب من بالقصر الأمان وبعضهم فروا فتمجهر الظافر بجنود كانت حول صنعاء فجنح محمد بن الناصر إلى الصلح وعاد الظافر راجعاً إلى بلاده وكان جنود الظافر قد دمروا ما حول صنعاء من الدور والحدائق الجامعة لأنواع الأشجار وطمسوا الآبار والأنهار واتصل إفسادهم بناحية ذي مرمر وهدموا فيها شيام سخيم الذي قال فيه الهمداني في الأكليل أنه من المصانع الحجرية والعبرة لمن اعتبر، وفي أثناء حصار الظافر لصنعاء التمس منه جنده الإذن بمسيرهم إلى بلادهم لعيد الأضحى فأذن لهم ورجع إلى المقرانة برداع على نية العود فأعان أهل صنعاء "محمد بن الناصر" بأربعة آلاف أوقية فضة وجبوب وجنود للجهاد، وفي أول سنة ٨٧٠ هـ (ثمانمائة وسبعين) زحف الظافر بقوة وجنود كثيفة نزل حول صنعاء يقطع الأشجار ويدمر البنيان ويطم الآبار والأنهار وشاركه "محمد بن المطهر بن محمد" بمن عنده من عسكر كوكبان، فمن الأنهار التي طمها "مجارى غيلي آلاف" و"البرمكي" وكانا يفيضان بالخير على صنعاء وما حولها وبينما "محمد بن المطهر" معه في عملها إذ انتهز "محمد صلاح الضريوه" خلو كوكبان فوثب عليه وحاول أسر الإمام "المطهر بن محمد من كوكبان" ولكن قبائل همدان والاهجر والعروس نجدوا الإمام وقتلوا من أهل ثلا وأسروا رئيسهم الضريوه فسجنه الإمام بكوكبان، ولما علم "محمد بن الامام المطهر" استغاث بالظافر فجهزه على ثلا فقتل من أهلها وخرّب جانباً منها وسار إلى والده بكوكبان ثم عاد برؤس القتلى إلى الملك الظافر، ثم اتجه الظافر إلى مأرب ثم إلى رداع ثم عدن .

تجهز الظافر على صنعاء أخيراً وقتله حولها

بينما الملك الظافر بعدن وصلته كتب من صنعاء بأن يادر فخفته الأحلام الكاذبة ونهض مسرعاً وكان كما قيل :

وَلَكُمْ مِنْ سَيِّئِ لِيَصْطَادَ فَاصْطَبِدْ وَلَمْ يَلَقْ غَيْرَ خُفْيِ حَنْبَيْنِ

فحاصر صنعاء فأغلق "محمد بن الناصر" أبوابها واستعجل حضور "محمد بن عيسى شارب" فأقبل بطائفة من ثلاثين فارساً فقط وكان يرتب قرن عتر ظفار وغيره من الحصون ورأى من جنود الظافر ما يدهش الأبواب ولكنه غامر ودخل صنعاء فثارت حماسه وطائفته مع أهل صنعاء ففتحوا الأبواب وانقضوا على جنود الظافر فكانت معركة حامية قُتل فيها الملك الظافر وفر جنوده ليلوون على شيء فامتلات أيدي أهل صنعاء ومن معهم من الغنائم وتم لمحمد بن الناصر مُلك صنعاء ومخاليقها وسالمتة الأيام ودان له الخاص والعام وأجبه الناس وشكروا عدله حتى أنه مرض فندر الناس بالصوم فلما برىء قال شاعراً ومستشهداً :

نذر الناس يوم برئك صوماً غير أني نذرت وحدي فطراً

عالمًا أن يوم برئك عيِّد لأرى صومه وإن كان نذراً

ودام ملكه لصنعاء أربعين سنة إلى وفاته سنة تسعمائة وثمان لم يحدث إلا أن الأمير الهادي بن الحسين بن القاسم الحمزي بعد أن سمع قتل الظافر زحف من صعدة بقوة إلى همدان وعضده الإمام المطهر بن محمد بن سليمان وابن الأنف صاحب طيبة وتقدم الجميع لحرب صنعاء، فقابلهم المؤيد "محمد بن الناصر" وأصدقهم القتال بقوة وثبات، فعادوا أدراجهم وقتل الهادي بن الحسين في الجوف وسار "محمد بن الناصر" إلى الجوف وكاد يتغلب على أشرف الزاهر لولا مؤامرة وممالة حصلت فعاد إلى صنعاء وخفف الجند بها ونشر العدل .

حالة بني طاهر بعد قتل الظافر

لما طار خبر مقتل الظافر اضطربت على أخيه الملك المجاهد البلاد وثار الخلاف فيها فانقطع طمعه في دمار وصنعاء واشتغل بإصلاح تهامة واليمن الأسفل ، وملك دمار الإمام المطهر بن محمد إلى وفاته سنة ٨٧٩ هـ (ثمانمائة وتسع وسبعين)

أنباء ٨٧١ هـ (ثمانمائة وواحد وسبعين)

فيها نهض الملك المجاهد من عدن إلى المقرانة ثم جبلة ولما بلغه اضطراب المعازبة هرع إلى زيد ثم بيت الفقيه ابن عجيل وشن عليهم الغارات قتلاً وأسراً حتى أثخن فيهم وخضعوا إلى سنة ٨٧٣ هـ (ثمانمائة وثلاثة وسبعين) فتحركت قبيلة الرماة فقصدتهم عامله

على زيد أبو سفيان فقتل منهم مائة رجل وأسر خمسين من أعيانهم ونهب كثيراً من ماشيتهم واتجه إلى بيت الفقيه الزيدية فأخضعها وقتل رئيسهما ابن حفيظ ورجع إلى زيد، وفي سنة ٨٧٤ هـ (ثمانمائة وأربعة وسبعين) عادت المعازبة إلى الشغب فخرج أبو سفيان بعسكر عظيم فنهبوا أموالهم وقتلوا منهم جماعة . ثم سار عنهم إلى بيت الفقيه الزيدية وكانوا بعاملهم ابن السنبل فبرزوا لقتاله ودارت رحى الحرب، فقتلوا أبا سفيان ومثني من أصحابه بعد أن قُتل منهم كثير . وفيها تمردت قبيلة الرماة فخرج إليهم المجاهد بنفسه وقتل منهم ونهب مواشيهم حتى صالحوه على خمسة وثلاثين فرساً ثم نهض إلى بلاد بني حفيظ فصالحوه ورجع إلى زيد فقتل أمورها القاضي شرف الدين محمد بن الأحمر وسار إلى عدن فعادت قبائل تهامة للشقاق واضطروه للرجوع لمنازلتهم ، فاستمرت الحرب بينهم سجلاً .

وفي الزحيف وغيره أن قتل الملك الظافر حول صنعاء شبيه بقتل علي بن محمد الصليحي في المهجم في قوته الجبارة وقيل فيه أشعار منها قول محمد بن عبد الله الوزير والد صارم الدين :

ديار الحي من كنفـي أزال سالتك
 كيف قتل العامرية
 غداة أتوا على صنعاء بجيش
 أجش وبالظى والسـمـهـريه
 غزاة عامر وبنو أبيه
 كمـاة بالطلى والسـابـرية
 غزاة من رى عدن ولحج
 ومن مـخلاف جعفر بالعنية
 أحاطوا بالمدينة حين جاءوا
 إحاطة هالة الشمس المضئية
 وكادوا يفلسون الدرب لـما
 رأوا من أهل صنعاء ضعف فيه
 فجاءت غارة الباري علينا
 وغاراه رينا ليست بطيه
 وسر تلاوة القرآن لـما
 تولى عند الصباح وفي العشية
 وسر محمد المختار فينا
 وعثرته المباركة الزكية
 ألم تر عامرا في يوم صنعاء
 تلى كبره والعنجهية
 وأخرب دورنا وجنى علينا
 جناية مستـخف بالرزية

نَفْسُهُ مَعَ النَّفْسِ الْاِيْمَةِ

وسَيَّأَتَى فِي سَنَةِ ٩٢٣هـ (تِسْعَمِائَةِ وَثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ) قَتَلَ الْمَلِكُ "عَامِرَ عَبْدِ الْوَهَّابِ الطَّاهِرِي" فِي أَكْمَةِ الزَّيْبِ حَوْلَ صَنْعَاءَ مُشَابِهَةً لِهَذِهِ، وَفِي سَنَةِ ٨٧٤ هـ (ثَمَانِمِائَةِ وَارْبَعَةِ وَسَبْعِينَ) سَارَ عَزَّ الدِّينُ بْنُ حَفِيزٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَقَارِبِهِ إِلَى الْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ عَلِيِّ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ أَثْنِي عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ يَتَأَلَّفُونَ بِهَا قِبَائِلَ تَهَامَةٍ وَلَمَّا وَصَلُوا بِهَا إِلَى قِبَائِلِ الرَّمَاةِ وَثَبُوا عَلَيْهِمْ وَانْتَهَبُوا جَمِيعَ مَا مَعَهُمْ مِنْ مَالٍ وَخَيْلٍ، فَخَرَجَ الْمُجَاهِدُ مِنْ زَبِيدَ غَازِيَا لِلرَّمَاةِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَمَانِينَ رَجُلًا وَنَهَبَ مَوَاشِيَهُمْ ثُمَّ غَزَاهُمْ غَزْوَةً أُخْرَى .

وَفِيهَا ظَهَرَ كُنْزٌ عَظِيمٌ أَكْثَرُهُ مِنَ الذَّهَبِ الْأَشْرَفِيِّ الرَّسُولِيِّ فِي قَرْيَةٍ وَاسِطَةٍ مِنْ قَرْيٍ وَادِي زَبِيدَ، فَشَدَّتْ إِلَيْهِ الرِّحَالُ وَأَبَاحَ الْمُجَاهِدُ لِلنَّاسِ مَا وَجَدُوهُ .

وَفِي سَنَةِ ٨٧٥ هـ (ثَمَانِمِائَةِ وَخَمْسَةِ وَسَبْعِينَ) عَادَتِ الْمَعَاذِبُ بِتَهَامَةٍ إِلَى سِيرَتِهَا مِنَ الْفَسَادِ فَنَهَضَ لِحَرْبِهِمْ عَامِلُ بَيْتِ الْفَقِيهِ الْحَبَشِيِّ وَكَرَّرَ الْغَارَاتِ عَلَيْهِمْ وَالْإِيقَاعَ بِهِمْ .

وَفَيَات

"أَبُو الْعَطَايَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى"

فِي سَنَةِ ٨٧٣ هـ (ثَمَانِمِائَةِ وَثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ) تَوَفَّى السَّيِّدُ الْإِمَامُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْمُطَهَّرِ الْحُسَيْنِيِّ الزَّيْدِيِّ نَسَبًا وَمَذْهَبًا عَنْ ٦٣ سَنَةٍ وَتَرْجَمَتْهُ فِي طَبَقَاتِ الزَّيْدِيَّةِ طَوِيلَةً . وَفِي مَطْلَعِ الْبَدْرِ قَالَ : وَكَانَ إِمَامًا عُلَمَاءَ الْعَتَرَةِ الْكَرَامِ فِي زَمَانِهِ وَمُفَسِّرَهَا وَمُحَدِّثَهَا وَمُلْحِقَ الْأَصَاغِرِ بِالْأَكْبَارِ، تَخَرَّجَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ وَانْتَفَعُوا بِهِ ، وَلَا تَفِي عِبَارَةٌ بِأَوْصَافِهِ وَكَرَامَاتِهِ وَمَا قِيلَ فِيهِ :

أَبَا الْعَطَايَا يَا مُصْلِحَ الْهُدَى

لَا زِلْتَ فِي خَيْرٍ مِنْ الْبَارِي

مَتَّوْجًا تَاجَ التَّقَى وَالنَهَى

وَعَارِيًّا مِنْ حُلَّةِ الْعَارِ

وَمِنْ تَلَامِيذِهِ السَّيِّدُ «مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَزِيرِ» وَابْنُهُ صَارِمُ الدِّينِ قَرَأَ عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِ نُصَيْرٍ مِنْ سَاحَاتِ الْقُطَيْعِ بِصَنْعَاءَ وَهُوَ مَسْجِدُ أَبِي الْعَطَايَا وَقَالَ فِيهِ الْإِمَامُ "عَزَّ الدِّينُ بْنُ الْحَسَنِ" : الْعَالَمُ الشَّهِيرُ الْفَاضِلُ الْكَبِيرُ، دَرَسَ بَعْدَ فَنَاءِ سَنَةِ ثَمَانِمِائَةٍ وَارْبَعِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَقَبْلَ الْفَنَاءِ عَشْرِينَ سَنَةً وَكَانَ مُجْتَهِدَ زَمَانِهِ . وَرِثَاهُ السَّيِّدُ صَارِمُ الدِّينِ "إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ الْوَزِيرِ" بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

يا شيبۃ الحمد من أبناء فاطمة
ويا بقیة اخیار وأحبـل
علامة العصر فرد الشعر واحد
فلا یجاریه ذو علم بمضمـل
محقق في فنون العلم مجتهد
وأوحد في المعالي قاری قاری

"یحیی بن أحمد مظفر" « مؤلف البیان »

وفي سنة ٨٧٥ هـ (ثمانمائة وخمسة وسبعين) توفي في رجب القاضي العلامة الكبير الشهير الفروعي "یحیی بن أحمد بن علی بن مظفر" صاحب «التصانيف النافعة» منها «بيان ابن مظفر» في مجلدين كبيرين في الفروع جمع فيه المذهب الزيدي باتقان واستيفاء وهو معتمد الأعلام في صنعاء وصعده وحوث وذمار وغيرها وهو مقبور بهجرة حمدة من عيال سريح . ثم دفن بجنبه حفيده القاضي العلامة الفروعي المؤرخ محمد بن أحمد بن یحیی مظفر الحمدي صاحب «البستان شرح البیان» لجده وصاحب «الترجمان شرح بسامة الوزير» في التاريخ وهو مثل «الزحيف» وهو من أهل القرن العاشر.

"عبد الله بن مفتاح" « شارح الأزهار »

وفي يوم السبت سبعة ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ (ثمانمائة وسبع وسبعين) توفي بصنعاء الفقيه العلامة الفروعي "عبد الله بن القاسم بن مفتاح" مؤلف «المتزح المختار من الغيث المدرار شرح الأزهار» . وكان عالماً فقيهاً محققاً زاهداً عابداً، سكن قرية غضران وعمر فيها مسجدها وقد عم الانتفاع بشرحه للأزهار مئات السنين أجيالاً ونُسَخ منه آلاف النسخ ثم طبع مراراً ولا تكاد تُحصَر نُسخه وقبره جنوبي صنعاء مشهور مزور إلى الآن ، وقد شُرح الأزهار بنحو خمسين شرحاً لم يكن لأیها حظ شرح "بن مفتاح" مع أنها أبلغ منه في التحقيق، وقد رأى في منامه مؤلف الأزهار يعمل بمسحاة في أرض ثم سلمها لابن مفتاح وعمل بها في تلك الأرض وعمل مثل عمله . رثاه المؤرخ "محمد بن علي الزحيف" :

سقى جلدنا أضحى بصنعاء ثاویا
من اللو والجوزاء غلـ ورائح
كان لم يمـت حيـ سواك ولم تـم
على أحد إلا عليك النوائح

ليك ابن مفتاح فقيرٌ ومُعولٌ
 ومختبِطٌ مما تُطيح الطوائح
 وتذكـرةٌ ثم الزهور ونجـلهم
 وما الكتب غير البحر إلا ضحاضح
 وممن رثاه أيضاً العلامة "يحيى بن محمد صالح حنش" :
 أما عليك فقلبي دائم الفزع
 وكيف أسلو ووجدني غير منقطع
 ولي فؤاد بنار الغم محتـرق
 ومقلة كحلت بالسهد والرجع
 كيف البقاء وأرضُ الله مظلمةٌ
 من بعد سيدنا العلامة الورع
 الأوحـد القدوة المفضـال أفضل من
 يمشي على الأرض في سهل ومرتع
 الصائم القائم البر التقي له
 طرائق حملت في الضيق والوسع
 ترب العبادة يحكي في تعبـله
 وفضله الحسن البصري والنخعي
 وفي الزهادة عمرو بن العبيد فلا
 يرنو بطرف إلى شيء من الطمع
 وفي الحلو كقيس المنقري فلا
 يطيش إن طارت الأبواب بالفزع
 على طرائق أتباع النبي مضي
 كأنه منهم من خير مُتَّبِع
 واحسرتاه ولي قلب ندامته
 عليه يقصر عنها حسرة الكُـمى
 قد كان في الأرض نوراً يتضاء به
 فعمت الظلمات الأرض حين نُعي
 وكان في العلم كالروض الأثيق لنا
 إليه متـجّع من كل منـتـجـع
 إذ كان في خلق التدريس بهجتها
 كالبر في هالة الأنوار منصـدع
 ثلث عروش الهدى من بعد غيبته
 وأصبح الدين نهباً غير ممتـع

"عبد الله النجري"

وفي ذى القعدة سنة ٨٧٧ هـ (ثمانمائة وسبع وسبعين) توفي بقرية «القابل» القاضي الإمام "عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن ثامر بن فضل بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الزبيدي العبسي بن عبس حجة النجري" نسبة إلى «نجرة» ببلاد «حجة» عن ٥٢ سنة من مولده ، نشأ بهجرة «حوث» وقرأ على الإمام "المطهر بن محمد بن سليمان" وعلى أخيه "علي بن محمد النجري" في الأصولين والفقه وعلى "علي بن موسى الدواري" و"محيي بن أحمد مظفر" وكان مع الخالدي والبكري من أنصار الإمام المطهر بن محمد ورحل إلى مصر وترجمه عالم مصري ترجمة منها: ورد في الريعين سنة ٨٢٥ هـ (ثمانمائة وخمس وعشرين) من «حوث» اليمن وقرأ على والده بحوث وأخيه علي في «النحو والفقه والأصولين» ثم حج سنة ٨٤٨ هـ (ثمانمائة وثمان وأربعين) ثم دخل البحر ودخل القاهرة فوصل إليها في ربيع الأول فبحث بها في «النحو والصرف» على ابن قديد وفي «المعاني والبيان» على "الشمسي" وفي «المنطق» على "التقي الحصيني" وحضر في «الهندسة» عند أبي الفضل المغربي وكان يطالع بذلك وما أشكل راجع به وطالع «شرح الشریف» على الجرجاني و«التبصرة» لابن أفلح وفي «العضد» على الصيرفي وتقدم في هذه العلوم واشتهر فضله وامتد صيته لاسيما في العربية وكتب في سنة ٨٥٣ هـ (ثمانمائة وثلاث وخمسين) قوله في وطنه «حوث» :

بشاطیء حوث من دیار بنی حرب

لقلبي أشجى — ان معذبة قلبي

فهل لي إلى تلك المنازل عـودة

لتفـرج عن همـي وتفـرج عن كـربي

ومن مؤلفاته «مختصرات الثمرات شرح آيات الأحكام» و «شرح المِرْقَاة في علم الكلام وشرح المرقاة إلى الغايات» للإمام المهدي وكتاب في «النحو» وكتاب في «المنطق» و «شرح مقدمة التسهيل» لابن مالك و«المعيار في الأحكام» كتاب جليل يؤخذ منه قواعد المذهب و«الاشباه والنظائر والنظام» و «شرح القلائد» للمهدي آلفه في سفره قافلا من مصر وهو من الكتب المدروسة في أصول الدين والطبيعة ، وهو أول من قدم «بمعني الليب» من مصر إلى اليمن . وكتب من مصر إلى والده :

فراقك غصمتي ولقائك روحي

وَقَرِّبْ لِي شَفْعاً مِنْ قُرْوَاحِي

ومما إن أذكر الأوطان إلا

يَضْمِيْقُ بِهِ مِنَ الْاَحْزَانِ سُوْحِي

وما فيها أحسن سواك شوقاً
إليه فلئت يا مولاي روحي
فـمـفـf

"الإمام المطهر بن سليمان"

هو الإمام " المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن يحيى بن الحسين بن حمزة بن علي بن محمد بن الإمام حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم " . إلخ . . مولده كان سنة ٨٠١ هـ (ثمانمائة وواحد) ودعوته كانت في ثمانمائة وأربعون وفاته كانت بدمار سنة ٨٧٩ هـ (ثمانمائة وتسع وسبعين) أخذ عن الإمام المهدي أحمد بن يحيى وتزوج بابنته وعن السيد " الهادي بن يحيى المرتضى " والفقير " محمد بن يحيى المذحجي " والفقير " يوسف بن أحمد بن عثمان " وغيرهم وكان علامه حافظاً . من مؤلفاته «الارشاد» و « رسالة في أحوال الأئمة » ورسائله بليغة من الأهرج والمغاربة ودعا بعد موت الإمام المهدي أحمد بن يحيى و « المنصور علي بن صلاح الدين » سنة ثمانمائة وأربعون وعارضه " الناصر بن محمد بن الناصر " . و « صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم » . فعضده الفتى " قاسم بن عبد الله سنقر " مولى المنصور " علي بن صلاح الدين " ، فحبس " صلاح بن علي " وفر " الناصر بن محمد " إلى جهة « دمار » فتقدم عليه المطهر والفتى قاسم وكانت معركة بينهم في « قُريس جهران » انجلت عن قتل الفتى قاسم وأسر المطهر وحبسه في حصن الربعة غربي دمار نحو سنة فأخرجه ابن السجان جزاء لتعليمه إياه القرآن وسارا ليلاً إلى « آنس » ثم « الحيمة » ثم « الأهرج » ثم « السوداء » فأكرمه " المعافي بن عمر " صاحب « السوداء » . وكان المطهر قد نظم في السجن قصيده سماها « انقضاء الوطر بمدح سيد الشر » . ذكر منها الزحيف وغيره مائة وسبعة وثلاثين بيتاً وقد خمسها وشرحها كثيرون ولما وصلت إلى " محمد بن إبراهيم " وزير " الناصر بن محمد " الحابس له ، قال الوزير انظروا فبركة هذا الشعر قد خرج منشده من السجن فكان كذلك ويروى عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد وبجانبه عائشة فكان يغض الطرف عنها حياءً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنها أمك وكانت تدق شيئاً فأعطته منه وسقته وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له : هذا دواء حل القيد وأمره أن يعارض قصيدة الحلية فقال قصيدته التي أولها :

ماذا أقول وما آتي وما أندر
في مدح من ضمنت في مدحه السور

إلى آخر ١٣٧ بيتاً ثم استقر بكوكان ثم إنتقل إلى دمار سنة ثمانمائة وواحد وسبعين إلى وفاته بها وقام بعده محتسباً بدمار ابنه عبد الله إلى أن أخرجه عنها بنو طاهر كما سيأتي .

"الإمام إدريس وهاس الظفري"

وفي مرض الإمام المطهر دعا بحصن «ظُفر ذيبين» الإمام المهدي "إدريس بن عبد الله بن محمد بن عهدي بن وهّاس بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين ابن الإمام حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن الظفري" دعا قبل دعوة الإمام محمد بن يوسف بن صلاح لكن الدنيا انزوت عنه . وكان كريماً سليم الصدر وكان جامعاً للشروط المعتبرة في الإمام ووفاته بظفر وقبره بجانب جده الحسن بن وهّاس بن أبي هاشم . وقلت في تحفة المسترشدين :

وقد دعا من حصنه بالظاهر
إدريس وهاس بلا مـ_____واذر
ولقب المهدي في الثـ_____مان
من قبلها السبعون والثـ_____مان
وكان أهلاً للقـ_____يام قالوا
لكنهم عنه نسـ_____وا ومالوا
وبعد حين قد ثرى بلحـ_____ده
وقبره في ظُفـ_____ر لجده

ومن ذريته الأعلام السادة بيت الظفري .

منهم السيد العلامة عبد الله بن محمد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن ناصر بن شمس الدين بن اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عبد الله بن الإمام إدريس بن عبد الله . إلخ . الظفري المتوفى في رجب سنة ١٣٦٨ هـ (الف وثلاثمائة وثمانية وستون) وترجمته بترجمة النظر .

"الإمام الناصر محمد بن يوسف"

دعوته سنة ٨٧٩ هـ (ثمانمائة وتسع وسبعين)

وفاته سنة ٨٩٣ هـ (ثمانمائة وثلاث وتسعين)

هو الإمام الناصر "محمد بن يوسف بن صلاح بن المرتضى بن الحسن بن علي بن يحيى بن منصور بن المفضل الهادي والذي كانت دعوته سنة ثمانمائة وتسع وسبعين ووفاته سنة ثمانمائة وثلاثة وتسعون .

قال تلميذه الزحيف : كان متبحراً في العلوم ، ولما وصل إليه خبر وفاة الإمام المطهر بن

محمد خرج من صنعاء إلى ثلا وبث دعوته وأجابه الأشراف الحمزات بصعدة وخطبوا له إلى وفاته ولم يملك من البلاد شيئاً وإنما خطبوا له للخلاف بينهم وبين الإمام الأنهض "الهادي عز الدين بن الحسن المؤيدي" وقد أشار السيد "عبد الله بن علي الوزير" في «تمته للبسامة» بذكر الداعي "إدريس بن عبد الله وهاس" والداعي "محمد بن يوسف بن صلاح" والإمام "الهادي عز الدين بن الحسن بن علي المؤيدي اليحيوي" بقوله وهو أول تتمته للبسامة:

وفي ابن وهاس الداعي وقلائمنا

والبحر يوي إمام الثار والاثار

قضت بنصر وخذلان ولا عجب

فالملك ما بين مخنول ومنتصر

انقضت إلى القلائم الهادي وقد درجت

أقراته فأنقض العبد في البشر

وأظفرت يوم نسرين الأمير على

جند الإمام وكان الرأي في الحذر

وكان قد درّس بمسجد الأهر بصنعاء ثم استدعاه بعض شيعته إلى ثلا فخرج من صنعاء ودعا بثلا ولم ينل حظاً إلى وفاته بثلا ودفن في قبته .

الإمام "الهادي عز الدين بن الحسن"

هو الإمام الأعظم الهادي "عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى" . . إلخ . مولده في هجرة قلله في شوال سنة ٨٤٥ هـ (ثمانمائة وخمس وأربعين) وأخذ بها وبصعده عن القاضي علي بن موسى الدواري وغيره ثم رحل إلى تهامة فأخذ بحرض عن الشيخ المحدث يحيى بن أبي بكر العامري مؤلف «بهجة المحافل» وغيرها وبرع في العلوم وصنف وهو في دون العشرين ومن أجّل مؤلفاته «شرح منهج القرشي» في مجلدين ضخمين في الأصول ، و«شرح البحر الزخار» إلى كتاب الحج في مجلدين سلك فيه طريقة الأئصاف يدل على تبحره في العلوم . و«كنز الرشاد» . وكتاب «مختصر في علم النجوم والحساب» وكتاب «الغاية التامة بتحقيق مسألة الإمامة» خالف فيها المذهب الزيدي وله فتاوى مجموعة في مجلد ضخّم مفيدة جداً ، وله ديوان شعر ، وكانت دعوته بقلله في شوال سنة ٨٧٩ هـ (ثمانمائة وتسع وسبعين) ودخلت تحت طاعته بلاد السوددة وكحلان والشرفين والبلاد الشامية والعلماء من سائر الجهات وهو من أكابر الأئمة .

قال الشوكاني: إن له شغفاً بالعلم عظيم وله من الإنصاف وأتباع الدليل ما لم يكن بغيره حتى حرر بحثاً في عدم انحصار الإمامة في بطن من بطون قريش وتكلم بالصواب مع كونه إذ ذاك إماماً واستمرت إمامته إلى وفاته في رجب سنة ٩٠٠ هـ (تسعمائة) بقله ودُفن حول قبر جدّه الإمام علي بن المؤيد بن جبريل .

ويروى أنه سمع نعيه بصنعاء يوم وفاته قبل وصول الخبر بأيام وأشار إلى ذكر الإمام "يحيى شرف الدين" في مرثاته له بقوله :

هل الوجد إلا دُونَ ما أنت واجده
وما الخلق إلا دون من أنت فاقد
نعاه إلينا قبل يوم وصوله
سبع إله الخلق والسمع شاهده

وبعد أن استجابت لدعوة الإمام "الهادي عز الدين" بلاد تهامة وبلاد الزيدية بما فيها الشام إلا الحمزات بمدينة صعدة انتقل الإمام إلى الأهنوم ثم السوددة وعمر بها مسجداً عظيماً ووصل إليه العلماء من نواح شتى ولازموا حضرته أكثر من مئتي عالم ، فمن وجوه صنعاء القاضي "محمد بن أحمد مرغم" والفقير "علي بن زيد" والفقير "علي بن محمد البكري" والفقير "يحيى بن صالح العلفي" والفقير "أحمد بن محمد الخالدي" والفقير "أحمد ومحمد ابنا "الفهد الكحلاني" ومن فقهاء ذمار والحيمة والشاحذية وأنس وهجرة عرة ثومان وكان أمير صنعاء المؤيد "محمد بن الناصر" قد أذن لعلماء صنعاء بالذهاب إلى الإمام لمبايعته فهو عدل عاقل ولم يكن معانداً مثل أمير صعدة "محمد بن الحسين الحمزي" ثم أذن الإمام بعودة أكثرهم إلى بلادهم بعد أن ولّاهم ولايات عامة وخاصة .

وفي سنة ٨٨٠ هـ (ثمانمائة وثمانون) نهض الإمام الهادي "عز الدين" إلى بلاد مسور المنتاب ثم ضلع كوكبان ثم انحدر إلى الطويلة وبلاد الشاحذية واستقر في هجرة روحان ثلاثة أيام اجتمع بالعلماء ثم الحيمة ووصل إليه أعيان حراز ثم أنس أياماً ثم رجع إلى هجرة قلله بالشام فاجتمع لديه من خولان وغيرها نحو خمسة عشر ألف رجل ومائة فارس فحثوه على دخول صعدة وفيها الأمير محمد بن الحسين الحمزي والحمزات فتقدموا بخيلهم على جند الإمام في (نسرين) بغتة ، فما كان بأسرع من هزيمة أصحاب الإمام خولان ومن إليهم وقتل منهم نحو سبعين ولم يقتل من الحمزات أحد وعاد الإمام إلى هجرة قلله .

وفيات

"أحمد بن محمد الخالدي"

وممن استشهد يوم «نسرين» من علماء الإمام الفقيه العلامة "أحمد بن محمد بن داود الخالدي"، نادرة زمانه وأوحدهم لا سيما في الفرائض ومن مؤلفاته كتاب «إيضاح الغامض من علم الفرائض» وشرح على كافيّة بن الحاجب سماه «تحفة الراغب» وله شرح على المفصل للزمخشري في النحو و«الجوهر الشفاف ذي النكت اللطاف» في المنطق . وله في الفروع «شرح التذكرة» جمع فيها بين تعليق الفقيه يوسف وابن مفتاح في مجلدين وكان من خواص الإمام المطهر بن محمد ثم الإمام عز الدين بن الحسن واستشهد بين يديه .

"علي بن موسى الدواري"

وفى سنة ثمانمائة وواحد وثمانون توفى بصعدة القاضي المحقق علي بن موسى الدواري، أخذ عن السيد علي بن محمد بن أبي القاسم وغيره . وعنه الإمام عز الدين بن الحسن والسيد صارم الدين "إبراهيم بن محمد الوزير" والقاضي "عبد الله بن محمد النجري" وغيرهم ، وفيه يقول السيد صارم الدين :

إلى ابن موسى الذي طابت أودمته

بحر العلوم وواعيها ودارسها

شيخ العلوم ومحبيها بصعته

رمز به تجلي عنها حنادسها

وفى سنة ٨٨٢ هـ (ثمانمائة واثنين وثمانين) تعكّر الجو بين أمير جازان الشريف "أحمد بن دريب بن خالد الحسني" وبين أمير مكة الشريف "محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني"، فتجهز أمير مكة بجيوش عظيمة قال صاحب أبناء الزمن ولما وصل إلى قريب جازان ترددت الرسل بينه وبين أمير جازان الشريف أحمد فلم يتم الصلح ووقعت حرب شديدة انهزم فيها أمير جازان وقتل من أصحابه عدة واستولى أمير مكة على جازان وانتهكت المحارم ولم يسلم من الهتك حتى حرّيم أمير جازان وأخذ أمير مكة جميع الخزائن والذخائر والكتب الكثيرة وهدمت الدور والصور وفر ابن أمير جازان إلى زيد فأكرمه الشيخ "يوسف بن عامر بن طاهر" غاية الإكرام وبعث به إلى عمه الملك المجاهد "علي بن طاهر" فأعطاه عطاءً واسعاً .

"علي الشظبي"

وفي ربيع الثاني سنة ٨٨٢ هـ (ثمانمائة واثنين وثمانين) توفى بصنعاء الفقيه العلامة "علي بن زيد بن الحسن الشظبي القريمي الصنعاني الزيدي". كان عالماً محققاً، ارتحل إلى مكة لطلب العلم، فأخذ بها ثم أراد الارتحال إلى مصر لطلب العلم أيضاً

فرأى بمكة في منامه (ترتجل وفي صنعاء أبو العطايا) فعاد إلى صنعاء وأخذ عنه وعن القاضي " يحيى بن أحمد مظفر " وغيرهما وله حواش على التذكرة وكف بصره آخر عمره واستوطن صنعاء إلى أن مات بها ودفن بجربة الروض ومن تلاميذه العلامة " علي بن مكابر الشطبي " شيخ الإمام شرف الدين . وتزوج بابنة الفقيه " علي بن زيد " .

ومن تلاميذه أيضاً السيد العلامة " الناصر بن يحيى بن محمد بن المهدي بن علي بن المرتضى " . ومدح شيخه أبا العطايا بأبيات منها :

بشرأي هذا أوان الفؤور بالظفر
ما كنت أبغي كموسى فار بالخضر
ظفرت بالغاية القصوى أطلبها
فمن يتلها يكن من أسعد البشر

وله شرح على التكملة وتعليق وأمالى وفوائد .

"علي بن محمد البكري"

وفي رمضان سنة ٨٨٢ هـ (ثمانمائة واثنين وثمانين) توفي العلامة المحقق علي بن محمد بن أحمد بن علي بن يحيى البكري الزيدي ، أحد أكابر العلماء المحققين المدققين ، له مؤلفات منها «السراج الوهاج شرح المنهاج» للقرشي في مجلدين وشرح على «مقدمة الأزهار» وشرح على «بيان ابن مظفر» ولما ألف الإمام عز الدين بن الحسن رسالته المخالفة للمذهب الزيدي في الإمامة رد عليه صاحب الترجمة برسالة وله شرح على «قواعد المعتزلة» وله «أعراب أذكار الصلاة» ، وللإمام عز الدين قبل دعوته قصيدة جواب إلى البكري من فله إلى صنعاء منها :

دع ذكر ما بالحمى والبان والطلل
وعد عن معهد بالابرقين خلي
وقدم الخوض في المقصود مبتدئاً
اعجل فقد خلق الإنسان من عجل
إن الأهم بتقليد الأحق فلا
تعباً بعادة أهل الشعر والغزل
وإقنى نظام بديع اللفظ محكمه
محبر صين عن هزل وعن خطل
أشهى وأشقى وأحلى في مذاقته
من بارد الماء بل من خالص العسل
ودونه زهر روض جـــــاده مطر
جـــــود وعـــــاوده علـــــى نهل

ولاح لي منه عنوان يبشـشـرنـي
 بما حوى من تفاصيل ومن جُمَل
 فارقت ما كنت قد لاقيت من كُرب
 أضمت ولاقيت ما فارقت من جَدك
 وقلت لما فضضت الختم عن ملح
 الله أكبر هذا منتهى أُملي
 أهلاً وسهلاً بطرسٍ جلَّ من نُدسٍ
 على البراعة والآداب مشتملي
 وسجع تشر كشَنر راق منظره
 منقح لفظه ما فيه من خلل
 وذلك السحبر إلا أنه حسن
 ما فيه من حرج يُخشى ولازل
 وكـيـف لا والذي خطت أنامله
 سطورَه رجل ناهيك من رجل
 أمام علم له فضل ومكرمة
 من دونه علماء السهل والجَبَل
 جمال دين الهدى السامي بهمته
 وقـلـده إلا رفع السامي على زحل
 إمّا تورطت في شكٍ وفي شُبْهة
 أعيت على ذي الذكاء والفهم والجَدك
 فاقصد عليا ولا تعباً بمشكلة
 إذا ادعت فلا تخشى من الأسَل
 سل عنه واسمع به وانظر إليه تجد
 ملاً المسمع والافواه والمُقل
 أنسى وأبهج في الأفاق من قـمـر
 بَنرٍ وأسـير في الاقطار من مَثَل
 حوى المحامد من دين ومن ورع
 ومن عفافٍ ومن علم ومن عمل
 يا من تصنع مختالاً ليـشـبـهه
 ليس التكلل في العينين كالـكـحـل
 بل أيها العاذلي فيما أبوح به
 من وده كف عن لومي وعن عَذلي
 إني رضيت به خِلاً ومعتـمـداً
 واختـرتـه من جميع الناس عن كمل

وما رضيت سواه عنه لي عوضاً
حاشاه عن عوضٍ منه وعن بدل
ولا أزال مششوقاً كل آونة
إلى أزال ووجَّد الشقوق لم يزل
يامانحي صفوه ودأ بلا كدر
ومرتضي كل أحوالى بلا علل
لولاك ماهاجنى شوقٌ إلى يمن
لاناقتي فى ربي صنعاً ولا جملي
فليت شعري أبعد البعد تجمعنا
دارٍ ويسعد دهري بالتقارب لي
لا تأس من روح رب الروح أن له
عطفا على كل دعاءٍ ومبتهل
يارب فاجعل رجائي غير منعكس
لديك يا منشىء الأمزان والسَّبلِ
وامنن بتعمير ذي الفضل الشهير ومن
أحيا بتدريسه العلم الشريف 'علي'
لا زال في تحفٍ تترى وفي شرف
يعلو على الجودي والجوزاء والحمل

ثم بعد دعوة الإمام عز الدين كان صاحب الترجمة من أعظم أعوانه .

"الملك المجاهد الظاهري"

في ربيع الأول سنة ٨٨٣ هـ (ثمانمائة وثلاث وثمانين) توفي بوجن رداً ودفن بها الملك المجاهد "علي بن طاهر بن معوضه" عن ٢٥ سنة من ملكه مع أخيه عامر ، منها ١٣ سنة بعد وفاة أخيه ، كان المجاهد على جانب عظيم من التقوى ، محباً للفقراء ، محسناً إليهم وكان لهم ولليتامى والأرامل نصيب مستمر من خزائنه يكفيهم ويسد نفقاتهم ، وكان ميلاً إلى الرفق ، أزال المكس عن كثير من المجلوبات إلى عدن . ولما شكاً إليه أهل زيد من أميرهم "أبي القاسم الحوالي" عزله وكلفه إرجاع ما أخذه من أموالهم وسلّم للمظلومين خمسة آلاف دينار من بيت المال استرضاءً لهم وأخذاً بخواطهم وجبراً لما كان قد نابهم وكان له شغف بدراسة كتب الحديث والتفسير . . وله من الآثار مدرسة في جبن ومدرسة في تعز ومدرسة في حيس وغرس كثيراً من قصب السكر في وادي زيد وفي وادي لحج والحائط خارج عدن وفي مواضع شتى ، ذكر ذلك الديع في تاريخه .

"المنصور عبد الوهاب بن داود"

لما مات الملك المجاهد نهض بأمر الملك بن أخيه عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضه وتلقب بالمنصور، وهرع إلى عدن قبل انتشار خبر موت المجاهد، واستمال قلوب الجند، وأنعم عليهم، ثم انتقل إلى تعز فوافته الأنباء أن ابن عمه يوسف بن عامر بن طاهر ثار بزييد ودعا الناس إلى نصرته واستعد لمكافحة المنصور، فكاتبه المنصور وألأن له القول ووعدته بتمكينه من كل ما طلب فلم يذعن فتجهز المنصور إلى زييد. وكان أهل زييد يخاللون يوسف ويظهرون له الإخلاص، فلما دنا المنصور ورابط خارج زييد خذلوا يوسف وسار بعضهم إلى المنصور فاغتاظ يوسف وخرج في إثرهم ليرجعهم، فلما صار خارج المدينة بادر أهلها بإغلاق الأبواب وصارحوه بالبراءة منه ومن حركته، فسقط في يده ولم يجد حيلة إلا أن يقصد ابن عمه الملك المنصور إلى خيمته، فلما مثل بين يديه عاتبه عتاباً لطيفاً، ولم ينله بسوء ودخل المنصور زييد وسكن كل شيء، وما برحت أضغان يوسف تغلى فاستأذن المنصور في الارتحال إلى الحجاز فتلطف له المنصور في القول وخيره في البقاء ويُمكّنه مما يريد أو الارتحال فاختر الارتحال إلى الحجاز فنزل لدى أمير مكة الشريف محمد بن بركات فبالغ في إكرامه وزوجه بابنته.

ولما طاب له المقام في جوار الشريف طالب منه النصر ليعود إلى اليمن غازياً فمأطله الشريف ولما لم يجد من الشريف إسعاداً تحرك إلى تهامة عازماً على الحرب، فلما وصل إلى جازان أكرمه شريفها أبو الغوثر مكافأة لما أسداه إلى ولده عند فراره من شريف مكة إلى زييد كما سبق القول، ثم سار يوسف إلى بني حفيظ بتهامة.

وفي سنة ٨٨٤هـ (ثمانمائة وأربع وثمانين) سار المنصور عبد الوهاب إلى بني حفيظ وباشروهم بالحرب فدخلوا في طاعته وأسر يوسف وسار به إلى زييد ثم تعز وأودعه السجن بجبن حتى مات.

انتهى من تاريخ الربيع ومن أنباء الزمن مع زياده من الأنباء: وهي أنه لما وصل يوسف بن عامر إلى بني حفيظ أكرمه أحمد بن أبي الغيث وزوجه بابنه ولم يزل عنده حتى قدم المنصور فكانت معركة مع بني حفيظ قتل فيها أحمد بن عامر بن طاهر أخو يوسف ففشل يوسف ولاذ بالمنصور فأودعه السجن.

وفي سنة ٨٨٥هـ (ثمانمائة وخمس وثمانين) سار المنصور إلى بني حفيظ وأراد الهجوم على قبيلة الرماة ففروا فأحرق بلدهم ونهبه ورجع إلى زييد.

إحتراق المسجد النبوي

قال صاحب «أنباء الزمن» أنه في يوم ٢٣ رمضان سنة ٨٨٦ هـ (ثمانمائة وست وثمانين) احترق المسجد النبوي احتراقاً عظيماً بسبب صاعقة عقيب مطر أصابت هلال المنارة ورمت به إلى بعض الأزقة وهو يشتعل ناراً ومات المؤذن لوقته ، ثم خرقت الصاعقة السقف المقابل للضريح الشريف فاحترق المسجد ووقعت ضجة عظيمة وأقبل الناس وراموا إطفاء النار فغلبتهم وتفاقم الأمر وجل الخطب وجعلت النار تسري كالسيل حتى صار المسجد يضطرم كالنور من كل جهة وللنار دوي كدوي الرعد وكانت ترمي بشرر كالصخور وخرجت لها ألسنة وأخذ الدخان منافس الحاضرين فتراكموا ورمى بعضهم فوق بعض وضجوا بالبكاء ولم يهتد إلى أبواب المسجد إلا البعض لشدة الظلمة ومنهم من رمى بنفسه من سطحه إلى الخارج متدلياً بالحبال ومنهم من هلك بسبب تقطع الحبال ومنهم من سلم الأمر وجلس داخل المسجد إلى اليوم الثاني فخرج سالماً بعد أن كاد يهلك ومنهم من فُقد واستمر الحريق إلى أن طلعت الشمس ثم خمد وسقط سقف المسجد ومات نحو عشرة أنفس منهم ثابت الخازندار واحترق جميع ما في المسجد من الفراش والأثاث العظيمة والمصاحف والكتب الفقيه ولم يسلم إلا القبة المحيطة بالضريح الشريف .

السيل العظيم بمكة

وفي سنة ٨٨٧ هـ (ثمانمائة وسبع وثمانين) نزل السيل العظيم إلى مكة المكرمة فاجتحتف كثيراً من دورها وبلغ إلى قفل باب الكعبة وحمل منبر المسجد الحرام وهلك منه عدد كثير من الناس .

وفي سنة ٨٨٩ هـ (ثمانمائة وتسع وثمانين) انقضَّ الملك المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر على دمار فاستولى عليها قهراً بالسيف وفرَّ أميرها السيد عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد بن سليمان بأهله وأولاده إلى صنعاء فقابله أمير صنعاء محمد بن الناصر بن محمد بالإحسان، ولم يقابله بما فعله أبوه المطهر مع أبيه الناصر بن محمد ولم يزل بصنعاء حتى قبضه الملك عامر عبد الوهاب وأنزله إلى تعز مع غيره من السادة بصنعاء فكانت مدة تملك المطهر وولده عبد الله لدمار ست عشرة سنة .

اضطرابات في تهامة

وفي سنة ٨٩١ هـ (ثمانمائة وواحد وتسعين) فيها توجه الأمير قاسم وهبان عامل المنصور على «زبيد» إلى بلاد الزيدية بتهامة فشدد وطأته عليهم وحملهم على التمرد

بقسوته وقتلوه عند منقلبه من مَوْرَ إلى الزيدية ، فجهز الملك المنصور من رداع الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي في جيش عظيم إلى الزيدية فأذعن أهلها بالطاعة وسلموا الخراج وسار الأمير الحبيشي إلى زيد .

وفي سنة ٨٩٢ هـ (ثمانمائة واثنين وتسعين) سار الملك المنصور من «رداع» إلى «تهامة» وتقدم إلى الزيدية في ألف فارس ، فلم يبق لحربه قائم ، فأحرق تلك الجهة وأناط المنصور ولاية تهامة "بعمربن عبد العزيز الحبيشي" فجعل في بيت الفقيه كاتبين هما الجلال بن محمد والفقيه علي بن راجح فأفحشا في الظلم والعسف وجارا في الحكم فقتلها أهل تهامة وحاربوا الأمير الحبيشي وأخرجوه من البلاد فتحرك المنصور لحربهم فخصعوا وتجوّل في كثير من البلاد وعاد إلى وطنه رداع .

عنبرة في شاطئ أبيين

وفيها ألقى البحر إلى ساحل أبيين دابة سمك تعرف بالعنبرة ، طولها تسعة وعشرون ذراعاً وعرض جبهتها ستة أذرع فسبحان الخالق الرازق .
وفيها ظهرت نار في قرية من ناحية جازان فأحرقتها وأهلها وفيها نحو أربعة وعشرين شخصاً ومواشي كثيرة .

وفيات

"يحيى بن صالح العلفي"

في شعبان سنة ٨٨٨ هـ (ثمانمائة ثمان وثمانين) مات بصنعاء القاضي العلامة "يحيى بن صالح العلفي الصعدي الزيدي" وهو ممن خرج من صنعاء لتلقي الإمام الهادي "عز الدين بن الحسن" إلى «السودة» وبايعه وناصره .

"الحسن والد الإمام عز الدين"

وفي محرم سنة ٨٩١ هـ توفي بهجرة «فلله» بجهات صعدة السيد العلامة "الحسن بن الإمام الهادي علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن يحيى" عن ٨٧ سنة من مولده وكان عالماً فاضلاً له مؤلفات وراثه ولده الإمام عز الدين بقصيدة طويلة منها :

وسير طرف الفخر والمجد باكياً
لرب السما في مكسب الحمد ساعياً
كسوبا ومتلافياً مضيعاً وكاسياً
تُرى لبهيّمت الليالي معانيها
فلا فائراً عنها ولا متواتياً
أفدت بها من كان فيهن قارياً
وصار ابنك الداعي إلى الحق هادياً
حميداً سعيداً ظاهراً نصيت عالياً

مصائبك هـ الشامخات الرواسيا
لقد عشت ميمون النقيبة ناصحاً
كريمأ جواداً مانحاً متفضلاً
ومازلت لله المهيمن خائفاً
تصلي على ضعف صلاة طويلة
وأست يا خير الأنام مدارساً
ووالدك الهادي إلى دين ربه
وعُمرت سبعا مع ثمانين حجة

... إلخ

"يحيى العامري التهامي"

وفي جمادى الآخرة سنة ٨٩٣هـ (ثمانمائة وثلاث وتسعين) توفي بحرّض تهامة الشيخ الإمام الحافظ المحدث "يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن محمد بن حسين العامري الحرّضي التهامي الشافعي" عن ٦٧ سنة وأشهر من مولده ، وهو شيخ السنة وإمام المحدثين في عصره باليمن ، سمع بتهامة ومكة وهاجر إليه إلى حرّض أعلام من «صعدة» وغيرها ، منهم الإمام "عز الدين بن الحسن" فتأثر به وله مؤلفات عديدة منها «بهجة المحافل وبغية الأمانيل» في السيرة النبوية وكتاب «الرياض المستطابة في تراجم من روى في الصحيحين من الصحابة» . و «العدد فيما لا يستغنى عنه أحد» في أعمال اليوم والليلة و«غريال الزمان في التاريخ» وغيرها وتكلم في بعض كتبه عن بعض أئمة الزيدية وعلمائهم فقدرهم وأنصفهم .

"شمس الحور بنت الهادي بن إبراهيم الوزير"

في يوم الاثنين ١٥ رجب سنة ٨٩٤هـ (ثمانمائة وأربع وتسعين) توفيت الشريفة العالمة "شمس الحور بنت الهادي بن إبراهيم الوزير" عن ٨٨ سنة ودفنت بمقبرة أهلها بصنعاء ومولدها بصعدة ودرست على أبيها وذويها حتى بلغت درجة عالية ولها مطالعات ومراجعات حسنة وحفظ للأنساب والأخبار والأشعار وكتابتها عالية على مقتضى الأحوال وهي كريمة أنفقت أموالاً جزيلة في الأيتام والضعفاء والوفاد من كل جهة تنفق سراً وجهراً وهي مستورة طول حياتها وتزوجت بآبن عمها أحمد بن صلاح بن إبراهيم وكان قد خطبها كثيرون كالإمام المطهر بن محمد وأحمد بن عبد الله بن أبي القاسم

ولها أشعار منها مرثاة في عمها محمد بن إبراهيم أولها :

رحم الله أعظمها دفنوها
بالرويات عن يمين المصلي

وقبرها بمسيك ولها إلى ابن أخيها "محمد بن عبد الله" قصيدة منها :

محمد أفليك من وارث
لا بائك السادة المُجَّـدِ
ورثت البلاغة يا سيدي
مع العلم والحلم والسؤدد
فلله درك من مـقـتـفٍ
لأثمارهم وبهم مقتـلـي
ولكنني يا حبيب الفؤاد
خشيت عليك من الحُسـدِ
لاني وقـسـت على أسطر
أنت منك تروي الفؤاد المصلي
فرائد در آئي بعضـها
جواباً وفي بعضـها مبتلي

... إلخ .

"بدره بنت محمد بن علي بن الإمام صلاح الدين"

في ذي الحجة سنة ٨٩٣ هـ (ثمانمائة ثلاث وتسعين) توفيت بصنعاء الشريفة "بدره بنت الأمير محمد بن الإمام المنصور علي بن الإمام صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد" وبموتها انقطع عقب والدها وجدها . وكان قد تزوجها الإمام "الناصر بن محمد بن الناصر" بصعدة سنة ٨٤٨ هـ ثم كان فسخ نكاحها منه وتزوجها الإمام "المظهر بن محمد بن سليمان" عند قدومه إلى «صعدة» سنة ٨٤٩ هـ وهي أم ولده "عبد الله بن المظهر" .

"والدتها" فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين

هي الأميرة الكاملة "فاطمة بنت الحسن بن الإمام صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد"

توفى والدها في مدينة ذمار . وأمها هي الحرة كردية بنت الأسد الكردي فتزوجها ابن عمها الأمير "محمد بن علي بن صلاح الدين" ومات عنها سنة ٨٤٠ هـ (ثمانمائة

وأربعين) فتزوجها الإمام "صلاح بن علي بن محمد بن القاسم" وبعد سجنه بصنعاء استطاعت أن تسعى لذن الأمير "قاسم سقر" في إطلاق زوجها وسارت وهو وبنتها بدره معها إلى صعدة . وفي سنة ٨٤٦ هـ (ثمانمائة وأربع ستين) خرج زوجها صلاح من صعدة إلى جهات صنعاء واستخلفها في حكم صعدة فأُسِرَ في «حمرا علب» وسجن بصنعاء ودامت هي في إدارة حكم صعدة وحصونها حتى انتزعها منها الإمام "الناصر بن محمد بن الناصر" سنة ٨٥٧ هـ (ثمانمائة وسبع وخمسين) وقد حكمت صعدة إحدى عشرة سنة ونقلها الناصر مع وزرائها إلى صنعاء فأقامت بدار زوجها الكبيرة فوق مسجد الأبرر من شرق غربي القصر وقد تحاصرت الدنيا عليها بالنسبة إلى ما كانت فيه أعوام إمارتها . وكانت غير مطمئنة إلى "الناصر بن محمد" ولما مر به الإمام "المظهر بن محمد" أسيراً من حول صنعاء سنة ٨٦٦ هـ (ثمانمائة وست ستين) وأراد عسكره الذين بصنعاء مع ابنه "محمد بن الناصر" تخليصه من الأسر ، فقلقت لتخليصه لأنه عدوها ، فأمرت خدمها وحراسها أن يصيحوا من سطح دارها باسم الإمام المظهر فقتل عسكر الناصر ولم يخرجوا لتخليصه الذي كان ممكناً وسار به المظهر أسيراً سجيناً بكوكبان ثم بعد ذلك ثار عليها عسكر الناصر فأحرقوا باب دارها وشرعوا في النهب فأُسِرَ الأمير العادل "محمد بن الناصر" لإنقاذها وأوقف العسكر ووقف بنفسه بباب دارها حارساً لها وكان سيلاً ماجداً وقوراً كريماً حكيماً فاضلاً ثم نقلها رعاية لها ومبالغة في صونها من ثورة العسكر إلى دار بقصر صنعاء ولم يقصر في رعايتها حتى ماتت بصنعاء ودفنت جوار قبر ابنتها بدره وقبر جدّها الإمام صلاح في القبة بمسجد صلاح الدين ورثاها بعض الادباء بقصيدة طويلة منها :

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| بلقيس هذا العصريا من علت | قلداً على بلقيس في عصرها |
| ومنتعت في ملكها ملّة | في نهيتها الماضي وفي أمرها |
| بنت بهليل هم ما هم | هم خير من يشرب من قطرها |
| وهي كما الزهراء في حلمها | أو مريم العذراء في صبرها |
| فكلهم يطنب في شكرها | معروفها لمعروف عم الوري |
| أمنع من عقاء في وكورها | فأغتالها الموت على أنها |
| ومارعى قلداً لمن قلدها | أعلى من الجوزاء في قلدها |

ومنها :

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| يا بنت مولانا صلاح الهدى | ومسيد السادات بل صلدها |
| مخيف ذي بغى وفي ريسه | ومؤمن السكان في فقرها |
| وفاتح الشام بأسيفه | واليمن الأعلى إلى شحرها |
| ومنفذ الأحكام في برها | ونافذ الأقالام في بحرها |
| مجاهد الكفار في أرضها | وقاتل الفساق في عقرها |
| يا درة من بعلمهم قد مضت | أريت على الشمامس مع بلدها |

بنت ثمان بهجة بعدما
 تهابها الأساد في غايها
 معروفة المعروف عم الوري
 وكل داغ نال من جودها
 يتاعى الصفوة ثم فنعها
 ولست بالمعرب عن وصفها
 جاوزت التسعين من عمرها
 وهي كما العذراء في خلدرا
 فكلهم يطنب في شكرها
 وكل قاص نال من برها
 واحك الذي قد كان من أمرها
 لو كنت كالخساء في شعرها

إلخ . . . وهي طويلة .

وتولت لها كتابة الإنشاء في ولايتها السيدة البليغة المنشئة الشاعرة المجيدة عين زمانها :

"فاطمة بنت عبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة"

والدها مصنف «الجواهر الشفاف» في التفسير في مجلد و«العقد الفريد المستزج من شرح ابن أبي الحديد للنهج» وكتاب «أخبار صفين» وغيرها وكانت هذه الشريفة من المفخر، ومن الحجج السابقين على الأواخر وتزوجها السيد "محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الإمام يحيى بن حمزة الحسيني" . . . وفي مطلع البدور أيضاً أن الشريفة "فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين" لما سجن زوجها "صلاح بن علي" ثم توفي ملكت ممالك أهلها من المدائن والحصون من صعدة وصنعاء وذمار وما بينها وكان لها همة وقوة وشدة بأس ثم تقاصرت عليها البلاد حتى استقرت بصعدة مدة طويلة فوق ثلاثين سنة ثم استولى عليها الناصر بن محمد وأخذ صعدة ونقلها إلى صنعاء كما سبق وللدلالة على أنه كان للنساء في تلك العصور ثقافة تنقل من مطلع البدور وغيره ما يلي :

"فاطمة بنت المهدي علي بن محمد"

هي الشريفة العالمة الكاملة الفاضلة "فاطمة بنت الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن يحيى بن منصور بن المفضل بن الحجاج عبد الله بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين" وهي

أخت الإمام "صلاح الدين بن المهدي علي" ذات العلم والكمال والتقوى والفضل حتى على كثير من الرجال .

كملت كمال الأئمة المعبرين في المعرفة والدين والتدبير والنظر في أحوال الخاصة والعامة وأقامت بيت أبيها في أيام أخيها صلاح الدين وهي منظمة للأمور يستمد منها النظر السديد إلى كل الجهات ، ولها من المعرفة وحسن السياسة ما ليس عليه مزيد ، ولها من الدين والخشية والإقبال على أعمال الخير ما لا يصفه الواصفون ، ومن ورعها أنها كانت مزوجه على ابن عمها السيد "إبراهيم بن يحيى" أمير صعدة فلما اتهم بسم بعض الحمزات فحلف بطلاقها فقطعت ما بينهما من الزواج ولم تطلب نفسها بالبقاء معه بعد حلفه بطلاقها . وكان أخوها الإمام صلاح الدين قد أوصى إليها فماتت قبله فاشتد أسفه عليها وقال بعضهم فيها من أبيات :

أمير المؤمنين أخوك فينا وأنت أميرة للمؤمنات

وأما بنت الإمام "المؤيد يحيى بن حمزة" عالمة فاضلة كاملة . وقبرت صاحبة الترجمة بالقبة جنب قبر أبيها بصعده . وأما أم أخيها الإمام صلاح الدين فهي الشريفة "دهما بنت إدريس بن حمزة" من آل المختار الساكنين بمفحق ونواحيها ، وهي أول من قبر بقبر ولدها صلاح الدين بصنعاء ثم ابنه علي ثم أمه "فاطمة بنت الأسد بن إبراهيم بن الأسد من آل أبي الهيجاء" ثم من ذريتهم . وسبق في الجزء قبل هذا في سنة ٧٧١ هـ الشريفة العالمة "صفية بنت المرتضى" وغيرها وسيأتي أخريات .

"الملك المنصور عبد الوهاب"

وفي سنة ٨٩٤ هـ (ثمانمائة وأربع وتسعين) توفي بجبن من بلاد رداع الملك المنصور "عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة" ومدة ملكه إحدى عشرة سنة وأشهر، وكان ميالاً إلى العدل ، محباً لرجال الدين ، عطوفاً على الفقراء والمساكين ، شجاعاً رابط الجأش سمحاً ، فقد تسامح مع ابن عمه يوسف بن عامر بن طاهر ومكنه من مغادرة البلاد مع احتمال إضماره الشر له ووثوبه عليه ونصب الشباك له ، فلم يستخفه حب الانتقام حتى أبدى يوسف صفحته أخيراً ، فظفر به وحبسه كبا سبق ، ومن مآثر المنصور مدرسة بناها بزييد ومدرسة بالمقرانة برداع ومقدم جامع ذي عدينة "تعر" ومسجد في آب وبني عدة صهاريج في مواضع شتى .

"الملك عامر بن عبد الوهاب"

ثم قام بعده ابنه الملك الظافر "عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة" وكان والده في آخر حياته قد أسند إليه الأمور ، فلما توفي نهض "عامر" بالملك وتلقب بالظافر وانتقل من جبن إلى المقرنة ثم تعز واستمال الرؤساء وأحسن إليهم ، ثم بلغه أن أولاد الملك "عامر بن طاهر" المقتول حول صنعاء قد ثاروا واستبدوا يرون أنهم الأحق بالملك وانتهبوا جُبن والدار التي بناها أبوه "المنصور" في جبن ، وأخربوا بعضها وكانت مشتملة على ثلاثمائة مقصورة وأخربوا بيوت بعض التجار واستولوا على الحصن فنهض من تعز في عشرين ألف مقاتل فحاصروهم بالحصن وحدثت معارك حامية الوطيس ، ثم وقع الصلح على أن يعطيهم أربعين ألف دينار من خراج عدن في كل عام ويتنازل لهم عن جبل حرير والشُعيب ثم اتجه نحو ردا . فثار بتعز الشيخ "محمد بن عامر" وانقض على تعز فصمد له عاملها ، وسار إلى عدن "عبد الباقي بن محمد بن طاهر" واعتزم احتلالها فقابله عاملها الشيخ "محمد بن عبد الملك" فهزمه وعاد "عبد الباقي" من حيث أتى .

وفي سنة ٨٩٥ هـ (ثمانمائة وخمس وتسعين) اشتدت المعارك بين السلطان "عامر عبد الوهاب" والثوار من قرابته فطاردهم وحبسهم وكانت تهامة وغيرها في اضطراب لانحلال الدولة بتناحر آل طاهر ، فلما فرغ عامر عبد الوهاب من شروهم بحبسهم التفت إلى اصلاح البلاد فجَهَّز إلى تهامة ابن عمه محمد بن عبد الملك فأحمد نيرانها وطلع السلطان عامر إلى ذمار وكان أهلها قد سوروها فحاصرها وحاربه أهلها محاربة شديدة قتل فيها من الذماريين جماعة منهم الشريف محمد الجوفي ثم طلبوا منه الأمان فأمّنهم وأمرهم بهدم السور فهدموه واستخلف عليها وعاد بلاده .

وأما صنعاء فكان أميرها "المؤيد محمد بن الناصر" بها وأصحابه يحثونه على الوثوب على «ذمار» في حالة اختلاف بني طاهر ، فلم يساعدهم وجنح إلى المسالمة والسكون وكان يرجع "عامر عبد الوهاب" على أولاد "عامر بن طاهر" الذي قتله "محمد بن الناصر" حول صنعاء كما سبق سنة ٨٧٠ هـ (ثمانمائة وسبعين) خوفا من أخذهم بالثار ، ولهذا بالغ في كف الأذى عن "عامر عبد الوهاب" ولم يستجب المؤيد لأهل ذمار باحتلالها فأرسل إليها من ينظر في شئونها ثم استدعاه وأمره بالتخلي عنها لعامر وكان عامر يبالغ في الثناء على "محمد بن الناصر" ويعترف له بجميل ما أسداه إليه ويعد بمجازاته والوفاء له وكان عامر يسلم له جزية اليهود القاطنين في بلاده على

اتساعها وهي كثيرة باعتبار أنها للهاشميين عوضاً لهم عن الزكاة المحرمة عليهم وكانا يتبادلان الهدايا والاحترام .

وفي سنة ٨٩٦ هـ (ثمانمائة وست وتسعين) أوقع السلطان عامر بالمعازبة ورجع إلى تعز واستخلف عليهم الشيخ "عبد الباقي العجمي" عامل "زيد" ، فما زال يغير عليهم حتى كمنوا له عند عودته إلى زيد فقتلوه وولده وجماعة من أصحابه فجهز عليهم اخاه "عبد الملك بن عبد الوهاب" وأقام فيهم وأعاد عامر الكرة عليهم سنة ٨٩٧ هـ (ثمانمائة وسبع وتسعين) حتى أذعنوا بالطاعة وسلموا أربعين فرساً (ولعل المعازبة هم الزرائق)

وفي سنة ٨٩٨ هـ (ثمانمائة وثمان وتسعين) تجهز السلطان عامر لحرب قبائل "بيضا" صباحاً وأهل "يافع" بالمشرق وشدد الحصار على حصنهم "شرحب" حتى تسلمه وغيره من الحصون كحصن "مفلحة" وحصن "الكلب" وحصن "ذراع الحرامل" وحصن "المعافري" ودانت له جهات المشرق . وأما صنعاء فكان فيها وجهاتها . .

وفي سنة ٨٩٩ هـ (ثمانمائة وتسع وتسعين) سار "عامر عبد الوهاب" إلى تهامة وغزا المعازبة فقتل منهم جمعاً كثيراً ونهب أموالهم ثم تقدم الى تهامة الشامية ففعل كذلك ورجع إلى زيد .

وفيها ولدت امرأة من قرية المنصورية بتهامة مولوداً ، عيناه في أعلى جبهته وحاجباه من تحتها وله فم مثل فم الكلب ويداه كأيدى السبع عليهما شعر أسود وكفاه ككفي القرد وليس له فرج ولم يعيش غير ساعة ثم مات ، فسبحان الخالق .

وفيات

"محمد بن عبد الله الوزير"

في شعبان سنة ٨٩٧ هـ (ثمانمائة وسبع وتسعين) توفي بحددة بنى شهاب وقبر بمقابر بيت الوزير بصنعاء في ١٥ شعبان السيد العلامة "محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير" عن ٨٧ سنة من مولده بصعدة في شعبان سنة ٨١٠ هـ (ثمانمائة وعشرة) ونشأ بصعدة ودرس بمسجد الهادي ثم بصنعاء وكان علامة كبيراً بليغا إماما في علم الأنساب، وكان له خط

كسلاسل الذهب ودرّس الطلبة بصنعاء كثيراً في عدة كتب منها : "أصول الأحكام وشفاء الأورام" و "الأماليات" وكتب "ابن تيمية" و "ابن حجر" و "القاضي عياض" وفي التفاسير وغيرها وأقعد في بيته ثمانين سنين لمرض عرض له فزاد من العبادة والطاعة وكان مرجوعاً إليه ، له وجاهة وجلالة لدن الأقارب والأباعد ونفس كريمة وفعل المعروف ولو بمشقة، يرفع الحقوق وصلة الأرحام على طريقة أهله وأسلافه ، حسن الهيئة ، طويل القامة . وهو والد السيد صارم الدين "إبراهيم بن محمد" .

"مريم بنت الناصر بن محمد بن الناصر"

وفي محرم سنة ٨٩٨ هـ (ثمانمائة وثمان وتسعين) توفيت الشريفة الفاضلة "مريم بنت الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر المظلل بالغمام بن يحيى" ودفنت في قبة صلاح الدين بصنعاء جنب أبيها .

"عز الدين بن الحسن"

في سنة ٨٤٥ هـ (ثمانمائة وخمس وأربعين) ولد الإمام الهادي "عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل" . الخ . في فللة وتوفي سنة ٩٠٠ هـ (تسعمائة) في رجب بهجرة فللة ومن مآثره جامع مدينة السودة وغيره وقلت في تحفة المسترشدين:

| | |
|-----------------------|---------------------------|
| الحافظ العلامة الشهير | وهو الإمام الجهابذ الكبير |
| كرم به من عالم رصين | الهادي الأواه عز الدين |
| وشارح لبـحـرنا الزخار | وسائح للأخـبـذ في الأثر |
| في هجرة معروفة بفلكه | مولده ويا له في خير له |
| | ٨٤٥ |

| | |
|---------------------|--------------------------|
| بفلل فكن بنا فطينا | وقد دعا في تاسع السبعينا |
| لعمام تسع مائة سينا | ثم ثوى في فلل دفينا |

وبعد وفاته دعا ولده الإمام الناصر الحسن بن عز الدين . ثم الإمام المنصور محمد بن علي السراجي الوشلي كما سيأتى . .
ويحوادث سنة ٩٠٠ هـ (تسعمائة) أكمل الحافظ المؤرخ عبد الرحمن الربيع كتابه (بغية المستفيد في أخبار زيد)

"الناصر الحسن بن عز الدين"

مولده ٨٦٢ هـ (ثمانمائة وإثنين وستين)

دعوته ٩٠٠ هـ (تسعمائة)

وفاته سنة ٩٢٩ هـ (تسعمائة وتسع وعشرين)

هو الإمام "الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن" نشأ «بفلة» وحقق العلوم حتى صار مجتهداً ومن مؤلفاته «القسطاس المقبول شرح معيار العقول» منقح محقق وفيه مناقشات على «المعيار» للقاضي عبد الله النجري . وله رسائل ومسائل وأبحاث، وكان حين وفاة والده غائباً بحصن كحلان تاج الدين فدعا منه وبث دعوته في اليمن وحين وصلت إلى صعدة تلقاها الأمير محمد بن الحسين الحمزي بالقبول وأمر بذكره في الخطبة والدعاء له عكس ما كان مع والده . وامتنع عن مبايعته عمه صلاح بن الحسن بن علي بن المؤيد وابنه علي بن صلاح والقاضي محمد بن أحمد مظفر الحمدي وغيرهم ، ومالوا إلى الإمام "محمد بن علي السراجي الوشلي" ، ثم كان اجتماع الإمامين في الشرف فلم يسلم أحدهما للآخر ، ثم مال "الحسن بن عز الدين" للعبادة والعلم . .

وقال "داود بن الهادي المؤيدي" في ذيله للبسامه :

فيه المحامد قبل الشيب والكبر
من العناد له والدهر ذو غير
وقوموا الداعي المنصور في الأثر
لكنه لم ينل في ذاك بالظفر

وسبطه الناصر الداعي الذي اجتمعت
وكان في وقته ما كان من عجب
من بعض أسرته اختاروا عداوته
وابن المظفر ناداه وخالفه

وقلت في تحفة المسترشدين :

الناصر البحر الإمام المؤتن
بتلكم التسع من المئين
بقلل أكرم به دفينا

ويعده سليله البر الحسن
فقام في كحلان تاج الدين
وموته في تاسع العشرين

وقام بعده ولده مجد الدين كما سيأتي .

"المنصور محمد بن علي الوشلي السراجي"

مولده ٨٤٥ هـ (ثمانمائة وخمس وأربعين)

دعوته ٨٧٠ هـ (ثمانمائة وسبعين)

وفاته سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشرة)

الإمام المنصور "محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن الإمام يحيى بن محمد السراجي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن سراج الدين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب".

أخذ عن الإمام "عز الدين بن الحسن" و الإمام "المظهر بن محمد" والسيد "إبراهيم بن محمد الوزير"، والفقيه "أحمد بن محمد الخالدي" وغيرهم حتى برز في جميع العلوم وصنف في أصول الدين، وكان آية زمانه في الكرم والعفة والزهد، لم يعمر داراً ولا اقتنى عقاراً، وكان شاعراً وله غيرة على انتهاك المحارم وظلم الضعفاء، ورغبة في الجهاد وشجاعة، ودعوته من قرية القابل في ٦ ذى القعدة سنة ٩٠٠ هـ (تسعمائة).

وفي صفر سنة ٩٠١ هـ (تسعمائة وواحد) قدم بعض التجار بفتح الباري لابن حجر إلى زيد.

وفيها ثار أهل ملص فقتل منهم على بن محمد البعداني نحو المائة وجاء بثلة منهم أسرى إلى عامر فأطلقهم

وفي سنة ٩٠٢ هـ (تسعمائة وإثنين) ظهر أمر الإمام "محمد بن علي الوشلي" وأجابه أهل «ثلا» وغيرهم ولما اطلع السلطان عامر على بعض رسائله انطوى له على الشر ونهض الإمام إلى دمار فقصده قوات عامر فعاد الإمام عنها.

وفيها أمر السلطان "عامر" بالقبض على رئيس الإسماعيلية بتعز الشيخ "إسماعيل بن حسن" لأنه كان يتحدث بالمغيبات التي لا يعلمها إلا الله.

وفيها وفد على السلطان "عامر" مبعوث من مصر بهدايا وتحف فاحتفى به، وكان بمصر خليفة عباسي يُخطب له، ليس له من الأمر شيء تحت رحمة السلاطين

الحاكمين المماليك إلى أن أزالهم السلطان "سليم بن بايزيد العثماني" .
وفي سنة ٩٠٣ هـ (تسعمائة وثلاث) حدثت من يافع أحداث فجهز عليهم السلطان
"عامر" وأوغل في النكاية بهم وتشريدهم واستولى على حصونهم وأمن من طلب
الأمان منهم .

وفيها وقع مطر عظيم وبرَد بوصاب طول الكبار نحو ثمانية أذرع . وفي سنة ٩٠٤ هـ
(تسعمائة وأربع) أغار الإمام محمد بن علي الوشلي إلى حصن هداد فكانت بينه وبين
الأمير علي بن محمد البعداني معركة وسَلَّكَ نحو ألف مقاتل من جنود عامر طريقاً
أخرى وهجموا على محطة الامام من خلفهم فانتهبوها وقتلوا جماعةً ورجع الإمام إلى
قرية القابل ثم ثلا وقبض على قاطع طريق من حَجَر سعيد فقتله مع رجل آخر مثله
وسار إلى الشرف ثم رجع إلى ثلا .

وفيات

"صلاح بن يوسف"

في شوال سنة ٩٠٢ هـ (تسعمائة وإثنين) توفي بشلا السيد العلامة "صلاح بن
يوسف بن صلاح المرتضى" صنو الداعي "محمد" السابق وكان عالماً فاضلاً متكماً
ملازماً لأخيه ومتابعاً له ، بعد وفاة أخيه لزم مكانه حتى مات ودفن بجنبه .

"شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى"

وفي سنة ٩٠٤ هـ (تسعمائة وأربع) وقيل في سنة ٨٩٤ قبلها ، توفي بالظفير السيد
العلامة المجتهد "شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى" . إلخ
عن نحو ٦٤ سنة ، تربى في حجر والده الإمام المهدي عشر سنين ومات والده وقد
حفظ القرآن ومتن الفرائض وغيرهما ، وبعد موت والده نسخ متن الأزهار وتغييه ونسخ
«التاج» لوالده و«تلخيص المفتاح» للقزويني و«الكافية والشافية» وغيرها وتغييها وحافظ
على غيبها إلى وفاته وكان فصيحاً خطيباً يرتجل الخطب على حسب الحال . كتب إليه
المفضل عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد قصيدة أولها :

سرى البرق من هران وهناً فزادني جوى واشتياقاً ذلك البرق إذ شرى
ومن جوابه عليه :

بنفسي من أهدي كتاباً محبباً ودر قصيد فاق حسناً ومنظراً
فلله من طرس تَضَوُّعَ نشوره سحيقاً ورَّياه عبيراً وعنبراً
حبانا به الملك المفضل بعد أن تبحر في علم البليغ وحبراً

ومن تلامذته ولده الإمام "شرف الدين" ، وقبره بقبة والده المهدي بالظفير .

وفي سنة ٩٠٥ هـ (تسعمائة وخمس) ظهر يهودي في بيحان مموها ثرياً والتف حوله أوباش الناس وأصبح مأوى لمن أحدث ، فسار إليه السلطان "عامر" فاخفى وكان قد تكبر وتجبر وركب الخيل بالسروج المفضضة وأيده اليهود ونمى إلى السلطان بمحل اختفائه فبعث إليه من طارده حتى قبضوه وأولاده ومن انضم إليه وجاءوا به ذليلاً إليه فقتله وسار إلى بني أرض بالمشرق فأخذ حصنهم ورجع .
وفي ربيع الأول منها انقض كوكب عظيم شمالي بيت الفقيه فخر على قريه بيت الأكسع وتقطع كالجمر الكبار ووقعت من قطعة على بيت فأحرقته .

"قاسم شريف" (عامر مسجد القاسمي)

وفي سنة ٩٠٤ هـ (تسعمائة وأربع) توفي السيد الفاضل "قاسم شريف بن محمد بن منصور بن يحيى بن علي بن يحيى بن منصور بن مفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين" وكان مشهوراً بالفضل والزهد والعبادة ومسجد القاسمي بصنعاء منسوب إليه وقبره بجواره ويجنبه قبر الامام "محمد بن الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر بن يحيى المظل بالغمام بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى" المتوفي سنة ٩٠٨ هـ (تسعمائة وثمان) كما سيأتي .

وقبر السيد "إبراهيم بن يحيى بن صلاح بن أبي الفضائل بن محمد بن علي بن منصور بن يحيى بن منصور بن مفضل بن الحجاج عبد الله" ، المتوفى ٩٢٠ هـ (تسعمائة وعشرين) .

وفي محرم سنة ٩٠٧ هـ (تسعمائة وسبع) . حصل حريق بزويد من سوق السواد إلى الشبارق وتلفت بيوت وأموال كثيرة .

نهوض "عامر عبد الوهاب" إلى صنعاء

في سنة ٩٠٧ هـ (تسعمائة وسبع) نهض السلطان "عامر" في جيوش كثيرة إلى «ذمار» ثم في شعبان حاصر صنعاء ورمها بالمنجانيقات ونقض مسالمتة وعهوده مع المؤيد "محمد بن الناصر" وكان من شهداء المنجانيقات في ذي القعدة سنة ٩٠٧ هـ (تسعمائة وسبع) السيد العلامة "محمد بن صارم الدين محمد بن إبراهيم الوزير" وقُبر في صرح جامع نصير ومن مرثاة والده :

ووقانا الإله من شر حرب لفتحت بعد فترة من خيال
قتل ابني بها على غير جرم كان منه وقتله كان غالي
رحم الله أعظماً دفنوها صابراً للقضاء على كل حال
ماله ملجأ سوى الله والصبر وفي الصبر حيله المحتال
قائلاً في صباحه وعشاياه ووقت الضحى وفي الأصال
ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

وقال الإمام محمد بن علي الوشلي في تحريض الناس على الجهاد :

أمثلي من يطيب له المنام ويهناه الشراب أو الطعام
وصنعاء المدينة في بلاء احاط بسورها قوم لثام
ذوو الجبر الذين لهم مقال تلازمه الشناعة واللام
إلى الباري أضافوا كل فعل قبيح لا حياء ولا احتشام
وإن رئيسهم رجل غشوم على صنعاء نيته انتقام
وأقسم أنه لا مقام عنه بغير الفتح أو يرد الحمام
كعامر الذي هو جند هذا بغي قداماً فعاجله الصرام
ولسنا تاركي صنعاء ولكن نجى بما به يشقى الآدام
بجيش يطحن الأعداء طحنا شبيه السيل يقدمه الإمام

ثم استعان المؤيد "محمد بن الناصر" وأهل صنعاء بالإمام "محمد بن علي الوشلي" وأمير صعدة "محمد بن حسين الجوفي الحمزي" على دفع عدوان "عامر" على صنعاء فبعث "عامر" "علي بن محمد البعداني" فاحتربوا باليون فانهزم "البعداني" وأقبل الإمام "الوشلي" وأمير صعدة فأحاطوا بمحطة السلطان من كل جهة حول الآكام جنوبي صنعاء فاضطر للصالح واحتمل شروطاً كثيرة وعاد بعسكره إلى اليمن الأسفل خائباً مغبوناً ودخل الإمام وأمير صعدة صنعاء دخولاً معظماً وتلقاهما أميرها المؤيد "محمد بن الناصر" أكرم تلقى وخطب للإمام الوشلي وأقام بصنعاء أياماً ثم سار إلى الجوف ثم صعدة .

وفيات

"محمد بن الناصر"

في سنة ٨٥٣ هـ (ثمانمائة وثلاث وخمسين) توفي بصنعاء إمامها وأميرها المؤيد "محمد بن الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر المظلل بالغمام" عن ٥٥ سنة من مولده وأربعين سنة من قيامه وتملكه ودفن بقبة "السيد قاسم" حول مسجد القاسمي ، أجمع المؤرخون أنه من حسنات الدهر وأهل العلم الغزير والاطلاع الكبير والكرم الجم والعدل والسماحة وله مؤلف في الفضائل يدل على علم واسع ومعرفة كبيرة . أكثر النقل فيه من كتب الحديث المشهورة المتفق عليها ، ومن مآثره «الدار الحمراء بالقصر المشهورة» وغيرها ، ولما مات ارتجت صنعاء بالبكاء عليه وحزن عليه القريب والبعيد وكان الدرس له في المَدُن والقرى وكان يُضرب بعدله ورفقه المثل وقلت في تحفة المسترشدين :

وقد دعا إلى القوي القادر محمد بن المؤيد بن الناصر
مولده في الجيم والخمسينا من قبلها الثمان في المئتين
٨٥٣

وسالم الأعداء في ذاك الزمن حيناً فأمره إلى صنعاء اليمن
فقتلت أجناده لعمامر وقائد الأعداء نجلاً طاهر
وعامر الثاني بعد العهد قد جاءه محاصراً بالجند
فأنشد الحال له صديقاً وما أظن عامراً رفيقاً
ومات في الثمان بعد التسع وقت الحصار فهو وقت النزاع
وقبره في القاسمي بصنعاء وقد بكاه الخلق فيها جمعا

وقام بعد أخوه المنتصر "أحمد بن الناصر بن محمد" .

وفي سنة ٩٠٨ هـ (تسعمائة وثمان) عبرت مراكب البرتغاليين البحر الأحمر نحو الهند فعاثوا وحطموا مراكب في البحر وقتلوا أهلها ولم يتعرضوا لسواحل اليمن . فتجهز من مصر الأمير "حسين الكردي" في خمسين غراباً وسار إلى جدة وغيرها وخرج أمير مكة الشريف "بركات بن محمد" إلى ساحل القنفذة فاراً من أخيه الأمير "أحمد الجازاني" فقبض عليهما الأمير المصري وسار بهما إلى مصر .

"علي بن أحمد بن مكابر الشظبي"

في ربيع الثاني سنة ٩٠٩ هـ (تسعمائة وتسعة) توفي بصنعاء القاضي الحافظ الكبير 'علي بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن مكابر الشظبي المسوري الخولاني ثم الصنعاني' ، كان من أكابر أعلام عصره وأخذ عن القاضي 'علي بن زيد' وغيره وسكن «هجرة البياض وادي مسور خولان» فأقبلت إليه قبائل خولان بالواجبات ، ورحل إليه الإمام شرف الدين إلى خولان فأخذ عنه ثم انتقل إلى صنعاء ومن مؤلفاته «شرح على عمدة المقدسى في الحديث» انتزعه من «شرح ابن دقيق العيد» وزاد فيه أقوال الإمام الهادي وجده 'القاسم الرسي' وغيرهما من أئمة أهل البيت . قال 'المولى يحيى بن الحسين بن القاسم' في المستطاب : رأيت في شرحه على العمدة في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أعطيت خمسا ثم عدته وقال آخرون . . وأعطي الشفاعة ، فقال صاحب الترجمة في شرحه قوله : وأعطي الشفاعة . . أي التي يختص بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي الشفاعة في إراحه الناس من طول المقام بتعجيل الحساب ولاخلاف في هذه الشفاعة . ثانيا الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وثالثها قوم استوجبوا النار فيشفع لهم في عدم دخولها ، ورابعها قوم دخلوا النار فيشفع لهم في خروجهم منها . قال الشظبي المذكور . وفي ثبوتها خلاف بين العلماء ، الصحيح عند من أنصف ثبوتها وكثرتها عقلاً ونقلاً والله أعلم .

وفي سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشر) تحرك السلطان عامر عبد الوهاب لحرب صنعاء ، فهض إلى رداع بجيوش ملأت البقاع يقال أنها زادت على مائة وسبعين ألفا ، فيها ثلاثة آلاف فرس ، فحط أولاً في ضبر حدين جنوبي صنعاء ثم زحف عليها وحصرها وأميرها 'المنتصر أحمد بن الناصر' ورمى صنعاء بالعرادات والمنجنقات ، وأقبل الإمام 'الوشلي' وأمير صعدة 'الحمزي' مغيرين وقال 'الوشلي' :

عشقت وما للبيض والسمر أعشق* ولو كن كالشمس المنيرة تشرق
ولكن عشقت السمر خطيه القنا بيض المواضي لمعها يتألق
هجرت الغواني والمغانى كباني سمعت نداء الدين لو كان ينطق
يقول تداركني هلكت فأحيني فلأنك داع للهدى ومصديق
فقلت له لبيك أبشر فلاني سأسعى بجهدى في الجهاد وأعني

ثم انتهت المعارك بأسر 'عامر' للإمام الوشلي وولده و'يحيى بن محمد بن حسين الحمزي' وانتهاب ما في محطتهم بعد طول الحصار ستة أشهر حتى عمرت دكاكين للبيع والشراء بمحطة 'عامر' . وكان جماعة من أهل صنعاء يخرجون ليلاً فيغيرون

على أطراف محطة "عامر" فأمر أن تبني أسوار على أبواب صنعاء تمنع الدخول والخارج ، فانقطعت عنها المواد وضاق بهم الحال ولم يجدوا بداً من الخروج إلى عامر ، فخرج إليه "أحمد بن الناصر" و"عبد الله بن الإمام المطهر" والأمير "محمد بن عيسى الأسدي" شارب حاملاً للمصحف ولكفته خوفاً لأنه هو الذي قتل السلطان "عامر بن طاهر" فأمنه "عامر" وعفا عنه ودخل "عامر" إلى صنعاء يوم الخميس ٧ شوال سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشرة) فنزل في دار الشريفة "فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين" واشتد غضبه على الأسديين قرابة "محمد بن عيسى" شارب لما سبق ولحقت أهل صنعاء مشقة لدخول الجيش ثم أمر بنقل "أحمد بن الناصر" و"عبد الله بن المطهر" و"محمد عيسى شارب" وذويهم إلى تعز بأهلهم وأولادهم ففاسوا منه ما قاساه "آل الحسين" بكريلاء وتجرعوا أفعاله كرباً وبلاء. وكم من فرق بينه وبين الملك الشهم "المظفر الرسولي" الذي أسر "إبراهيم بن تاج الدين" في المعركة فأحسن إليه كل الإحسان واصطحبه معه إلى تعز كرفيق كريم وزوجه بنته وأسكنه داره وأجرى عليه رفده حتى مدحه بالقصيدة البائية التي منها :

وبعد ذلك جاءوا بي إلى ملك له المفاز والعلياء تكسب
أبو الهزير نقي العرض من دنس ويأذل المال لآزور ولا كذب
فكان منه من الإحسان ما شهدت بنبله فيه عجم الناس والعرب
فمن يبلغ عني كل من سكنت قلبي محبته أو بيننا نسب
إني على خفض عيش في منازل لا يسكن الضيم في قلبي ولا التعب
فلتشكروه فأنني اليوم شاكره سراً وجهرأ وهذا بعض ما يجب

أما "عامر" : فقد خرجوا إليه من صنعاء باختيارهم مؤملين خيره، فلم يلقوا إلا شره والتاريخ عبرة لمن اعتبر وقد لقي "عامر" مصيره قتيلاً شريداً تفرق عنه أصحابه في أكمة الزبيب حول صنعاء في الأكمة التي حاصر منها صنعاء واستقبل بها بكبر وجبروت الخارجين إليه من صنعاء ، وأما "المظفر الرسولي" فأحسن الله خاتمته بعد الملك العادل العظيم .

سجن "الإمام الوشلي" وموته

وأما الامام "محمد بن علي الوشلي السراجي" فأودعه "عامر" سجن قصر صنعاء مقيداً يوم ٢٨ رمضان إلى وفاته في ١٢ ذى القعدة سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشرة) ويقال إنه سمه وأكل سجنانه معه فماتا ، وفي أيام سجنه أجاب على مذكرة الفقيه "يونس بن محمد الرومي الحنفي" الواصل إلى صنعاء بجواب شاف ، قال صاحب «أبناء الزمن» ولم يزل "عامر" يقتل الأشراف الكرام والله من ورائه محيط .

وقال "ابن مظفر" في «الترجمان» : امتلأت البلاد بالظلم والفساد وسبى النساء وهتك الستور وقبض "عامر" من الناس أسلحتهم وخيلهم وعاملهم بالأحقاد وأنزل بهم المحن الشداد واستولى على الحصون إلا «ذي مرمر» و«الغصين» .

وكان دفن الإمام "محمد بن علي الوشلي" في حمى مسجد الوشلي شمال المسجد خارجه عن ٦٥ سنة من مولده وعشر سنين من دعوته وقلت في تحفة المسترشدين :

ثم الإمام الناسك المنصور
البيهس الغضنفر الهصور
محمد البر الولي الوشلي
الزاهد العابد ذو النهج الجلي
مولده في الخمسين وأربعينا
من قبلها الثمان من سينا
وقد دعا في التسع للقبائل
بقرية معروفة بالقبائل
وصال في الأعداء أي صولة
يقود فيها خيله ورجله
ونظمه الداعي إلى الجهاد
وطمس آثار ذوي الفساد
حتى غدا فريسة لعامر
لما أتى بالخيل والعساكر
وموته في السجن بعد الأسر
في العشر بعد التسع يا مستقري
وقبره قريب قبر جد
بوشلي صنعاء ثوى في لحده

وقبره جنب قبر جده الإمام "يحيى بن محمد السراجي" المتوفى سنة ٦٩٦ وفى آخر سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشرة) انتهى من الجزء الأول من «اللالى المضئية» للشرفي .

"الشريفة فاطمة"

زوجة الإمام شرف الدين

في ذي القعدة سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشرة) توفيت بصنعاء الشريفة العالمة الفاضلة الأدبية "فاطمة بنت عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد بن سليمان" زوجة الإمام "يحيى شرف الدين" قبل دعوته، وهى أولى زوجاته وكانت غاية فى الجمال والكمال بارعةً فى كل الخصال ، قرأت «النكت» وجملة من كتب أصول الدين و«شرح ابن هيكل فى العريية» وغيرها وكان لها ذكاء وفطنة خارقان ودين صحيح وورع . وكان راتبها فى أكثر الأيام سبعة أجزاء من القرآن وحفظت الكثير منه غيباً وتزوجها الإمام قبل دعوته فكانت تشاركه فى درس "جامع الاصول" لابن الأثير" وتشارك فى حل المشكلات وابتليت بأمراض من سنة ٨٩٥ إلى وفاتها، وأراد "عامر عبد الوهاب" إنزالها تعز مع والدها ومنعها "عامر" من خروجها من صنعاء إلى زوجها ، فابتهلت إلى الله أن يفرج عنها فتوفيت بصنعاء قبل إنزال والدها إلى تعز ودفنت حول قبر الإمام "محمد بن علي الوشلي" شمالي مسجد الوشلي ورثاها زوجها الإمام بقوله :

هي النفس حنت من شجأها وأتت

فنفيم تلوم العيين إن هي شئت

مراجل حزنٍ في فؤادي أوقدت

فمن فيضها تلك الدموع استهلّت

وهل ينبغي لي أن أرى اليوم سالياً

وفاطمة في باطن اللحد سُلت

عقيلة آل المصطفى الطهر والتي

بكل الأمور الصالحات تحلّت

فليئة قلبي بل سويداء مهجتي

ومطلببي من كل شيءٍ ومنيتي

وما فاطم إلا من الحور أخرجت

لنعرف قدر الحور ثمّة ردت

وقولي فيها مثل قول كثير

وحاشا فطيماً أن تقاس بعزة

فلا يحسب الواشون أن صبابتي

بفاطم كانت غمرة فتجلت

فوالله ثم الله ما حل قبلها
ولا بعدلها من خلة حيث حلت
ولا مر من يوم علي كيومها
وإن عظمت أيام أخرى وجلت

زوجة الإمام شرف الدين الثانية

ثم تزوج الإمام بزوجات منهن زوجته الأديبة الفاضلة التي أقامت بصنعاء وكتبت إلى الإمام إلى الجراف هذه القصيدة الملحونة وقد تزوج بالجراف :

قم يا رسولي على اسم الله فسعيك حميد
أعزم ويادر من القصر المنيع المشيد
إلى مقام الخليفة والملك السعيد
مولي البنادق والأعلام والخيول والعبيد
يحيى الذي به حيي دين الوري واستقام
حامي حمى المجد مؤذي الخصم يوم الخصام
خلد الدفاتر والأقلام والصلاة والصيام
وحيد عمره فما مثله لعصره وحيد
بلغ سلامي إلى المالك رفيع الجنب
وقبل الكف والمصحف وبلغ كتاب
في طي قرطاس منا ذا الشكا والعتاب
ماله رجع يكثر الغيبه وقلبه شليد
واختار عن بعد صنعا مسكنه في الجراف
وصار يكثر لنا الفرقة مع الائلاف
ولا لنا ذنب عنده يوجب الاختلاف
إلا التوقف على رسمه على ما يريد
ما كان يصلح سكونه غير وقت الخريف
وفيه أثمار مجنية وخضرة وريف
لكن سكنها كماله (١) في رباها ألف
شبيه ظبي الفيافي عين حوى وجيد
أبا مطهر فلا ترضى بذل الابتعاد
وأعطف على من يحبك نلت أقصى المراد
ود المودين من طبع الكريم الجواد
وأن كائن النفس في العادة تحب الجليد

(١) كماله : كأن له

أنظر إلى من يقل لك في صحيح المثل
 الصاحب الأول أبقي لك ولا له بدل
 وقد تحولت ياهنا جُمل في جمل
 ميهات مادمح الفضة كطوق الحديد
 ولا ترى في عتايي واغترف ذا المقال
 هذا كما القلب في حرقه وكثر اشتغال
 لكن رضاكم علينا من رضى ذي الجلال
 وقد صبرنا على الفرقة وذل العتيد
 واسلم ودم في سما المجد الأثيل الجميل
 وخصك الله منا بالسلام الجزيل
 ما غرّد الطير في وكره وغنى الهديل
 والله يجلد سعودك كل يوم جديد

فأجاب الإمام عليها بقوله :

وافى نظامك إلينا يا غنيج يا هويد
 يشابه الزهر والدر التنظيم النضيد
 وفيه أنفاس من عرفك تذيب الحديد
 فكيف قلبي وهو لك من أذل العبيد
 والله يا نور عيني يا رشيق القوام
 ما قط أنساك في يقظة ولا في منام
 ويا أخا الشمس يا مخجل بدور التمام
 ولا مُشابه لحبك وسط قلبي نديد
 أما خليلك فقد أشجاء ذاك الكتاب
 وآمهاه (١) والهاه ذياك الشكا والعتاب
 وازداد شوقه وكان من قبل ما له حساب
 لكن حكم المروءة والشرعية سيد
 فقر عينا وطب نفساً ولا عاد تخاف
 سوى سكتا بصنعا أو نزلنا الجراف (٢)
 وقلت ما كان يحسن غير وقت الخريف
 سكوننا فيه لكن قلت حُب الاليف
 الحب باقى للأول يا غنيج يا تحيف
 قد صح عندي بأنك للهراكيل سيد

(١) أمهاه : أذاله

(٢) يبدو أن البيت الأخير من هذا التقفيل غير موجود . (زيد)

يا مخجل الغصن إن ما ماس قلبه وماد
يا من محلك وحبك في صميم الفؤاد
والله ما لي بنغيرك يا خليلي وداد
بل ثوب حبك على مر الليالي جديد

وكيف أنساك يا حالي الحلا والحلل
يا مخجل الظبي الأحوى بالعنق والمقل
ولا تغير فؤادي بل محلك محل
حاشا وكلا وهذا شيء بعيد بعيد
حياة قلبي وصالك يا لذيد الوصال
وأنت كالماء وصافيه اللذيد الزلال
ماقط غيرك شفى غله فهذا محال
ويوم لقياك عندي يا رشا يوم عيد
لا زال برجك فؤادي يا سويجي الكحيل
وأنت في العز ياسامي العنق الطويل
وخصك الله منا في البكر والأصيل
أزكى التحيات منا والسلام العديد

وفي سنة ٩١١ هـ (تسعمائة وإحدى عشر) عاد "عامر" إلى بلاده بعد أن ظفر من صنعاء بمراذه وجعل فيها أناساً من قواده .

"محمد حسن حميد"

وفيها توفي الفقيه العلامة "محمد بن حسن بن حميد المقراني الحارثي المذحجي" (وهو والد الفقيه يحيى حميد الشهير ولم يدرك والده) وكان عالماً فقيهاً وله مسموعات كثيرة ، قرأ على الفقيه "محمد بن أحمد مرغم" وغيره وله شرح على التذكرة موسوم «بالمصاييح الزاهرة لالتقاط لألى التذكرة الفاخرة» ، وله «السلوان المستترع من ابن خلكان» وشرح على «رسالة الحور العين» وشرح في شرح على «البحر الزخار» فمنعه الحمام عن التمام .

الإمام المتوكل يحيى شرف الدين

مولده سنة ٨٧٧ هـ (ثمانمائة وسبع وسبعين)

ودعوته سنة ٩١٢ هـ (تسعمائة واثنى عشر)

ووفاته ٩٦٥ هـ (تسعمائة واخمس وستين)

هو الإمام الأعظم أمير المؤمنين المجدد للقرن التاسع المتوكل على الله "يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل الكبير بن عبد الله الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين" . إلخ .

مولده بحصن «حضور الشيخ» في ١٥ رمضان سنة ٨٧٧ هـ والدته هي الشريفة "دهما بنت الإمام المطهر بن محمد بن سليمان" . ورأى والده في منامه حال حملها قائلاً يقول له : أنا أبشرك بغلام اسمه "يحيى" ورأى غيره من يقول بشر ولد الإمام المهدي بولد اسمه "يحيى شرف" ، فكتب والده ووالدته إلى جده المطهر فأشار بتسميته بالإسمين فعُرف بـ "يحيى شرف الدين" من صغره وأكمل القرآن بذاً لادن جده "المطهر" وهو في نحو ثمانين سنين ثم رجع إلى «الظفير» فأخذ في فنون العلم به وبصنعا و«خولان مسور» وغيرها عن الفقيه "عبد الله بن أحمد الشطبي" والفقيه "عبد الله بن يحيى الناظري" و "عبد الله بن مسعود الحوالي" و "علي بن يحيى بن صالح العلفي" و "محمد بن إبراهيم الظفاري" و "عبد الله بن علي بن محمد قرش" و "قاسم بن يوسف والهادي بن محمد بن إبراهيم الوزير" و "علي بن أحمد بن مكابر الشطبي" وعن والده "شمس الدين" والإمام "محمد بن علي الوشلي" ومسموعاته واجازاته كثيرة ، ومن أجل تلامذته ولداه "عبد الله" و "علي" ، و "محمد بن عبد الله بن أحمد بن الهادي بن الإمام يحيى بن حمزة" و "عبد الله بن القاسم العلوي" و "المهدي بن علي بن أحمد الهادي" وأخواه "صلاح" و "أحمد" ابني "المهدي" و "محمد بن عطف الله" و "عبد الله

بن محمد بن داود الغشم "و" عبد الله بن ناجي بن يحيى "و" علي بن عبد الله رافع "وأخوه" محمد" و" يحيى بن حميد" وغيرهم وكان أبيض الوجه ، أقني الأنف ، أجلى الجبهة ، أنجل العينين ، ربعة من الرجال بهي المنظر ، خفيف الحركات ، وله من التصانيف : كتاب «الأثمار في فقه الأئمة الأطهار» ممن شرحه شيخ الإسلام "محمد بن يحيى بهران الصعدي" فى أربعة مجلدات بالأدلة وذكر الخلافات .

وشرحه الفقيه "يحيى حميد" شرحاً جيداً والقاضي "عبد الله رافع" والفقيه "صالح بن الصديق النمازي" إلى كتاب الحج في ثلاثة مجلدات . وشرح "مقدمة الأثمار" للإمام نفسه وابنه عبد الله وغيرهما . وله رسائل وأجوبة ومسائل عديدة وله صناعة فى أنواع الشعر من الغزل والرثاء والفخر والمدح وحسبه قصيدته السائرة «قصص الحق بمدح وذكر معجزات سيد الخلق» وهى إلى مائة وخمسين بيتاً منها :

لكم من الحب صافيه ووافيه
ومن هوى القلب باديه وخافيه
أتم حلول فؤادي وهو ببيتكم
وصاحب البيت أدري بالذي فيه
قد طار روحي معاكم يوم رحلتكم
وذا تلافى فجلدوا في تلافيه
لا طيب للعيش إلا في جواركم
فقربكم لغرام القلب شافيه
يا حادياً بالمطايا نحو ذي سلم
ياما أحيلاك حالاً إذ توافيه
به توافي بدور الحي من ثعل
بدور تم لنور البلر تخففيه
طارحهم من نظامي فى صفاتهم
نظما يزيل لظى قلبي ويطففيه
وإن مررت بسفح الطود من أضمر
التم ثرى السفح محياه وما فيه
وحين تبصر مصحوباً بعافية
سلمك فسلم عن بوايه وبوايه
عساه يلدو لكم من بلره خيم
فحببنا في بوايه وبوايه

ماذا نحاول من أرجاء كاطمة
 من المغفاري ابن لي إيش تبغيه؟
 صرح بمغناك في سلع وفي أضم
 فليس عندهما معنى تكنيه
 أما ترى منهما أنوار طيبة قد
 علت لنازح رائيهما ودانيه
 أنوار منزل من أنوار منزله
 من حضرة القدس لا تنفك تأتيه
 محمد المصطفى المختار حجه
 على البرايا وقاصيه ودانيه
 العاقب الحاشر المختار أحمد
 والذكر المبين منزل الكفر ما حيه
 من كان يخترق السبع الطباق على البراق
 لا شيء عن مرقاه يشنيه

إلى أن قال في آخرها :

وكم ثنائي لمن جاء الشناء لهم
 في الذكر في غير فصل في مثاليه
 وكلهم عندهم ذلك رضي ثقة
 حتم محبته حتم توليه
 إلا أناساً جرى من بعدهم لهم
 أحداث سوء وماتوا في أئافيه
 من ردة ومروق والخروج عن الأمر
 إلهي والقسط المنافيه
 ما قلت إلا الذي قد قال خالقنا
 في ذكره ورسول الله حاكميه

فكل حادثة في الدين قد وردت
 وفتنة وامتحان من أعاديه
 في محكم الذكر والنقل الصحيح عن
 الرسول في لفظ تنصيص وتبنيه
 لا سيما عند قرب الحوادث
 الجلل المريع للدين والإسلام باديه
 من مثل ما كان في حج الوداع وفي
 يوم الغدير الذي أضحي يشنيه

أبان في نصه من كان خالقنا
له يوالي فمن هذا يعاديه

وهو الحديث اليقين الكون قد قطعت
بكونه فرقة كانت توهيه
وقال قد أقبلت يا قومنا فتن
لكم كمعترك الإظلام داجيه

وقد شرحها ولده "عبد الله" في مجلدين ضخمين اسمه (فتح العلي الحق ،
بشرح قصص الحق) وشرحها أيضاً القاضي "محمد بن يحيى بهران" والسيد
"عثمان بن علي الوزير" وغيرهم وختمها الشيخ "عبد العزيز عز الدين بن علي
الزمزمي المكي الشافعي" بتخمين سماه قصب السبق أوله :

ملئ ورقي كاس الحب ساقيه
فاشرب وبع بالهوى كم ذا تُعطيه
شرب يسلم وقل يا رب واديه
لكم من الحب صافيه ووافيه
ومن هوى القلب باديه وخافيه

وللإمام سيرة جامعة للفقهاء "الحسن بن محمد الزريقي" وسيرة للفقهاء "صلاح بن داود بن
علي بن داعر المرهبي" وهي أحسن من «سيرة الزريقي» لأن «الزريقي» إنما جمع حوادث
ملازمته للإمام من سنة ٩٤٠ هـ وما بعدها وللفقهاء "حسين العلفي" الجزء الأول من حين دعوة
الإمام جمعه السيد "محمد بن إبراهيم بن المفضل" في كتابه (السلوك الذهبية في خلاصة السيرة
المتوكليه اليعقوبية) في مجلد ، وللفقهاء "صالح بن الصديق النمازي" منظومه في نسب الإمام
وشرحها السيد "أحمد بن عبد الله بن أحمد الوزير" .

دعوة الإمام

"شرف الدين"

في جمادي الأولى سنة ٩١٢ هـ (تسعمائة وإثنى عشر) دعا الإمام من «حصن
الظفير» وبث رسائله إلى اليمن فأجابها أكابر العلماء ووصل إليه الأعيان أرسالا
وخرج من الظفير في جمادى الآخرة إلى جهات «مسور لاه» وسار إلى

«حجة» وجهاز إلى «الحيمة» وغيرها وصرف ما وصل إليه من الزكاة في مصارفها .
وفيها استفتح "عامر" «حصن ذي مرمر» وعمل الزينة لذلك في المدن نصف شهر .
وفيها مات بتعز محبوبساً "أحمد بن الناصر بن محمد" و"محمد بن عيسى شارب" .

الشراكسة في البحر الأحمر

والسواحل اليمنية

وفي محرم سنة ٩١٣هـ (تسعمائة وثلاث عشر) وصلت ثلاثة أغربة وغيرها من المراكب الشراعية عليها الشراكسة من جنود السلطان "قانسوه الغوري المصري" إلى جيزان وتزودوا منه طعاماً وساروا في مدافعهم وبنادقهم إلى جزيرة كمران ففتحوها ثم إلى عدن وأظهروا أنهم خرجوا من جدة مغاضبين لقومهم وتابعهم في ربيع الثاني حملة ثانية في ثلاثة مراكب شراعية والأمير "حسين الكردي" ولما وصل ساحل عدن أرسل رسولا إلى عامل "عامر" بعدن "مرجان الظافري" يستأذن بالدخول إلى وادي حقات بالساحل فأذن له فدخل بأدب واحتشام وأرسل مرجان إليه رسولين فأكرمهما "الكردي" غاية الإكرام وبعث معهما بهدية سنية لمرجان وقال لهما أبلغاه السلام وقولا له لولا أن السلطان "قانسوه" أخذ عليّ ألا أدخل عدن لدخلت إليه ومثلت بين يديه ثم أخذ ما يحتاجه وسار بعد الفرنج العابرين البحر الأحمر إلى الهند .
وفيها احتل النصارى جزيرة هرمز من بلاد فارس وأمنوا من فيها .
وفيها ولادة "عبد الله بن الإمام شرف الدين" .

قبض جنود "عامر" لظفر والفصين

وفي ربيع الثاني سنة ٩١٤هـ (تسعمائة وأربع عشر) قبضت جنود "عامر" حصن «ظفر بني وهاس» وحصن «الفصين» و«العروس» و«الريشة» .
وفيها خرج الإمام إلى «بلاد الشرف» فصلح أكثرها وكان جنوده نحو خمسمائة رجل وستين فارساً واستولى على الدير وانتقل إلى «المحاشة» .
وفيها ولد "شمس الدين بن الإمام" ، وحرر الإمام رسالة بالغة إلى "عامر" بشأن ما كان من تشريده عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفرغهم في «زيد» و«تعز» .

و«جبله» و«آب» و«عدن» فلم يرفع "عامرا" إلى ذلك رأسا .

وفيات

صارم الدين إبراهيم الوزير

في ١٢ جمادي الآخرة سنة ٩١٤هـ (تسعمائة وأربع عشر) توفي بصنعاء السيد الإمام "صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير" عن ثمانين سنة وهو إمام المعقول والمنقول وصاحب التصانيف المفيدة منها «الفصول اللؤلؤية» في أصول الفقه و«هداية الأفكار إلى مذاهب الأئمة الأطهار» وفيها زيادة على ما في الأزهار و«الفلك الدوار في الحديث» جمع فيه بين روايات أهل البيت والمحدثين وفي أوله مقدمة في رجال الزيدية ، قال الفقيه "يحيى حميد" : ذكر فيها كثيراً ممن ناصر أهل البيت وروى عنهم ولم يكمل لوفاته وله مختصر في «المعاني والبيان» . والبسامة المسماة «جواهر الأخبار» وله اطلاع كبير على أخبار الأولين والآخرين وقرأ بصنعاء وصعدة ومشايخه وتلاميذه كثيرون وله إجازات ، وكان لا يكفر بالإلزام وتجرجع غصصاً من السلطان "عامر" في سنة ٩١٠هـ (تسعمائة وعشر) حيث فرق بينه وبين أولاده وأنزل ابنه "أحمد" إلى «تعز» و "الهادي" إلى «رداع» .

البسامة وذيولها

وبسأته إلى نحو مئتين وأربعين بيتاً في الأئمة الدعاة من العترة في اليمن وغيره إلى زمنه وأولها :

للهر ذو عَبرٍ عَظمى وذو غير
وصرفه شامل للبدر والحضر

وفي آخرها :

أجر النبي على إرشاد أمته
حب القربة فاغتم أفضل الأجر
وكن بعروة أهل البيت ملتزماً
فالذكر والأك منجاة لمذكر
ولا يصدك عنهم قول منحرف
الناس أميل نحو العاجل الحضر

وذيّلها السيد "داود بن الهادي المؤيدي" بنحو عشرين بيتاً ذكر فيه سبعة أئمة أوله :

لله درك من علامة علم أرزي نظامك باليقاقسوت والدر

ثم ذيلها السيد "أحمد بن محمد الشرفي" بثلاثة وثلاثين بيتاً ذكر فيه "القاسم بن محمد" وولده المؤيد أولها :

ثم ابتدا الدعوة الغرا من قمر

إمامنا القاسم المنصور في صفر
وشرح الجميع بكتابه الحافل "الآلئ المضيئة" ثلاثة مجلدات ضخمة ، ثم ذيل
القاضي "مهدي بن محمد المهمل" بنحو خمسة وخمسين بيتاً ذكر فيه "الحسن" و
"الحسين" ابني "القاسم" وموت "المؤيد" وقيام المتوكل "إسماعيل" أوله :
أزال بالعزم كل الترك عن يمن

على يدي صنوه المشهور في السير
ثم ذيل البسامة "السيد عبد الله بن علي الوزير" من عقيب بسامة جده إلى وقته بنحو
مائة وثلاثين بيتاً وأوله :

وفي ابن وهاس الداعي وقائنا

والبحيوي إمام الثار والاثار

قضت بنصر وخذلان ولا عجب

فالملك ما بين مخنول ومتصر

ثم ذيل السيد "محمد بن إسماعيل الكبسي" بزيادة على مائة وعشرين بيتاً ، ذكر
"المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد" و "الناصر محمد بن اسحق" و"المتوكل
إسماعيل بن أحمد المغلس" و "الهادي أحمد بن علي السراجي" و "الحسين بن
علي المؤيدي" و"الناصر عبد الله بن الحسن" و "المنصور أحمد بن هاشم"
و"المتوكل المحسن بن أحمد" وشرحه بالعناية التامة شرح ذيل البسامة وأوله :

فوب من الشهداء أو سمط من الدر

أم سحر يابل أم بسامة الثغر

وفي سنة ١٣٧٠ هـ تيسر لي تمتة بمتين واثنين وأربعين بيتاً اشتملت على ذكر
"الهادي شرف الدين" و"المنصور محمد بن يحيى حميد الدين" وابنه "المتوكل
يحيى" وأبنة "الناصر أحمد" والحوادث من سنة ١٢٩٥ هـ إلى سنة ١٣٦٩ هـ وأولها :
بسامة العترة الداعين بالعصر

تضمنت عبراً عظيماً لمعتبر

وذي تَمَتَّها في سلكها نظمت
 أئمة اليمن الميمون في عمري
 هادي الوري فأمير المؤمنين محمد بن يحيى
 فشمس الدين خير سري
 وما بأعوامهم من (غرة)
 ١٢٩٥
 فإلى العام المؤرخ (من الله بالطفرة)
 ١٣٦٩

وفيات

السيد "أبو بكر عبد الله العيدروس"

في شوال سنة ٩١٤ هـ (تسعمائة وأربعة عشر) توفى بعدن الشيخ الشهير السيد "أبو بكر عبد الله العيدروس باعلوي الحسيني الحضرمي" عن ٦٣ سنة وله شهرة كبيرة من حين وفاته إلى الآن وجامعه بعدن من أجمل الجوامع واحياها ، وفي ترجمته بـ «النور السافر عن أخبار القرن العاشر» للسيد "عبد القادر العروس" أنه أقام بعدن نحو ٢٥ سنة ومات بها وأنه كان يذبح في سماءة بكل يوم من رمضان نحو ثلاثين كبشا وكان عليه من الديون نحو مئتي ألف دينار قضاها عنه قبل وفاته الأمير "عبد الله باحلوان" ومشهده بعدن مشهور مزور يتسابق الناس إلى قبر أمواتهم بجانب قبره في مقبرته وممن قبر بها :

"عباس بن علي اسحق"

وفي سنة ١٣٦٥ هـ انتقل من «تعز» إلى «عدن» للتداوي الأخ العلامة الماجد الأديب المفضل "العباس بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن اسحق بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم" فتوفى بعدن ودفن جوار قبر "العيدروس" ، وكان كريما لا يدخر شيئا فلزمته ديون قضاها المحبون له ، الذين تولاهم بعدل وشفقة وإحسان بحراز ، ووسع مسجدهم وأجرى لهم الماء وهم أهل قضاء حراز ، ثم لزمته ديون أخرى لصرفه في المستحقين وعدم تمكينه من بيت المال وكان أحق من يلزم تمكينه منه ففضى الديون الأخيرة عنه الإمام "أحمد" ولمعرفتي لفضله المعرفة التامة أيام جهاد الأتراك بخولان وغيرها ضببت تاريخ موته بقولي :

مات في ثالث وعشرين مرت

من جمادى الأولى ضياء الهداة

التقي العباس ذو النسك

والباس حليف الإحسان والحسنات

بعد عامين تلوسنين أمضاها
أبو أحمد حميد الصفات

بين نال وطالب العلم
في "حوث" كثير الترداد للآيات
ونبيل بر عفيف لطيف
وزعيم مجاهد في الجهات
وامير مستند مستقيم
محسن مصلح جزيل الصلات
وخطيب وكاتب وإمام
لإمام الأئمة في الجُمُعات
حاكم فيصل أديب أريب
شاعر مرشد إلى الخيرات
مات في عدّة غريباً شهيداً
أرخصوه بعاشر الأبيات
في جمادى العباس نجل علي
٥٠٥

سبط إسحق دام في الجنات
٨٦٠

١٣٦٥

و ترجمته الوافية في «نزهة النظر» الموسع :

وفي رجب سنة ٩١٥ هـ (تسعمائة وخمسة عشر) كانت ولادة "عز الدين بن الإمام" .
ومازال الامام يث الرسائل للإعانة على إقامة الحق بأقوى الوسائل .
وفيها فقدت مراكب السلطان "عامر" عند رجوعها من الهند ولم يبق منها إلا مركب واحد.

"محمد بن حسين الحمزي الجوفي"

وفي سنة ٩١٥ هـ (تسعمائة وخمسة عشر) توفي بصعدة أميرها الشريف الماجد
القمام "محمد بن الحسين بن علي بن قاسم بن الهادي بن محمد بن أحمد بن
المنصور عبد الله بن حمزة" . وهو من الأمراء الكبار وكان والده قد تملك صعدة
وتولاها في سنة ٨٦٦ هـ ثم تولاها أخوه "الهادي بن علي" إلى أن قُتل سنة ٨٧٣ هـ

ثم تولاها ٤٢ سنة الشريف "محمد بن حسين" .
 وفيها زلزلة بزبد تقلبت منها الآتية من الدفوف وظهر في السماء آخر الليل نور أبيض
 على هيئة قوس قزح نحو ١٣ ليلة ثم اضمحل .
 وفي سنة ٩١٦ هـ (تسعمائة وستة عشر) أمر السلطان "عامر" بنفي جماعة من زبید
 من المتظاهرين بالفسوق وأخرب بيوتهم وأهرق خمورهم ، وقد شكوا إليه بعض أهل
 زبید أن ولديه قتلا بسبب هذه المنكرات .
 وفيها أرسل الشيخ "حمزة بن عبد الله الناشري" إلى السلطان "عامر" كتابه « انتهاز
 الفرص في الصيد والقنص »

وفيها قدم "زين الدين" المحتسب بهدية من سلطان مصر "قانسوه الغوري" إلى "عامر"
 برداع فقبله بالإكرام وأرسل معه هدية ثمينة وفيلين ولعل هذه المراسلة والمهاداة للمحاولة
 على التعاون على خطر البرتغال الذين غزوا البحر الأحمر وطريق الهند وأنشأوا مراكز حرية
 وتجارية في موزامبيق وجرا ومسقط وجزائر الهند الشرقية وغيرها .

"أحمد بن إبراهيم الوزير"

في ربيع الأول سنة ٩١٦ هـ (تسعمائة وستة عشر) توفي بتعز محبوساً السيد الحافظ
 "أحمد بن إبراهيم بن محمد الوزير" عن ٥٢ سنة وكانت له معرفة تامة وفصاحة ووجاهة ،
 وكان من أعظم أعوان الإمام "محمد بن علي الوشلي" وعادته الأمراض بتعز وهو مقيم
 على التدريس بجامع تعز ، وكان والده يرق له كثيراً وكتب من «تعز» إلى والده :

كلما هبت جنوب وصببا

من تعز زاد قلبي وصببا

يا بابلنا التي قد سبقت

وقضينا من هواها عجباً

يلرعنا كن الهي كلمبا

قبرخ قمروري تغنى طرباً

هل أراكن بعهدى حُفظا

أم تناسيتن ما قد ذهبنا

ثم حال الحول منا بعدنا

باقتران مثلما أيلدي سببا

ومن جوابات والده :

على أحمد منا سلام مضاعف

سلام خليل غاب عنه خليله

وقفنا على نظم أتى منه رائتي

تضمن ما يشفي القلوب فصوله

وبالغ في شكوى تفرق شملنا
 وشق به أمر البعاد وهوله
 فانهب عنه الله ذلك عاجلاً
 فقوته تكفيه ذاك وحوله
 وما الأمر الا مثلما قال جده
 وقد راق في أسماعنا ما يقوله
 إذا كنت عبداً للاله ولازماً
 لنهج قوم مستنير سبيله
 ومالي إلا أن يشاء مشيئة
 كذلك قال الله ثم رسوله

خطيب صنعاء "أحمد الشاوري"

وفيهما توفي بصنعاء خطيبها الفقيه البليغ "أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم الشاوري" صاحب الخطب البليغة ، ترجمه العلامة "أحمد بن عقبة" وأورد له مرثاة في العلامة "محمد بن أحمد عقبة" منها :

سلام على الدنيا سلام وناع
 فمعايشها إلا قليل متاع
 سهام المتايا في مقاتل أهلها
 تضرعهم حتى شليد صراع
 وتقصي عن الأبناء وجه أبيهم
 وما بينهم إلا كقييد فراع
 تحول على أهل الممالك صولة
 تقود برغم الأنف كل مطاع
 وآلوت بمن في الأرض شرقاً ومغرباً
 وأودت بمـرعي ومن هو راعي

فهل يا عباد الله معتبر بما
 يراه وبالأخبار عند سماع
 وهل صارف عن هذه الدار وجهه
 وساع إلى ما فيه يحمد ساعي
 له من عقال العقل عنها صوارف
 ونحو الذي يبقى لديه دواعي

فما الناس إلا هالك وابن هالك
وما بين منعي إليه وناعي

ولو زاده فضل عن المـرء أو تقيّ
وتنجاه مجـدد أو تطاول باع
لجانب سوح الماجد الأكرم الذي
فضائله تروى بغـير نزاع
... إلخ .

قال في النور السافر : وفيها حصل في «عدن ولحج وأبين والمسيلة» وجهاتها مطر عظيم من نصف الليل إلى عصر ، تفجرت الصهاريج وسال الماء إلى البحر وخرت بيوت كثيرة وذهبت إبل وبقر وغنم وزروع
وفيها تكررت الزلازل يزيد ثلاث مرات بشدة وأنقض كوكب عظيم نهاراً من الشرق وحصلت رجفة كالرعد الشديد وزلزلت موزع ونواحيها

وفي سنة ٩١٧ هـ (تسعمائة وسبعة عشر) خرج "علي بن محمد البعداني" عامل صنعاء للسلطان "عامر" إلى بلاد "نهم" فقابلوه بالحرب فقتل بهم وقتل خمسين رجلاً وسار حتى تسلم «جبل الملح» وأوغل حتى وصل «الجوف» ثم رجع إلى «ذيبان أرحب» وفتك بعيال "عبد الله" وتقدم إلى «ذيفان» ورمى حصنه بالمنجنيق . وقتل شخص بثلا عدواناً فأدبهم بالوف الدنانير ثم وصله أمر السلطان باستلام حصن «النعيـره - الناصره» . فدبر الحيلة حتى استلمه فأقبلت القبائل وأحاطت بالحصن وكان "ابن ناصر الدين" صاحب «كوكبان» بصعدة فأقبل مغيراً على «ثلا» واستصرخ الأشراف ، فوجه "النظاري" نائب "البعداني" من صنعاء خيلاً ورجلاً وأعانه صاحب همدان بألف رجل ومع "البعداني" سبعمائة فارس وعشرة آلاف رجل فدوخ «ثلا» وأسر ابن "ناصر الدين"

وفيها دخل الإفرنج إلى عدن فقتل كبيرهم المسمى "عين البقر" على يد أميرها "مرجان" الذي عمر «قبة العيدروس» بعدن وقبر بجانب العيدروس .

وفي سنة ٩١٨ هـ (تسعمائة وثمانين عشر) انتقل السلطان "عامر" من المقرنة إلى تعز ثم زيد وترجح له أن يقبض نصف غلات الأوقاف للدولة فدخل نقص كبير على الفقهاء والمتعلقين بالأوقاف وشملهم الضرر فابتهلوا بالدعاء إلى الله على السلطان فلم تطل مدته وسيأتي كلام "الديبع" في ذلك سنة ٩٢٣ هـ (تسعمائة وثلاث وعشرين) .

وفيها كثر الموت وعم الفناء يزيد حتى بلغ عدد الموتى في اليوم الواحد مائة ، ومات جملة من الأعيان .

البرتغال في سواحل اليمن

في ليلة الجمعة ١٧ محرم سنة ٩١٩هـ (تسعمائة وتسعة عشر) لم يشعر أهل عدن إلا وفي الميناء ثمانية عشر مركباً بالرجال والعتاد فأسرع عامل عدن إلى تحصينها وجهاز السلطان جيشاً إلى عدن تعزيزاً لقوته ومكث البرتغال يدبرون الحيلة فوضعوا السلاسل وورقوا على السور وتمكن بعضهم من الدخول ، فهرع عاملها والجند والأهالي وأثخنوهم ضرباً وقتلوا جماعة وأسروا أربعة وحالوا بينهم وبين السلاسل فانهمز البرتغال من الميناء وأحرقوا ما كان بالميناء من مراكب واتجهوا إلى «باب المندب» ثم «المخا» ، ثم «البقعة ميناء زبيد» ثم الحديدية وفي كل ميناء يحاولون النزول ولكن البلاد كانت محصنة والناس واقفون بالمرصاد للبرتغال فخابت آمالهم واتجهوا إلى «كمران» ودخلوها عنوة وقتلوا من كان بها من أصحاب السلطان، ثم راحوا وأخذوا يجوسون خلال البحر الأحمر ، وكان لذلك ارتياح في القلوب ونزع إلى الله بالدعاء في الصلوات وخطبة الجمعة والتحذير ، ثم صرفهم الله عن اليمن .

وفيها تواطأت جماعة بالفتك بعامل صنعاء "علي محمد البعداني" فانكشف أمرهم فعاقبهم أشد العقاب .

وفيها رجع السلطان "عامر" من «زبيد» إلى «تعز» ووفد إليه أشرف صعدة فقابلهم بالإكرام واستخلف ولده "عبد الملك بن عامر" على «تعز» وسار إلى «المقرنة» .

وفي سنة ٩٢٠ هـ (تسعمائة وعشرين) توجه السلطان إلى صنعاء فدخلها يوم سلخ شعبان وخاطب أهلها بتسليم مال وضرائب فتضرروا فتراجع وبعد أيام صمم وأحدث مظالم وبدعاً وضرائب وحاول الاستيلاء على صعده فلم يتم وكان قد وصل إليه أشرفاها طائعين فجهز معهم أميراً وجندا فاعترضهم في الطريق الشريف "الحمزي الجوفي ابن البهال" فخرج "البعداني" لاستقذاهم وإعادتهم إلى صنعاء وتسلم «حصن ذيفان» و«ظفار» وملك السلطان من نقيل عجيب شمال البون إلى عدن . (وعند التنهاهي يقصر المتناول)

وفيها حصل مطر عظيم وبرد بزييد وريح شديدة كادت تقلع البيوت واجتحتف السيل أكثر من مائة إنسان وآلاف من الإبل والبقر والغنم والحمير ومات بالبرد جماعة ، وبعد ذلك وجد الطعام وقد كان عدم .

وفيات

"عبد الله الناظري"

في سنة ٩٢٠ هـ (تسعمائة وعشرين) توفي بـ «ثلا» وقبر غرب مدرسة الإمام شرف الدين بجانب قبر "اللوزي" و "الصعدي" و "الحسوسة" وغيرهم القاضي العلامة "عبد الله بن يحيى الناظري بن محمد بن الناظري بن محمد بن أحمد بن خليفة بن الناظري بن محمد بن منصور بن محمد بن جعدان بن علي بن الصياد بن الدقاق بن علي بن عبد الله بن جابر بن فاتك بن فيصل بن محمد بن زيد بن حبش بن نشوان بن منصور بن الأجدع بن عبد الله بن عروة بن مالك بن هلال بن عمرة بن يوسف بن معيار بن كعب بن سلم بن عمرو بن منصور بن شاور بن قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد الأكبر" ، كان إماماً في الفقه والفرائض ، له شرحه المشهور في «الفرائض على المفتاح الفاضل» للعصيفري وحصل له حظ عظيم بقراءته ونسخه الطلبة حتى لا يخلو منه طالب مثل حظ (شرح ابن مفتاح على الأزهار) ، وكان عالماً فاضلاً له سؤالات إلى الإمام "عز الدين بن الحسن" أجاب عنها الإمام . وتولى القضاء للإمام "شرف الدين" وله أنظار في كثير من المسائل منها مسألة من ملك غيره الطلاق لا يصح منه التطليق لديه ، ودار بينه وبين الإمام "شرف الدين" مراجعة كبيرة فمن شرى لنفسه ما عيّن له الموكل وهي مسألة مشهورة .

ومنها ما ذكره له صاحب الفتح (١) في باب المأذون في قوله :
ويستويان في ثمنه .

وفي أول سنة ٩٢١ هـ (تسعمائة وواحد وعشرين) أغار أهل الزيدية بتهامه على الضحى فهزمهم عاملها "عيسى الحجري" .

الشراكسة في كمران

في جمادي الأولى سنة ٩٢١ هـ (تسعمائة وواحد وعشرين) بعث السلطان ولده "عبد الوهاب" عاملاً على «زيد» فلبث بها إلى ذي القعدة وبلغه وصول العساكر المصرية الغورية فكتب إلى أبيه فأمر بمنع توجه

(١) هو العلامة الكبير يحيى بن محمد المقراني الحارثي . (زيد)

الميرة إلى شام تهامة ، وكان رئيس الأجناد الغورية الأمير "حسين الكردي" الذي مكث بجدة كثيراً ، وله بها مظالم شهيرة وعمر سورها بأنقاض بروج هدمها ومما يحكى من طغيانه بها أنه تأخر أحد البنائين قليلاً فوضعه فى جوف البناء وكان قد سار إلى «كجرات» بالهند فاحتفى به سلطانها "خليل شاه بن السلطان محمود شاه" وتنقل فى بحر الهند والبحر الأحمر وعاد إلى «كمران» .

ولما وصل كتاب "عبد الوهاب" إلى أبيه السلطان إلى صنعاء أزعجه ، وتوجه إلى «رداع» وعيد بها الأضحى وأطلق من سجنونه "بني طاهر" وأظهر لهم التودد وقد لاحت عليه لوائح الإدبار .

وكان عامل السلطان "عامر" على «الliche» "الفقيه ابكر الزيلعي" قد انصاع إلى الشراكسة وكاتبهم وخطب على منبر اللحية للسلطان "الغوري" فأغدق عليه الشراكسة ومنحوه الهبات الكثيرة وأعمل الحيلة فى احتلالهم اللحية ووادي مور وانضم إليهم رجال بلاد الزيدية بتهامة وهي واسعة وهم موتورون من السلطان "عامر" واشتركوا مع الشراكسة فى مناجزة السلطان .

مكاتبة الإمام شرف الدين للشراكسة

أرسل الإمام "شرف الدين" إلى الأمير "حسين الكردي" الفقيه "صلاح الدين" وأحال التفاصيل على لسان رسوله الفقيه ومعه مكتوب منه :

وبعد فكتابنا هذا لتعريف الأمير بأننا لم نزل إلى الله سبحانه مبتهلين ، ولما لديه من الفرج منتظرين ومتجردين ، لدفاع هذا الجائر ، وجهاده مع عدم المعين والناصر ، وخذلان أهل الزمان القاصر ، وميلهم إلى الأطماع الحقيرة ، وزخارف الباطل الفاضحة المبيدة ، حتى تمكن هذا الظالم الغشوم ، وأوقعهم من الخزي والوبال فى اقصى التخوم ، وشمل بشره الغوي والبري والشجي والخلي ، وتتبع بجوره ومكره أعيان البيت النبوى ، ولم يبق فى سلطانه لأهل البيت باقية ، ولا أجيبت لهم داعية ، حتى بددهم هذا الظالم فى البلاد .

وفرق منهم بين الآباء والأولاد ، فترى الله سبحانه أنه قد وفقكم لمشابهة من قال الله تعالى فيهم ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ﴾

ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴿ إلى أن قال : والحث لكم على استدراك هذه البقية ، من عثره نبيكم الطاهرة الزكية ، من يد هذا الطاعي وأعوانه . إلخ ومع المكتوب قصيدة منها :

إذا أوليتُ بعد الله مصـ
سنا شكري فمما أولى واحـ
لقد أجرى المهيمن من لديهم
علينا أنعماً غُـراً وزُـهـرا
أُتـنا غارة من مصر أهل النبي
رعت لنا نسباً وصـهـرا
بـمـكين لأهل البيت مـمن
نكاهم جـهـرة قـتـلا وأسـرا
وتطريداً وتشـريداً وهـونا
كأنهم أتوا فـحـشـا ونـكـرا
وأعظم ذاك شـيـبة آل طه
وأكثر نسلهم نسباً وقـلـدا
بلا جرم سوى أن قام يدعـو
إلى ما كُلفوا نهـيـا وأمـرا
تمكن عامر منه فأضـحـى
يحاول قتله سرا وجـهـرا
فمات بمكره فردا وحـيـدا
وإن الله أسـرع منه مـكـرا

ومراده بشيية آل طه الإمام " محمد بن علي الوشلي " .

جواب "عامر" الأهوج على الشراكسة

وبعد وصول رسول الإمام الفقيه " صلاح الدين " إلى الأمير " حسين الكردي " قابله بالإكرام واستشار أصحابه فأشاروا بتبقيّة رسول الإمام والكتابة إلى السلطان " عامر " يستمد منه الإعانة على حرب الإفرنج ، فلما وصل الكتاب مع رسولين إلى عامر فقال الأمير علي بن محمد البغداني المغرور : أنا أكفي السلطان الجواب وطلب الرسولين إليه وأغلظ لهما في القول وتوعدهما

وشتمهما وقال لهما لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما ، وكان السلطان منقاداً لآراء "البعداني" فتحقق الأمير "الكردي" صحة ما كتبه الإمام وأجاب عليه ووعد النصر .

ارتجاع جنود عامر

لبنادق الشراكسة في أول خروجها

ولما رمى الشراكسة بندر «الحديدة» بالبنادق والمدافع وهي أول ما خرجت إلى اليمن ارتاع لها جنود "عامر" ووجفت القلوب وفرت جنود "عامر" وأهل الحديدة شذروا ، واحتل الشراكسة الحديدة ، وأرسلوا بقذيفة المدفع الضخمة إلى «زيد» ، وأخذ الشراكسة من «الحديدة» الأخشاب والأبواب إلى «كمران» وبنوا بها حصناً عظيماً وجبانه وصلوا فيها صلاة عيد الأضحى . وكان منع السلطان للميره عن الشراكسة من أسباب توجههم عليه وكانت وصلت لهم ثلاث سفن طعام من «زيلع» فحيرها "محمد نوح" عامل الحديدة عملاً بأمر "عامر" فأرسل "الكردي" إلى عامل الحديدة لإطلاق السفن بالطعام فلم يسعد فتوجه بسفنه إلى الحديدة ورماها بالمدافع حتى أحرقها .

وكان قد توجه عامل «الحية» "الفقيه أبكر الزيلعي" الذي انقلب مع الشراكسة بمائة جندي من الشراكسة بالبنادق إلى «مور» ، وفيه من جهة السلطان "عامر" الأمير "محمد السنبلي" فلم يكن بأسرع من هزيمة جنده وقتله مع جماعة من أصحابه . وطلب أهل الزيدية من الأمير "حسين الكردي" طائفة من عسكره لقبض خراج بلادهم فأمدهم بطائفة قصدوا بهم قرية الضحي فهزموا عامل "عامر" بها والتجأ بقية عسكره إلى الغانمية .

حرب «زيد»

واستيلاء الشراكسة عليها

في سنة ٩٢٢ هـ (تسعمائة وإثنين وعشرين) بعث السلطان "عامر" أخاه "عبد الملك" إلى «تهامه» فخرج من «زيد» بقوة عظيمة ، وكان "الأمير الكردي" في ألف مقاتل بالبنادق ومعه الشريف "عز الدين بن دريب" صاحب «جيزان» فاشتد القتال وقاتل "عبد الملك" بنفسه قتالاً أبان عن شجاعة وهلكت تحته ثلاثة من الخيل وقتل بعض أعيانه وأربعة

عشر من الشراكسة ورجع "عبد الملك" إلى "زبيد" فتبعه الشراكسة في الإثر فحطوا بقرب "زبيد" ومعهم كثير من عرب «تهامة» .
ثم زحفوا إلى «باب النخل» من مدينة «زبيد» ضحى ١٩ جمادى الأولى سنة ٩٢٢ هـ (تسعمائة وإثنين وعشرين) فخرج إليهم "عبد الملك بن عبد الوهاب" وابن أخيه "عبد الوهاب" ابن "عامر" فقاتلوا قتالا شديداً حتى أصيب "عبد الوهاب" برصاصة بندق فانهزم عسكره وحُمِلَ إلى الدار السلطانية بزبيد وتبعه عمه "عبد الملك" فجعله بين يديه وتوجه إلى «باب الشبارق» وقد اصطففت الجنود لأسره فحمل عليهم بمن معه حتى نجا بابن أخيه وبعض أعيانه وساروا إلى «تعز» فمات بها "عبد الوهاب" من جراحته .

ما ارتكبه الشراكسة بزبيد

ودخل الأمير "الكردي" زبيد بجنده العديد فانتهبوها وسفكوا الدماء وأباحوها وهتكوا المحارم وفعلوا العظام ، قال صاحب «روح الروح» :
وحصل على «زبيد» مثلما حصل على أهل «الحرّة ويثرب» من "يزيد" وجيء بالتجار إلى "الكردي" فصقّدهم في الأغلال إلى أن يسلموا ما كنموه من الأموال وجيء بالحاكم الشرعي فجلده وقيد ومات بعد ثلاثة أيام .

ولما استقر "الكردي" بالدار السلطانية بزبيد أمر بالكف عن النهب فلم يمثل الجند لأمره واستمر النهب ثلاثة أيام ودخل العسكر البيوت وأخرجوا منها أهلها ، وبقي "الكردي" بزبيد ٢٧ يوماً ثم خرج إلى "بندر البقعة" بعد أن صادر الأغنياء بزبيد بعشرة آلاف أشرفي ذهباً وأرسل للفقير "إسماعيل بن جعمان" صاحب بيت الفقير فطالبه بمال نمي إليه أنه لديه وديعة للشريف "العفيف بن سفيان" من زعماء الدولة العامرية فأنكر فضربه بالسياط وسجنه فمات .

فرار "حسين الكردي" من جنده

كان قد وعد جنده أن يعطي كل واحد منهم مئتي دينار أشرفي بعد الاستيلاء على «زبيد» فشحت نفسه ، فهمّ الجند بقتله ، فأظهر أنه يريد الخروج إلى «بندر البقعة» ليأتيهم بالمال الموعود به ، ثم أبحر إلى

«زِيلَع» فأصلح مراكبه وشحنها بالماء والزاد وسار إلى «عدن» ، وفيها "مرجان" عامل السلطان فوقعت الحرب الشديدة وقتل من الفريقين عدة حتى وصل "عبد الملك بن عبد الوهاب" مغيراً ففر الجند المصري إلى «البقعة» ثم إلى «جده» وقد خسر أميرهم "حسين الكردي" أكثر أصحابه ومنيته له بالمرصاد فقد اندحر الشراكسة بمصر ودخلها السلطان سليم العثماني" وشق آخر ملوكهم وأمر شريف الحجاز وقد وصل إليه إلى مصر بقتل "الكردي" ومطاردة الشراكسة وإجلائهم ، فنقذ شريف مكة أمر السلطان "سليم" فأخذ "الكردي" وقيدته وألصقه بحجر ونبذه إلى البحر طعمة للأسماك جزاءً وفاقاً وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء .

وأما الشراكسة بزييد الذين فر منهم "الكردي" فإنهم عمدوا إلى اختيار واحد منهم يقال له "برسباي" وأمروه عليهم واستعدوا لمواصلة غزوهم فخرجوا إلى حيس يعيثون ويقتلون .

آخر تقدم للسلطان "عامر"

سار "عامر" من «المقرانة» إلى «آب» ثم تقدم إلى «بلاد زييد» ، فخافه الشراكسة وطلبوا منه الصلح فلم يساعدهم ، وقد صام رمضان هنالك ، وتقدم إلى «الترية» فخرج إليه من «زييد» الشراكسة يوم تاسع شوال سنة ٩٢٢ هـ فوق القتال العظيم ذلك اليوم واليوم الثاني والثالث وتولى "عامر" الحرب بنفسه ولم يثبت معه غير ولده "أحمد" وخاله و"الفتي ريحان" وانكسر عنه العسكر فهجم الشراكسة على محطته وانتهبوها ، ففر ولم يلحقه الشراكسة لاشتغالهم بنهب الأموال والآلات ، ثم سار "عامر" إلى «تعز» وقد لمع بارق هلاكه وهدم ملكه الشامخ والحاقه بأهل الخورنق والسدير ، وإصابته بما أصاب "مروان الحمار" في بوسير .

استيلاء الشراكسة على «تعز» ثم «المقرانة»

وفي محرم سنة ٩٢٣ هـ توجهت الشراكسة إلى «تعز» ففر "عامر" إلى «آب» بدون قتال واستولوا على «تعز» ورتبوا حصنها وفعلوا فيها أعظم مما فعلوا بـ«زييد» ثم توجه أميرهم "برسباي الغوري" إلى «المقرانة» فسبقه "عامر" إليها ، فأخرج منها حريمه وما خف من أمواله ونفائسه وتوجه إلى «الحلقة» وأخذ الشراكسة ما في «المقرانة» من الأموال

والذخائر وهي كثيرة وظفروا بجماعة كان عندهم ودائع للسلطان "عامر" فأخذوها واستقر الشراكسة بـ «المقرانة» أياًماً وخرج أميرهم "برسباني" يوماً إلى بلد «آل عمار» بالنادرة فاجتمعوا عليه وأمدّهم الله بنصره فقتلوه مع جماعة من عسكره ورجع بقيتهم إلى «المقرانة» فأقاموا لهم أميراً هو "اسكندر بن محمد الكردي"، وظفروا بالفقيه "عمر الجبرتي" سمير السلطان "عامر" ونديمه فدلّهم على دفائن "عامر" من الذهب والفضة والجواهر ونفائس الذخائر فقبضوها وقتلوا "الفقيه الجبرتي".

تقدّم الشراكسة إلى صنعاء

وقتل "عامر" بأكمة «الزبيب»

ثم تقدم الشراكسة قاصدين صنعاء فأعترضهم بعض القبائل فأوقعوا بهم وقتلوا منهم في حدود «بلاد ذمار» فما وهن الشراكسة لما أصابهم من قتل القبائل لهم ، ونفذوا مع أميرهم اسكندر إلى قاع صنعاء وعاملها لعامر «علي محمد البعداني». ولما بلغ "عامر" قتل القبائل للشراكسة في الطريق حول «ذمار» استخفه الفرع وخرج إليهم من صنعاء بمن معه فبرز الشراكسة لقتاله عقيب خروجه وقبل نزوله فثبت معه أخوه "عبد الملك" فقاتل حتى قتل "فطاش" عقل "عامر" وفر فريداً ذليلاً وأراد أن يقصد «حصن ذي مرمر» لأنه كان في حوزته فتلقيه رجل من «سعوان» يُعرف بـ "ابن الزلابيا" فأسره من أكمة الزبيب وسلمه للشراكسة فاحتزوا رأسه وتركوا جسده ملقى على الرغام يطأه الناس بالأقدام ، كأنه لم يكن ذلك الملك المهيب عند الصدام ، ولا خفقت على رأسه الأعلام ، فتباً لملك هذه غايته ، وقبحاً لنعيم زائل هذه نهايته . وكان قتله ضحى الجمعة ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ عن ٥٧ سنة من مولده سنة ٨٦٦ هـ «بالمقرانة» وعن ٢٩ سنة من ملكه وأسر الشراكسة ولده "أبو بكر بن عامر" وأبن أخيه "عامر بن عبد الملك" ورفعوا رأس السلطان "عامر" ورأس أخيه "عبد الملك" على رؤوس رماحهم وتقدموا بهما إلى سور صنعاء فلما عاينهما عاملها "علي محمد البعداني" إنخلع قلبه وذهب إليه وطلب الأمان فأمنوه وفتح لهم أبواب صنعاء فدخلوها ثم مالوا على من فيها فقتلوا من حماتها وأجنادها ألفاً وخمسمائة نفر وقبضوا أموال

عاملها "البعداني" وذخائره وصادروا التجار وجرى على أهل صنعاء ماجرى على بغداد من التتار حتى قيل إنهم كانوا يجبرون أهل صنعاء على حمل دنان الخمر من السائله -محل اليهود- إلى القصر .
قال مؤلف سيرة الإمام "شرف الدين" ومن العجائب أن قضية "عامر" مع الشراكسة كقضية الإمام "محمد الوشلي" مع "عامر" في ذلك المكان ، وفي مثل ذلك اليوم ، وفي مثل تلك الساعة فسبحان من لا يزول ملكه .

وقال صاحب «أنباء الزمن» وعلى الجملة فإن الشرح يطول ويذهل العقول مما جرى من هذه الفرقة الغورية التي سلطها الله لاستئصال شأفة الطائفة العامرية وأما مدحهم في بعض التواريخ فللجري على مدح الملوك .

وبحادثة قتل السلطان "عامر" وأخيه ختم العلامة المؤرخ "الديبع الزبيدي" كتابة «قرة العيون» وقال أظن أن سبب زوال ملكه تعرضه للأوقاف ورثاهما بقوله بعد ما رأى من الشراكسة :

أخلاي ضاع الدين من بعد عامر
وبعد أخيه أنفع الناس للناس
فمذقوا الله والله أننا
عن الأمن والسلوان في غاية اليأس

حسنات السلطان "عامر"

وسيئاته

كل الناس تقريباً لهم حسنات وسيئات ولعبرة التاريخ تذكرتهما ، فمن حسناته أنه كان على جانب من التدين ملازماً للتلاوة والأذكار ، كثير الصدقات ، له مآثر من مساجد ومدارس وله مشاهد في الحروب لاسيما ضد الأجانب وكان ذا حذر وحزم . إلخ .

ومن سيئاته تعرضه للأوقاف واقتطاعه نصف غلاتها له للمكائره مع أنه في فضل وغنا وبذخ ، وغزوه على قبائل المعازيب والزيدية وغيرهما بتهامة ، وأخذ غلات الأوقاف أضّر بالعلماء والمتعلمين وأهل العهد وموظفي الأوقاف حتى ابتهلوا إلى الله بالدعاء عليه . وكان في بطأته

رجال سوء وظلم كالبعداني يتابعهم ، وشبه الشيء منجذب إليه حتى كان زوال ملكه وهلاكه باتباعه أراء " البعداني " الهوجاء . ومن سيئاته نقضه لعهود الأمير الفاضل " محمد بن الناصر " وقسوته وغلظته على الأشراف الذين خرجوا إليه إلى أكمة الزبيب مختارين ولم يفروا إلى صعدة أو غيرها مؤملين خيره ، فما لقوا إلا شره وفرقهم في الحبوس كما ذكر الإمام " شرف الدين " في رسالته للأمير " حسين الكردي " وكان عامر طماعاً جمع لنفسه ثروات من أرض ودور وأثاث وذخائر وذهب وفضة . ومن جهله ومخالفته للسنة تشييده للقبه الفخمة بزخارفها البالغة على قبر الولي " ابن علوان " يفرس حتى زاد من جهل العامة إلى حد الشرك مئات السنين ، وعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وقد سبق في ترجمة " ابن علوان " في سنة ٦٦٥ هـ قصيدة شاعر اليمن الزبيري في ذلك :

كذلك المجد إما رافعاً علماً أو باعثاً أمماً أو هادماً صنماً
..... إلخ .

نهوض "الإمام شرف الدين" لقتال الشراكسة

بعد أن أسرف الشراكسة في فظائعهم ومظالمهم بصنعاء كما سبق ، نهض الإمام شرف الدين لقتالهم واستئصال شأفتهم وطغيانهم . ففي ربيع الثاني سنة ٩٢٣ هـ نهض الإمام من حصن الظفير إلى ثلا باستدعاء من الليث الدودحي عامل السلطان عامر على ثلا فعظم على الشراكسة بصنعاء وصول الإمام إلى ثلا ، فخرجوا لقتاله حتى حطوا أثقالهم في أسفل عقبة ثلا مما يلي قاع حوشان وأرسلوا إليه رسولاً على أنهم يتركونه في ثلا ويتركهم في صنعاء وطلبوا منه الاجتماع لتسامم الأمر ، فنهض إلى باب ثلا وقد اجتمع لرؤيته الملاء فدنا منه الليث الدودحي وقد صار من أعيان أنصاره والمحبين له فقال له : كيف الثقة بهذه الفئة التي ما برحت تنقض العهود وتخالف أمر الملك المعبود ، فالحزم في ترك العزم فمال الإمام إلى هذا الرأي الصواب ، فقال الليث الدودحي للناس : أيها الناس أن مولانا الإمام قد ثنى عن الخروج إلى هؤلاء الأقوام فمن

أحب الجهاد معه فَعَلَ ، ومن أراد الانفصال انفصل فأرتفع الشراكسة إلى النعيرة ، الناصرة ، وفتحوا الحرب على الإمام وأصحابه فدافعوهم وأمد الشراكسة أميرهم من صنعاء الاسكندر بعسكر عظيم بقيادة عبد الملك بن محرم العنسي . وفى خلال ذلك وصلهم خبر استيلاء السلطان سليم بايزيد العثماني على مصر وقتله لسلطانهم "قانصوه الغوري" وتمزقهم شر ممزق واستيلاء السلطان سليم على بلاد مصر والشام فسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ذلوا وحق بهم سيئات ما مكروا .

فخارت عزائمهم ، ورجعوا إلى صنعاء بعد أن طلبوا من الامام رجلين فأرسل إليهم السيد "عبد الله وهّاس الحمزي" والشيخ "حسن عبد الله أسمعيل الهمداني" وتم الكلام على الصلح وعودهم صنعاء كاتمين خبر سقوط ملكهم بمصر ثم لما شاع الخبر بصنعاء لاذ أميرهم الاسكندر بالخداع والتمويه فطلع منبر جامع صنعاء وخطب للسلطان سليم وبالغ في مدحه والثناء عليه وأظهر أنه من أتباعه وأنصاره وأراد بذلك الاحتماء من ثورة غضب الناس على هذه الفئة الظالمة التي أَعْتَتَهُمْ وأخضعتهم ثم تجهز للرحيل من صنعاء . نحو «زيد» بثلة من أصحابه وقتل بصنعاء "علي محمد البعداني" قبل مغادرتها فأعرضه قبائل جيش ومخلاف الشواني فقتلوا بعض أصحابه وأتتهبوا جميع ذخائره وأمواله ونقوده وجواهره الكثيرة التي أجتحفها من بين طاهر وعمالهم والتجار وغيرهم فاستعادتها القبائل فى لحظة وأستنقذ دار الأمير عامر عبد الملك بن عبد الوهاب ونجا الاسكندر إلى زيد أما بقية الشراكسة بصنعاء فكانت توالى غزو القبائل حول صنعاء فساقتهم الاقدار إلى بنى بهلول ، فتألبت عليهم القبائل وضربوهم ضربة قاضية ورجع بقيتهم إلى صنعاء فمال عليهم أهل صنعاء وأوغلوا فيهم قتلا وتعذياً جزاء بما كانوا يعملون .

وإذا جلت الذنوب وهالت

فمن العدل أن يهون الجزاء

دخول "الامام شرف الدين"

صنعاء وتهنئته

لما نكل أهل صنعاء بالشراكسة فزعوا إلى الامام فأستدعوه لدخول صنعاء فتوجه إليها حتى حطّ في عصر فخرج إليه أهل صنعاء بقضيتهم وقضيتهم فبايعوه يوم السبت ثامن شوال سنة ٩٢٣ هـ وأستقبلوه أستقبال حامي حمى الدين وخليفة سيد المرسلين ورفعت إليه قصائد التهاني منها قصيدة شاعره "موسى بنى يحيى بهران الصعدي" أنشدتها بأعلى صوته في منبر الامام من عصر إلى صنعاء مسافة نحو ميل .. منها :

بات سـمـيـري والبرايا هـجـود
بلر تجلى في ليالي السـمـود
ما كان أحلى سـمـري عنده
حتى كـأنـي في جنان الخلود
لمـقـلتـي في خـلـده جنة
محـفـوفـه بالنار ذات الوقود
يا مـوقـد النار بقلبي مـتـى
تطفئ لظاها برضـاب برود
قد كنت أولى من أراك الحـمـى
بالرشف لوان بخـيـلا يـجـود
أو لو قضى بالعدل ما بيننا
قاضي وقامت لي عليه الشهود

إلى أن قال :

جاري من الجوار إمام الهـدي
أكـرم من زُفّت إليه البنود
خليفة الرحمن في أرضه
مبارك الوجه كريم الجود
برّ تقي من بني المـصـطـفي
إمام حق سـاعـدته الجود
قالت له الأيام إذ أقـبـلت
ما أحسن الوصل عقيب الصلود
وليست الدنيا له بغـيـة
ولو بـلت في زي خـود خـرود
وإنما قام لنصر الهـدي
بهمة ما برحت في صـعـود

فأهلك الباغين حتى ثووا
 استبدلوا بعد القصور اللحدود
 وأصبحت صنعاء من عجبها
 ترفل في مستحسنت البرود
 والشعر ولى ملبراً خائفاً
 منهزماً يقسم أن لا يعود
 فقل لمولانا إمام الورى
 أكرم من سارت إليه الوفود
 يا شرف الدين وقبيت الردى
 ودمت تحمى بالحداد الحودود
 لا غرو إن سدت جميع الورى
 مثلك يا بحر الندى من يسود
 فضلك مثل الشمس مشهورة
 لبس لها من مشبه في الوجود
 ما أحد والاك إلا على
 وأشرق أيامه وهي سود
 لو ثعلب كنت له عاضداً
 قام على الليث بسيف وعود
 الخ .

"الهادي الصغير الوزير"

في محرم سنة ٩٢٣ هـ (تسعمائة وثلاث وعشرين) مات أسيراً بتعز السيد العلامة
 "الهادي بن صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي
 الوزير" عن ٦٨ سنة ودُفن بتعز وكان قد أنزله السلطان "عامر" مع غيره من السادة
 الاعلام ، وكان "الهادي" علامة كبيراً تصدر للتدريس ونشر العلوم وممن أخذ عنه
 الامام "شرف الدين" وغيره قال في «الطبقات» كان محقق المحققين وله مآثر بصنعاء
 حسنة لما ولّاه الامير "أحمد بن الناصر" وكان هو الواسطة بينه وبين السلطان "عامر"
 فخرج إلى السلطان إلى «أكمة الزبيب» وأشترط في تسليم صنعاء شرطاً وعهوداً منه أن
 يخرج "أحمد بن الناصر" إلى «ذي مرم» باهله وامواله وشرط الاهل صنعاً اماناً عاماً
 وللجند بصنعاء ومن يتعلق بالدولة موافق فنكت "عامر" بعهوده وعجب حيث لم يذكر
 "الهادي" نفسه واهله لشرف نفسه وشهامه قلبه فأجله "عامر" وعظم لديه فاحترمه
 وابقاه معه في «رداع» وجنبه بتعز التي مات بها كثير من الاسرى السادة وكان "الهادي"
 في سفره تؤخذ عنه الفتاوى ويرضى بأقواله القاصي والداني وألزمه "عامر" بالسفر معه

إلى جهات «زيد» في آخر تقدّم له على الشراكسة إلى التّريّة وكان قد اعتذر «الهادي» بالألم فلم يعذره وسار معه مكرهاً ثم عاد من تهامه مع «عامر» إلى «تعز» حيث توفي بها وقيل مسموماً وقبره بالاجيناد بجانب غيره من السادة جوار قبه ضريح الامام «ابراهيم بن تاج الدين» ورثاه السيد «محمد بن المرتضى بن محمد بن أبي الفضائل» بقصيدة منها :

أبلغ هُنيئَ مقام السّاده العلماء
 أن (الأجيناَد) حاز العالم العلما
 وعزّهم في الذي عزّت مراتبه
 وقد اعزّ الهللى والدين والامما
 كم شيد الله من علم به وهدى
 وكَم عن الحق قد تجلّى به الظلما
 وكَم به نضح الايمان وارتفعت
 به العلّى وازاح الكرب والغُمما
 لله ملحاَز من فضل ومن همَم
 بها على النجم حط النصل والقُدما
 حُبِر وعى صدره بحرا يفيض ومن
 أخلاقه الغر آداب لمن علما
 بفقده صارت الاكباد ذائبه
 وقلّ من كل عين أن تفيض دما
 فيا شملته صبيّ اللمّوع اسى
 فلقه ركن دين الله قد هلما
 وأصبح الدرر ذا هم وذا كرب
 يكي عليه وقلما طال ما ابتسما
 ما كان الا إماما عالما علما
 من بعده حبل هذا الدين قد قصما
 الحمد لله نرضى ما يُريد ولا
 نبلى له جرعا في حادث جَسُما
 يا قاصدا لأزال لا رأت غيراً
 وامطر الله فيها الخير والنعمما
 أبلغ إلى عز دين الله تسليّة
 وقل عن الموت من ذا عزاً أو سلما
 صبرا ففي الصبر خيرات مضاعفه
 وعز نفسك يا ابن السّاده الكرما

ملامات من أنت يابن الشم تخلفه وخذ نظاما كعد الدار قد نظما

ولعله ارسلها إلى ابنه بصنعاء السيد "محمد بن الهادي "

"عفيف الدين عبد الباقي"

وفي محرم سنة ٩٢٣ هـ (تسعمائة وثلاث وعشرين) توفي مفتي «تعز» وفتيها ومُدرسها الفقيه العلامة "عفيف الدين عبد الباقي بن سليمان الطويل" .

"موسى بن زين العابدين"

وفي محرم سنة ٩٢٣ هـ (تسعمائة وثلاث وعشرين) أيضاً توفي مفتي «زبيد» وعالمها الكبير الفقيه العلامة "موسى بن زين العابدين بن أحمد بن أبي بكر الرداد البكري الصديقي الشافعي" قال في النور السافر: كان بحراً من بحار العلم وجبلاً من جبال الدين رئيس أقرانه وشافعي أونه .

"تقي الدين عمر جعمان"

وفي ربيع الثاني سنة ٩٢٣ هـ (تسعمائة وثلاث وعشرين) توفي في بيت الفقيه بن عجيل بتهامه الفقيه العلامة الكبير الصالح "تقي الدين عمر بن محمد بن أبي بكر جعمان" .

الحوادث بعد دخول الإمام صنعاء

في أول سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) أجمع السيد "الحسن بن عز الدين بن الحسن المؤيدي" صاحب حصن «مدع» و«حضر كحلان» والأمير "محمد بن الشوع" وبقية الشراكسة على حرب الإمام فقصدوا «ثلاً» وفيها السيد "عبد الله بن بحبي صلاح" عاملاً للإمام فأمده الإمام من صنعاء بطائفة من الجند فأنتقض أمر الخارجين على الإمام وعاد كل منهم إلى موضعه ثم توجه عامل «ثلاً» السيد "عبد الله" إلى الإمام ومر ببلاد «حضور» فخطبهم بمال للجند وتقدم إلى صنعاء فاستقبله الإمام وحصل من بعض أصحابه تعديت بصنعاء بعد «حضور» مع ما كان يبلغ الإمام عنه من رضاه عن أمور صدرت من بعض أصحابه فأمر الإمام بالقبض عليه فوصل أخوه السيد "أحمد بن يحيى" فأودعه الإمام مع أخيه منزلاً من منازل «قصر غمدان» وأجرى عليها الكفاية الفاضلة ثم أطلق الإمام أخاه "أحمد" ثم ثار جماعة من أصحابه وخرج السيد "عبد الله" وأولاده وأصحابه إلى «ذي مرمر» وفيه بقية من أصحاب السلطان "عامر" فأكرموا وعرض للإمام مرض فطمع السيد "عبد الله" في أخذ صنعاء

ووصل بنحو مأتي نفر إلى مسجد صلاح الدين بصنعاء وتقدم إلى باب القصر فصده أمير القصر وهاجمه أهل صنعاء فأراد الفرار من باب شعوب فوجده مغلقاً فرجع إلى داره فأحاط به عسكر الامام وأهل صنعاء ووقع قتال قُتل من المهاجمين أربعة وعشرون ومن أصحاب السيد "عبد الله" ثمانية وأربعون ثم أُسر هو وأولاده وبعض أصحابه وأودعوا الدار الحمراء بالقصر، . وأما "عز الدين المؤيدي" والشويع والشراسة فعادوا لحرب ثلاثاً فقابلهم جند الامام ودحروهم بعد أن قتلوا منهم نحو خمسة وعشرين ثم أضْمَحَلْ أمرهم .

أول غزوة غزاها "المطهر بن الامام"

في سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) تحرك الشيخ "عامر بن عبد الملك عبد الوهاب الطاهري" على ذمار ثم سار «رداع» وحاصر بها أبْن عمه "الشيخ محمد بن أحمد بن عامر بن عبد الوهاب" في حصن «رداع» . فجهز الامام ولده المطهر وعمره ست عشرة سنةً وهى أول غزوة غزاها فدخل ذمار بعسكر جرار ثم سار إلى رداع لتخليص "محمد بن أحمد الطاهري" فصالحه "عامر بن عبد الملك" على يد "ابن النظاري" وفارق «رداع» قبل وصول "المطهر" إليها ، ولما دخلها "المطهر" قرر أمورها وتركها بيد "أحمد بن محمد الطاهري" وعهده ورجع إلى صنعاء ظافراً .

فتح الامام لحصن كوكبان وغيره

وفيهما تسلم الامام حصن «القص» وحصن «خليل» ثم توجه إلى حصن «كوكبان شِباء» فاستلمه من "عبد اللطيف الحجاجي" وكان فيه من أيام السلطان "عامر" فدخله الامام بغير قتال في ٢٠ شوال سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) ومما قيل في تَهْنِئَتِهِ :

فتح الله بالهنا كوكبانا
لامام أحـمى الهدى وأبانا
أن خير الفتوح ما سَكَنَ الشر
وأطغى الحروب والنيـراتنا
بارك الله للامام وهنائه
وبواه فى المـمـالى مكنا
هكنا هكنا والا فـلـلا لا
تَسْتَرِدِ الامانة الايمانا
شرف الدين أنت للدين عـين
ولهـا كنت بالرضى إنـسـلـنا
يا ابن شمس الهدى الاتم خـصـالاً
وكـمـالا ونجـسـده وامـانا

وكان في حصن «بيت عز» ببلاد «كوكبان» الأمير "عبد الله بن ناصر الحمزي" فطلب من الامام ولاية كوكبان وكان قد تولاه أيام آل طاهر فلم يسعده الامام ففر إلى حصن «بكر» منابذاً فاستفتح الامام حصن «بيت» وأخرب حصنه «عز» ورجع إلى كوكبان في ٢٥ شوال وقال السيد "محمد بن المرتضى" .

ظفرت برايتي نصر وعز
يا خراب المخالف بيت عز
لقد أصلحت أنساد الاعادي
وقد وقعت ظباك على المحز
فأصبح للورى مثلاً عجيباً
كتمثيل النجاة سعيد كرز
محبك خادم لك بالتهاني
وخصمك في المآتم والتعزي
بقيت تزيد دين الحق رفعا
وتحمي الحق من خفض وهمز
وتمطر مــــر يؤملك الايدي
ومزن بليك من ذهب وخز
وتجمع شمل أهل البيت جمعاً
يسر فيه هادي وحمزي

ثم سار والامام إلى حصن «بيت ردم» فاستفتحه وكان بيد السلاطين السلميين وهو من المعادل المشهورة ثم رجع صنعاء ظافراً .

"أحمد بن علي بن الهادي"

في رجب سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) توفي به «قفل مدوم» من بلاد الشرف السيد العلامة الكامل المفضل "أحمد بن علي بن الهادي بن علي بن سليمان بن أحمد بن الحسن زُغيب بن علي بن عبد الله زُغيب أيضاً ابن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن الناصر أحمد بن الامام الهادي يحيى بن الحسن" عن ٤٧ سنة من مولده . وكان من أكابر العلماء أخذ العلوم به «جبل الالهونم» ثم بصنعاء مدة ١٤ سنة عن أكابر الشيوخ ثم في بلاد «حجة» وغيرها درساً وهو من حجج الله ترجمه "أبو الرجال" في «مطلع البدور» و"يحيى بن الحسين" في «المستطاب» ومن تلامذته الاعلام الفقيه "سراج الدين نسر ابن أحمد بن نسر

الاهنومي " والسيد " أحمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم الوزير " والفقير " سعدني صلاح الحجي " من " ميين " والقاضي " علي بن محمد بن سليمان بن محمد بن الحسن النحوي " وغيرهم وقد جمع بين العلم والعمل والكرم كان كعبة القاصدين وكهف الوافدين والمسترشدين .

"ناصر بن يحيى بن محمد"

وفي جماد الأولى سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) توفي بصنعاء السيد العلامة "ناصر بن يحيى بن محمد بن المهدي بن علي بن المرتضى ابن المفضل بن منصور بن العفيف الوزير" كان من أفاضل الاعلام تولى للامام "شرف الدين" أعمال وقبض واجبات «بلاد شطب» و«الاهنوم» و«حجور» وغيرها وحضر الامام للصلاة على جنازته وتشيعه وبعده مات أولاده وأنقطع عقبه .

الاستيلاء على بلاد المؤيدي

في سنة ٩٢٥ هـ (تسعمائة وخمس وعشرين) توجه الامام من صنعاء لقبض البلاد التي كانت تحت السيد "الحسن بن عز الدين بن الحسن المؤيدي" فأستولى على «قارن» و«كحلان تاج الدين» وبلاد «الطرف» وأقام الحصار على حصن «مدع» . وفي جماد الآخرة سنة ٩٤٥ هـ (تسعمائة وخمس وأربعين) خرج من صنعاء إمام مسجد الفليحي السيد "أحمد بن محمد بن الهادي بن سليمان ابن يحيى بن أحمد" داعياً إلى نفسه قال السيد "محمد بن إبراهيم بن المفضل" في «سيرة الامام» : كان امام مسجد الفليحي ليس بطعان ولاضراب فخرج داعياً باغياً وكان قد أخذ في علوم القرآن وأختصر «الكشاف» ونقلت عنه أقوال منها : جواز نكاح فوق الاربع ، وقال صاحب «أبناء الزمن» : ثم أنتقل من «الخيمة» إلى «جبل اللوز» بـ «خولان» فأسره عامل الامام في محل يعرف بـ «محالين» وأرسل به إلى الامام بصنعاء فسجنه بالقصر ثم تاب وندم فأطلقه ولم يعيش بعد ذلك إلا أياماً قلائل وفيها نقض العهد "أحمد بن محمد بن عامر بن طاهر" وغزا إلى ذمار وظن أن الامام في شغل بحرب بني المؤيدي فوصل إلى «ذمار» في مائة فارس وجنود فلما رجع الامام إلى صنعاء من المغرب شن عليه الغارات فالتجأ إلى شيخ "بني مسلم" وكان من انصار الامام فأخذ له الامان . وفيها خرج الامام لصلاة الاستسقاء وقد أصاب الناس جدد عظيم فوقع المطر في ذلك اليوم وعم أكثر البلاد .

مسير "المطهر" إلى جبل «تيس» وغيره

في محرم سنة ٩٢٦ هـ (تسمائة وست وعشرين) سار "المطهر بن الامام" إلى جبل «تيس» و«المغرب» فأستلم حصونها «كالا حجل والوقيعين» وأصلح أمورهم ورجع في ربيع الأول وهناك القاضي "موسى بن يحيى بهران" بقضده منها :

ضحكت فرحةً مدينة سام
وسما قدراها على كل سامي
وتناهى في الحسن عملان حتى
خلته من قصور دار السلام
وتغنت أطيارها من سرور
بقدم المطهر بن الامام
الفتى الماجد المهام الذي فاق
على كل ماجد وممام
الذي أن سطا فليث وأن جاد
فغثيث على البرية هامى

الخ ...

عمارة «مسجد المدرسة» و«قصر ذمار»

«فتح ذي مرمر» وقراءة البحر

في سنة ٩٢٦ هـ (تسمائة وست وعشرين) كان ابتداء عمارة الأزهر المعروف بالمدرسة بصنعاء وكان مسجداً صغيراً من السيئات يقال له الأزهر أمر بينائه بصنعاء الصحابي "سعد بن أبي وقاص" وكان عظماء الصحابة يبعثون في عمارة مساجد على نفقاتهم في البلاد الاسلامية ووقف الامام بجانب المدرسة مقبرة قبر فيها أعلام كالسيد "محمد بن عبد الله الحوثي" والسيد "علي بن عبد الله بن المطهر" و"إبراهيم بن الامام شرف الدين" ثم السيد "زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم" والسيد "محمد بن اسمعيل الامير" وغيرهم .

وفيهما كانت عمارة قصر «مدينة ذمار» واستلام الامام لحصن «ذي مرمر» وكانت البشرية لفتحه ونظمت أشعار التهاني ... فمن قصيدة للفقير "محمد ناصر" :

ثم فتح الفتوح والله أكبر
بمسمى محروس حصن ذي مرمر
كان تاريخه لست وعشرين
وتسع من المئتين تُهَجَّر

وفيهما كان ابتداء سماع القاضي العلامة "محمد بن عبد الله رادع" وغيرهم على الامام كتاب «البحر الرخا» من أول كتاب الاحكام ثم إلى آخر الكتاب وكانت قراءة بحث وتحقيق وتدقيق وكان "رادع" قال أبياتاً في طلب القراءة منها:
لك في مجلدك المقام الخطير

كل باع مما حوت قصير
قد قضى منك سؤاله كل راج
ولنا مطلب لديك يسير
وهو من أعظم المطالب نفعا
فتفضل به فأنت جدير

وفيات

"محمد بن أحمد مظفر"

وفيهما مات القاضي العلامة "محمد بن أحمد بن العلامة يحيى بن أحمد بن علي بن مظفر الحمدي" مؤلف «البستان شرح البيان» لجده "يحيى" وهو شرح حافل و«الترجمان شرح بسامة صارم الدين الوزير» وقبره بجانب قبر جده "يحيى" بهجرته «حمده عيال سريح» كما سبق في وفاة جده سنة ٨٧٥ هـ .

أنباء عام ٩٢٧هـ

(تسعمائة وسبعة وعشرون)

مناجزة الامام للحمزات بـ "بلاد عمران"

في سنة ٩٢٧ هـ (تسعمائة وسبع وعشرين) خرج الامام وولده "المظهر" إلى "بلاد عمران" لمناجزة الاشراف الحمزات ووقع قتال ثم انهزمت الاشراف إلى مدينة «عمران» فحاصروهم الامام بها وكان "آل عركا" منهم من المنحرفين عن الامام . و"آل جوده" منهم من أصحاب الامام ، وبعد انحصارهم بـ «عمران» استسلم إلى الامام "الشريف حميضة" و"الشريف فارغ" ومن لديهم من بقية الشراكسة فتسلم سلاحهم وخيلهم وسجنهم بـ «ثلا» وأما "الشريف الشويح" فكانت له فرس من جياد الخيل تسمى «الخطلا» فدنا بها من «سور عمران» وزجرها فوثبت به إلى خارج السور ونجا على ظهرها ورجع بعد أيام بقية أخوته وأسرته يطلبون هدنة من الامام لمدة ستة أشهر ورجع صنعاء .

الوفيات

"علي بن شمس الدين بن المهدي"

في سنة ٩٢٧ هـ (تسعمائة وسبع وعشرين) مات بصنعاء صنو الامام السيد العلامة "علي بن شمس الدين بن الامام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى" وكان عالماً فاضلاً له وجهه ومكانه وله مسجد السيد علي بالروضة ورثاه جماعة ومن مرثاه "موسى بهران" :

بِرُّ تقي نقي ففاضل ورع
جليسه الذكر والآيات والسُّور
ما زال يحتقر الدنيا وزهرتها
حتى تساوى لديه الدر والحجر
لا فارقت رحمة الرحمن مضجعه
ولا عداه ملث القطر منهمر

أنباء ٩٢٨ هـ

(تسعمائة وثمان وعشرين)

وفي سنة ٩٢٨ هـ (تسعمائة وثمان وعشرين) خرج المطهر إلى عمران فأخذها عنه بعد قتال .
وفيها خرج الامام لحصار حصن مدع وقال ابيات شاركة في آخرها السيد "محمد بن المرتضى"
ومنها :

ليأ لنا بالسلف سلف المصانع
مهب الرياح العاصفات الزعازع
رُعيتِ وان ضاقت بحمدك انفس
فما الحمد في ذات الاله بضائع
اقمنا بها خمسا وعشرين ليلة
وغادرتنا في كل دان وثمانع
بمارب ثم الجوف ثم تلمص
وقائع كانت يالها من وقائع
وما قارن لاقدس الله قارنا
قرارة أمسد مالها من منازع

واجابها القاضي "موسى بن يحيى بهران" بقصيده منها :

يرى الجهد في ذات المهيمن لله
فيسعى لها سعي المحب المسارع

وفي مُدَعٍ قد صال صولة فاتك
 ولوقع بالاعلاء شرر وقائع
 كنا قارن قد قارن السوء اهله
 وذكرهم مستهلكات الودائع
 وطهر مولانا المطهر ارضهم
 من الفسق والمستقبيلات الشنائع
 ومن قبله ماكان من امر فارغ
 وهل في بني المنصور نند لقرارع

إلخ

فتح « قاهرة عاشرين » والصلح بين « الامام »

و« الحمزات » و« ابن الانف »

وفي سنة ٩٢٩ هـ (تسعمائة وتسع وعشرين) فتح جند الامام حصن « قاهرة عاشرين » ببلاد « ذمار » وهو من الحصون المنيعه وكان بأيدي الحمزات " آل المهدي بن داود بن قاسم بن حمزه بن سليمان الحمزي " ومنهم الامير الجليل " داود بن محمد " من أصحاب الامام والمحرضين له على فتحه وكان المطهر في ذمار فخرج إلى شعب المصاقره ثم وصل إلى حصن القاهرة فاعجب به وقال القاضي " موسى بهران " قصيده منها:

طالت على اترابها القاهرة
 واصبحت مثل اسمها قاهره
 وزادها الله إلى عزها
 عزاً وأولاً لها ظاهره
 لما طاعت الامام الهادي
 عين عيون العنبره الطاهره

وفيها كان الصلح بين " الامام " و " الشريف الشوبع " ومن اليه مده عشرين سنين وجعل لهم الامام « بلاد البون » و « عيال يزيد » وتحرر بذلك محرر حضره الاعيان واطلق " الامام " " الشريف فارغ " واخوته من السجن .

وفيها كان الصلح بين " الامام " و " الداعي ابن الانف " وهو " حسين بن ادريس بن حسين عبد الله بن علي بن محمد ابن حاتم بن حسين " بعد أن اخذ " المطهر " المصنعه وكان الصلح على أن " الداعي " يسلم « حصن الحجار » و « نصف الفيل » و « السياسه » في « بلاد همدان » جميعها للامام ويسلم " الامام " « حصن فذه » بوادي

صهر لمدته عشرين سنين .

فساد "ذبيان السفيفاني" وقتله

وفيها فر "ذبيان بن عبد الله سالم السفيفاني" أحد قوَاد الامام وكان فارساً شجاعاً فقاده الشيطان بزمامه الحق بالزهر من الجوف وحسن للاشراف مكاتبه "عبد الملك بن طاهر" فلقى آذانا واعيه ، ثم سار بنفسه الى "عبد الملك" فاغراه فعباً جيوشه وقدم على «حصن حَب» بجهات «اب» فوق عينه وبين من فيه قتال قُتل فيه "ذبيان" فقال "موسى بهران" قصيده اولها :

الله اكبر ارادى الله ذبيانا
وهد منه إله العرش لركبانا
... الخ

ووصل "عبد الملك بن محمد الطاهر" إلى «الحقل» ببلاد «يريم» فتوجه اليه "المطهر" ففر "عبد الملك" ووصل "محمد بن أحمد بن عامر" من «رداع» إلى "المطهر" تائباً مستسلماً فاحسن اليه "المطهر" واعاده بلاده .

الوفيات

"الحسن بن عز الدين"

وفي شعبان توفي الامام "الحسن بن عز الدين المؤيد" كما سبق ذكره سنة ٩٠٠ هـ ودعا بعده ابنه "مجد الدين" .

وفيها بايع للامام "شرف الدين السيد المرتضى بن قاسم ابراهيم بن محمد بن الهادي بن ابراهيم المؤيدي الحيوي" والقاضي "محمد بن أحمد مرغم" واولادهما وكانوا موالين "للحسن بن عز الدين" .

أنباء ٩٣٠ هـ (تسعمائة وثلاثين)

دعوة "مجد الدين" واستئصال "الامام" للإسماعيلية

فيها تحرك الإمام "مجد الدين بن الحسن بن عز الدين" بعد دعوته فتقدم من هجرة «فللة» الى حصن «كحلان» ووصلت منه رسالة إلى الامام فاجاب عنها برسالة ودخل في طاعة "مجد الدين" بلاد «السودة» و «شطب» و «كحلان» وأقر بعمارة «الشنظوف» بين «كحلان» و«الاشمور»

وفيها تحرك الامام لحرب الاسماعيلية فكان اول من وصل منهم "احمد بن صالح

الوهبي " صاحب «ريعان همدان» باصحابه طائعين تائبين عن جميع المفسدات وتقدم المطهر إلى المنقب همدان وقد أجمع فيه الاسماعيلية وامدهم "الداعي ابن الانف" باحد اولاده واجناده فاحاطت الجنود الامامية بحصن "المنقب" ووقع تنازل وطلع جند الامام فرحب جانب الحصن وفتحوه قمرا ثم فتح الامام «بيت غفر» وحصن «فده» وقال "موسى بهران" من قصيده :

نيل المنى وارتفاع الشان والرتب
في الجند والحد لا في الهو واللعب
فمعقب الجيش عن أهل المنقب كي
يلو لهم كل مكوم ومحتجب
كذلك في بيت غفر قد جرى عجب
فأعجب لطفل لديهم كيف لم يشب
وان رأيت ديار القوم خاوية
على العروش فلون ذاك في الكتب
قد أصبحت قلرة لله حامله
على تخلصها من ملة الجرب

وسار الامام لعيد الفطر بـ "ثلا" ثم رجع لخراب بقيه بلاد "الباطنية" ولما وصل إلى وادي "زهر" تلقاه "الداعي ابن الانف" بالطاعة ووعد انه سيسلم القلعة وينقل إلى «حراز» وطلب المهله وبعد مضيها لم يف فغزاهم المطهر وملك القلعه .

الوفيات

"أحمد عمر المزجد الزبيدي"

في صفر سنة ٩٣٠ هـ (تسعمائة وثلاثين) توفي بزييد شيخ الاسلام القاضي العلامة "احمد بن عمر بن محمد المزجد الشافعي الزبيدي" عن ٨٣ سنة من مولده قال في النور السافر: كان على غايه من التمكن من العلوم الاسلاميه ومن مصنفاته "العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والاصحاب" . ومن شعره :

قلت للفقير اين انت مقيم
قال لي في محابر العلماء
أن بينى وبينهن أخاء
وعزيز علي قطع الأخاء

وطال الشاء عليه ومحبه لملازمة العزله والعباده وتلاوة القرآن .

"محمد بحرق الحضرمي"

وفي شعبان سنة ٩٣٠ هـ (تسعمائة وثلاثين) توفي الشيخ العلامة النحوي "محمد بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي بحرق الحميري الحضرمي الشافعي" عن ستين سنة من مولده وكان من العلماء الراسخين . ومن تصانيفه «الاسرار النبويه فى اختصار الاذكار النبويه» و«مختصر الترغيب والترهيب للمنزري» و«الحسام المسلول على منتقى اصحاب الرسول» و«النبذه المختصرة فى معرفه الخصال المكفّره للذنوب المتقدمه والمتاخره» . و«شرح الملحق للحريز المشهور بالبحرق» و«شرح لاميه ابن مالك» و«نشر القلم مختصر شرح لاميه العجم» . وتصانيفه وشعره كثيره فى «البدر السافر» .

انباء ٩٣١ هـ

(تسعمائة وواحد وثلاثين)

فتح "الامام" و"المطهر" لـ «طيه»

في سنة ٩٣١ هـ (تسعمائة وواحد وثلاثين) خرج "الامام" و"المطهر" لحصار «قلعه الاسماعيليه» المعروفه الان بـ «طيه» بـ «وادي ضهر» واستطال الحصار للقلعه الداخليه المعروفه بـ «الكُمه» ونصبت عليها المجنقات والزحافات وبعد القتال طلب الاسماعيليه الامان فامتهم الامام ودخل اليها فى ١٢ جمادى الاولى سنة ٩٣١ هـ ثم عمرها المطهر ابلى عماره بالدور والقلاع والجامع والبرك وبعد مده ندم على عمارتها . وفيها كتب الامام رساله إلى صاحب «الشحر» واهدى له ثلاثه افراس من جياده وغيرها وقد بلغه حسن سيرته في رعيته ومواظبته على الواجبات ، وفيها قبض المطهر على السيد "عبد الله بن يحيى الهادي" وقد رام الخلاف وسجن في حصن «الفص» . وفيها استفتح الامام بقيه حصون «بني مطر» . وفيها توجه المطهر لفتح حصن «حضور الشيخ بالمصانع» في شوال ومما قيل من الاشعار قصيده منها :

قل للخليفه من محب وامق

هنيئ يا زاكى البريه عنصرا

فَنَحَ الذي جَلَل الغمام غلدت له

تاجاً وثوباً يرتديه ومُنْـزَرا

اعني حضوراً فهو أرفع شامخ

قَدْ نولَه في وعـرِه شُمُ النـرى

الوفيات

"محمد بن أحمد مرغم"

في رجب سنة ٩٣١ هـ (تسعمائة وواحد وثلاثين) توفي بـ «الابناء بالسر» القاضي الحافظ الكبير "محمد بن أحمد بن محمد مرغم" عن ٩٥ سنة من مولده وكان من اكابر الاعلام وله شهرة ، بايع الامام "عز الدين" ثم ولده "الحسن" ثم أتصل بالسلطان "عامر" بصنعاء وكانت له وجاهه كبيره لديه ثم بايع الامام "شرف الدين" ومن شيوخه القاضي "عبد الله بن محمد النجري" كان يذهب اليه من الابناء إلى قريه القابل يوم السبت ويعود يوم الخميس ومن أجّل تلامیذة الفقيه "محمد بن حسن حميد" صاحب «الفتح» وشرحه والشيخ "عبد الهادي السوداني الصوفي" ولما طال بقاءه بالإبناء كتب اليه السوداني يستنهضه الى صنعاء للتدريس بها :

حاشاك ان تبقى مُعنى دائماً

ما بين حرّاتٍ ومنايا سقاي

يُملي عليك حلاً بهائمته التي

تملي الدلاء بمثلها السفاق

فأجابه مرغم بأبيات منها :

كَلِمَ أَتَ من طيب الاعراق

صافي الوداد مهذب الاخلاق

اهلي وأولادي ومالي دائماً

قد أوثقوني في أشد وثاق

وممن رثاه تلميذه ابن عقبه بأبيات منها:

محمد القاضي ابن مرغم الذي

أقيمت زماناً عنده فحببني

إمام علوم الاجتهاد سميع

الفريقين من عرب وعجم لسان

ودفن بمشهد له بالابناء بالسر بجانب قبر القاضي العلامة "يحيى بن أحمد بن علي مرغم" شارح «البحر» لشيخه "المهدي أحمد بن يحيى" ووالده هو القاضي العلامة "أحمد بن علي بن مرغم" يقال له "البغدادي" و"الشيرازي" قال في ترجمته في «المستطاب» :

سكن «شباب» وعاصر الامام الناصر "صلاح الدين محمد بن علي" وله مؤلفات منها "شرح الأربعين السيلقيه" وأسمع عليه الفقيه "يوسف بن أحمد بن عثمان" وقبره

بـ «شباب» .

قال في «المستطاب» : ووقع الاختلاف في نسبهم فقال "ابن أبي النجم الصعدي" هم أشراف فاطميون حسنيون .

ولم يظهر ذلك في شيء من المشجرات ، والعلماء منهم لا يتسمون بالاشراف وإنما يقال لهم القاضي أو الفقيه أو الشيخ وكذلك في ألواح قبورهم ، ومنهم في القرن الحادي عشر الفقيه العلامة "أحمد بن يحيى مرغم الصنعاني" من العلماء الفضلاء سكن صنعاء أيام الاتراك وله التعليق على «شرح الأزهار» و«ابن مفتاح» في مجلدين وكان يتجر طلبا للحلال وقبره بجانب قبر القاضي "يحيى بن صالح السحولي" مشهور وأهل بيته من العلماء ولهم خزائن كتب قد فانت وبقي منها قدر مائه مجلد ويقال أنها وقف ذرية ، ومنهم الفقيه العالم الزاهد "أحمد مرغم" سكن صعده حاكماً بها ينفق على نفسه وأولاده من كديده بالخياطه وأوصله بعض ولادة الامام في زمنه بعشره أربود حنطه فردها مع حاجته قال صاحب «المستطاب» : وهذا هو الفضل الكبير .

"المرتضى بن القاسم"

وفي شعبان سنة ٩٣١ هـ (تسعمائة وواحد وثلاثين) توفي بصنعاء السيد العلامة "المرتضى بن قاسم بن إبراهيم بن المؤيد ابن أحمد القطايري اليحيوي" قال في «الطبقات» : كان أماً عظيماً منطقياً متفناً وقبره في «خزيمه» جنب قبر القاضي "عبد الله بن سعيد الحوالي" .

وفي سنة ٩٣٢ هـ (تسعمائة واثنين وثلاثين) تسلم الامام «حصن كتن» و«حصن الكميم» وغيرها .

وفي رمضان أمر بضرب الدراهم المتوكليه بـ «قصر غمدان» صنعاء فجعل وزن الدرهم من الفضة الخالصة نصف قفله ثمانية قراريط .

وفيها وقع في صنعاء ومخاليقها وباء حمى وموت ، مات به كثير من العلماء والاعيان منهم حاكم الامام القاضي "محمد بن حسن بن علي النحوي" ، وخرجت دود صغار سود أكلت الزرع والخضروات .

أطماع العثمانيين في اليمن

في سنة ٩٣٢ هـ (تسعمائة واثنين وثلاثين) قدم الباشا "سليمان" في أربعة آلاف من الجنود بولاية من السلطان "سليمان بن سليم القانوني" على الحجاز واليمن وأمرهم بمحاربة الافرنج في البحر والسواحل الهندية وبعد وصوله «جده» عاث الجند فيها ونهبوا أسواقها وأنقطعت الميرة عن «جده» و«مكة» ووقع القحط الشديد حتى كان الناس يضربون المثل بقحط "سليمان" في الحجاز وكان خراج «مكة» يقسم بين السلطان وأشراف «مكة» وأستوعبه "سليمان باشا" هذا العام وكان مبلغه نحو تسعين ألف دينار في ذلك العام . وبعد أنقضاء الحج توجه "سليمان باشا" إلى «زبيد» وفيها من قبل السلطان "الباشا مصطفى" والامير "أسكندر" فحصل بينهم اختلاف كبير وسار "مصطفى" إلى عدن وأنفرد "سليمان" بزييد فاستباحها وأكثر الفساد بها وتبع "مصطفى باشا" إلى عدن فقتله فقام بثأره أحد أقاربه فقتل "سليمان باشا" وجماعة من أتباعه وعظم شأن ذلك الثأر فسقاه بعض حسدته سما فقتله فقام بأمر «زبيد» "أسكندر الشركسي" إلى أن مات .

وفيات

"عبد الهادي السوداني"

في سنة ٩٣٢ هـ (تسعمائة واثنين وثلاثين) توفي بـ «تعز» الشيخ العلامة "عبد الهادي بن محمد بن إبراهيم بن محمد السوداني التعزي" المتصوف الشاعر عن نيف وستين سنة من مولده ، وأصله كما في «مطلع البدور» و«المستطاب» من «بني سود» بجهة القناوص وأخذ العلم بصنعاء ومن أجل مشائخه "محمد بن أحمد مرغم" وغيره وله تلاميذ أجلاء بصنعاء وقال الشوكاني: نشأ بصنعاء وقرأ بها ثم لحقته جذبة فخرج هائماً من صنعاء وسكن «تعز» وذكر "الامام شرف الدين" : أنه إنما حصل له الهيام بسبب كثرة أكله للقات وأشعاره كثيرة وله ترجمة مطولة في «النور السافر» وقال فيها أنه منسوب إلى «سودة شظب» والارجح الاول ومن شعره في التصوف :

كيف حاروا فيك وأعجبا

يا منى سـمـمـي ويا بصـري

أنت لا تخفى على أحد

غـيـر أعمى الفكر والبصر

حـيـرة عـمت وأي فتى

رام عـرـفـان ولم يحـر

ومنه :

لا وقد منك مـعـتـلـل
عن غـرامـي فـيـك لم أـمـل
ليس لي عطف على أحـد
لا ولا مـيـل إلى بـلـد
بك يا سـؤـلـي ظفـرت فلم
التـلـفت للدار والـطـلل

ومنه :

عـاذ لي في الحب أو خطره
لست من ليلي ولا مـمـره
أنا في وادٍ أظنك مـا
قلت في الأنبياء من شـجـره
لا تطل فـيـه المـلام إلى
أن تنوق الحلو من ثـمـره
يا حلول الشـعـب من أضـم
أنشـة نوني الشـر من زهره
وقبره مشهور بجنب قـبـته بتـعـز .

أنباء ٩٣٣ هـ

(تسعمائة وثلاث وثلاثين)

وفي سنة ٩٣٣ هـ أستولى أصحاب الامام على حصن «بني عشب» ثم «جميمة بني الذواد» وبلاد «لأعه»

قضاء الاتراك على "عبد الملك بن محمد الطاهري"

وفيها خرجت من زييد طائفة من الشراكسة والاتراك الى موزع وكان في حوزة صاحب «تعز» "عبد الملك ابن محمد الطاهري" فقصدهم الى «موزع» وقتل منهم جماعة وانهمز بقيتهم الى زييد فغضب اميرهم وتوجه بهم الى تعز وخرج "عبد الملك" لقتالهم فانهمز الى «حصن مصرع» المنيع ونقل اليه اهله وامواله فدخل الاتراك «تعز» وخرجوا لمقاتله "عبد الملك" الى مصر ، واعانهم من اقاربه "طاهر بن عمر بن طاهر" وانضم اليه ابن عمه "محمد ابن احمد بن طاهر" وقبضا «المقرانه» و«حيفا» و«دميا» ولما اشتد الحصار على "عبد الملك" في «مصرع» ونفذ ما عنده اخرج اهله وذخائره من طريق الحصن لا يعرفها غيره وتوجه الى "الشيخ الغيلاني" نائبه على بعض الحصون فغدر به وارسل للمحاصرين له بمصرح فاسروه وتوجهوا به وباهله الى اميرهم وهو ببلاد «خبان» فضرب عنقه وسار حريمه واولاده في اضيق حال منهم

زوجته "عائشة بنت الملك المنصور عبد الوهاب" اخت "عامر" فسيحان المعز
المذل القادر ولما بلغ الى «ذمار» وصنعاء انتصار الاتراك بتعز داخلهم الرعب والفشل
فوصل "المطهر بن الامام" من «ثلا» بخيله ورجله الى صنعاء فسكنت روعة اهلها .

الطاعون بصنعاء وغيرها

وبناء المطاهير

في اول شعبان سنة ٩٣٣ هـ (تسعمائة ثلاث وثلاثين) وقع الطاعون بصنعاء وجهاتها
فهلك خلائق لا يُحصَوْنَ ولقد كان يخرج في اليوم الواحد من صنعاء اكثر من مائة
جنازه وفي اخر يوم من رمضان خرج سبع عشرة مائة جنازة وفي يوم العيد مثلها وثاني
العيد مثلها ولم يبق في صنعاء الا القليل وغلقت الابواب واعشبت الطرق وترك بعض
الاموات بلا دفن وخلت البيوت الكثيرة من ملاك فجعلت مقاشيم (١) لمطاهير
المساجد التي أحدثت قريبا وكانت المساجد بدون مطاهير وانما يتوضأ الناس في بيوتهم
ويخرجون للصلاة في المساجد واول مطاهير أحدثت للجامع الكبير ،

وممن توفى بهذا الطاعون "ابراهيم بن الامام شرف الدين" ودفن جنوبي مسجد
المدرسة بصنعاء ، والسيد العلامة "عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله
الوزير" وعمره ٣٨ سنة وكان سيداً جليلاً من اكابر اصحاب الامام ، والسيد "محمد
بن يحيى بن المرتضى بن علي بن ابي الفضائل" . والسيد العلامة "محمد بن عبد الله
بن محمد بن احمد بن الهادي بن الامام يحيى بن حمزة الحسيني" كان اليه اعمال بلاد
«ذمار» و«عس» و«جهران» و«ضوران» وغيرها وهو من مشايخ القاضي "علي بن
احمد رابع" وغيره ، والسيد العلامة "المتصر بن يحيى" من رجال الامام "شرف
الدين" وهو شقيق "ناصر بن يحيى" المتقدم وقرأ على الفقيه "علي بن زيد" وغيره
وتولى للامام واجبات بلاد «الظاهر» ، والعلامة "بشر بن احمد بن بشر الالهومي"
وكان قد شرع في شرح «الاثمار» ، والقاضي "احمد بن محمد بن ابراهيم الساودي"
(بسين ودال مهملتين) وكان من العلماء العاملين الحافظين للقرآن وله ترجمة
بالمستطاب وهو في ثمانين سنة والقاضي "صلاح بن سند الحجي" حاكم السودة
لل امام والسيد "احمد بن يحيى بن صلاح بن محمد بن ابي الفضائل" وكان علامة
وقبره بمحاريق صنعاء جنوبها .

(١) جمع مقشامة . . وهي أرض موقوفة لمسجد بجوارها وتزرع بالخضار والفواكه

أنباء ٩٣٤هـ

(تسعمائة وأربع وثلاثين)

وفي سنة ٩٣٤ هـ (تسعمائة وأربع وثلاثين) رجع الامام من «ذي مرمر» إلى صنعاء وجهاز ولده المطهر إلى الجهات الجنوبية فمر من بلاد اليمانية خولان وحِصْنِي «كنن» و «الكميم» وقرر أمورها وأخضع المتغلبين وسار إلى «معبر» وبلاد «هداد» ودوخها ثم سار إلى «بنى ظبيان» وأخضعهم وسار إلى بلاد بنى طاهر ومر «بقريّة عراس» بريم وقبض زعيم الاسماعيلية «علي بن جعفر» الذي كان في «وادي ضهر» فأرسله الى والده في صنعاء فأودعه السجن ، ولما إقترّب من بلاد «بنى طاهر» وكان فيها طائفة من الشراكسة والأمير «عمر بن طاهر» وله بعض نفوذ أرسلت الشراكسة إلى المطهر تستحثه وتقدم له طاعتها فأرسل بعض رجاله لاستلام المقرانه عاصمة بنى طاهر برادع فقبض عليهم عامل بنى طاهر وسجنهم فنشرت الشراكسة على العامل وأستقذت رجال المطهر فجدد المطهر في سيره وأندفع حتى دخل «المقرانه» وأستولى على ما فيها من الأسلحة والذخائر والأشياء الثمينة والتحف التي جمعت من خزائن الملوك السابقين كأيّة ذهب وفضة إلخ وما جمعه من كتب ، وحمل على ما في جمل أبواب المقرانه وكانت في غاية الصنعة المتقنة ويقال أن «عامر» نقل بعضها من «ظفار الظاهر» فردها «المطهر» إلى «ظفار» وإلى «حصن الظفير» .

حروب «خولان»

وجرأة المطهر الفضيعة

ولما رجع «المطهر» إلى والده وافته الاخبار بتمرد قبائل «خولان الطيال» وقطع السبل وإنتهاب المارة فكتب إليهم يحذرهم وينذرهم بأن أولادهم لديه رهائن وأنه سيوقع بهم أن لم يقلعوا عن غيهم ، فلم يكثرثوا بوعيده ولا أنكسرت ثورتهم من تهديده وأجابوا بغير الصواب وكان من جملة أحداثهم أن رجلاً من أشراهم قصد «باب اليمن» بصنعاء وأضرّم النار فيه فلم يظفر الحُراس بقبضه فانفذ «المطهر» وعيده فأمر بقطع أيدي وارجل رهائنهم من خلاف وكانوا ثمانين رهينة - جرأة فظيعة - وتوجه بجنود لا قبل لهم بها فهزمهم وحل عزيمتهم ودخل بلادهم وأخذ طارفهم وقلادهم وقطع أعناقاً من أشراهم فأذعنوا بالطاعة والانقياد والدخول فيما دخل فيه سائر العباد فضرب عليهم مبلغاً من المال عقوبةً وقبض من فتاكهم ثلاثمائة نفر وأمر بعمارة حصن «بيغان» في «بنى سحام» وربّته بعسكر وطلب من «خولان» إيصال الرجل الذي أحرق «باب اليمن» ولو كان في السحاب فطلبوه طلب المعدم وللدرهم والجريح للمرهم حتى أخرجوه من قرية «وديد» فأمر «المطهر» أن تسم يدها في باب اليمن .

وفي سنة ٩٣٥هـ (تسعمائة وخمس وثلاثين) توجه "المطهر" بقبض حصن «ظفر بني وهاس» برضى أهله وهو بين «ذيين» و«ظفار» .

الوفيات

"عبد الله بن مسعود الحوالي"

وفي ٩٣٦ هـ (تسعمائة وست وثلاثين) توفي بصنعاء القاضي الإمام "عبد الله بن مسعود بن صالح بن علي الحوالي الزيدي" عن ٦٧ سنة من مولده وكان عالماً كبيراً محققاً أخذ عن السيد "صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير" وأبنة "الهادي" وغيرهما وعنه الامام "شرف الدين" وغيره وكان امام المعارف بلا مدافع ، وقيل أن وفاته سنة ٩٣٣ هـ وكان سيد الفقهاء وخيرة الشيعة .

أنباء ٩٣٧هـ

(تسعمائة وسبع وثلاثين)

خلاف الحمزات وآل المؤيدي

في سنة ٩٣٧ هـ (تسعمائة وسبع وثلاثين) تعاهد "الحمزات" و"آل المؤيدي" بجهات صعده على حرب الامام واقاموا الخطبة للامام "مجد الدين ابن الحسن بن عز الدين" وفي سنة ٩٣٨ هـ (تسعمائة وثمان وثلاثين) اكمل الامام مصنفه «الاثمار في فقه الاثمه الاطهار» وشرع في شرح مقدمته .

وفي سنة ٩٣٩ هـ (تسعمائة وسبع وثلاثين) حصل طاعون عظيم لكنه دون الطاعون الاول سنة ٩٣٣ هـ وفيها شاع مذهب الصوفية فناظر الامام فيه "القاضي محمد بن عبد الله العنس" وغيره فرجعوا عنه .

حروب «الجوف» و«صعده»

فيها افسد اهل «الجوف» وسار بهم الامير "ناصر بن احمد الجوفي" الى «مآرب» وهي من بلاد الامام فحرر الامام رسالة الى الحمزات يحذرهم عاقبه التعدي ونقض العهد فلم يرتدعوا فجهز ولده المطهر الى بلادهم وكان القتال وحمل اهل «الجوف» على المطهر حملة رجل واحد فظل ثابتا على جواده وصاح "الشريف ناصر بن صالح بن احمد" باعلى صوته : مطهر مطهر لا يفوت ، فاشتد القتال واتصل الرجال بالرجال وانجلت المعركة عن قتل "الشريف" وغيره وانهزام الاشراف وعسكرهم ، ووصل الامام بنفسه للاستيلاء على البلاد وصلّى الجمعة بالزاهر .

أنباء ٩٤٠ هـ

(تسعمائة وأربعين)

زيادة الامام لجامع الهادي بصعده

ثم توجه الامام والمطهر الى «صعدة» فخرج لاستقبالهم اعيانها ودخلها في ٢٢ صفر سنة ٩٤٠ هـ (تسعمائة وأربعين) فقصد جامع الهادي وانشأ فيه الامام قصيدته الشهيرة:

رناك في رَدَد الحـلـيد وفي القنا
والمشرفيه والخيول الشزب
وجحافل مثل البحار تلاطمت
مواجهن بكل اصيد اغلب
من كل ابلج من ذؤابة هاشم
ويكل اروع من سلاله يعرب
واعاجم ترك وروم قصاده
واحلبش مثل الاسود الوثب

ولم تتخلف عن الحضور الى الامام الا الاشراف الحمزات فقد خرجوا عن «صعدة» قبيل وصول الامام ، واما بنو المؤيد فوصل منهم العلامة "احمد بن الامام عز الدين بن الحسن" وغيره ولم يتخلف الا الداعي "مجد الدين بن الحسن بن عز الدين" فانه سار بأهله ومن يلوذه به الى هجرة «الحرجه» الى ان مات سنة ٩٤٢ هـ واما الحمزات فحشدوا القبائل من «دهمة» و«وائلة» و«يام» و«نجران» و«وادعة الشام» زهاء ١٥ الف راجلا وثلاثمائة فارس وقصدوا محاربه الامام بالحسينيات فقصدهم اليها المطهر بجيشه الهمام ووقعت الحرب الشديدة من الصباح الى الاصيل ، ثم حمل عليهم المطهر حملة الاسد المغضب فانهمزموا ووقع القتل فيهم نحو الف قتيل وستمائة اسير ، ثم رجع المطهر الى ابيه وضربت اعناق الاسرى وتعرف الواقعة بواقعة "المخلاف" ومما قيل في فتح صعده من قصيدة طويلة للسيد "المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي":

صنعاء مثلوجة الاحشاء فارحة
بأختها فهما في الدين اختان
قد كان غمدان غمداً واحداً فغدا
بصعلة لحسام الدين غمدان
ما صعلة ما تعز ما تلمص
ما الجوفان ما بين نجران وحيدان
لمن له الحمد والمجد المنيف على
لايل غلاء على ما فوق كيوان

وزرتَ جلدك يا يحيى بقيت لنا
تحْيَى على رغم ذي حقد وثنان
وقصيدة منها :

يام وسنحان والطاغوت وادعة
ودعمة اقبلوا نحو الردى زُمرَا
ساروا جميعاً الى المخلاف قائلهم
ابليس فهو بما قد طاعوه جرى
فسل سيف بني الزهراء قاطبة
سيفا صقيلا لاعناق الضلال فرا
... الخ

وفيها خالف أهل «خولان الشام» ومن أنضم إليهم وقصدوا «ساقين» في عشرة آلاف مقاتل فجهز الامام عليهم الفقيه "يحيى بن إبراهيم النصيري" فهزمهم وقتل منهم نحو مائة وأحتوى على أسلحتهم وأمتعتهم فأنقادوا بزام الطاعة وسلموا ما عليهم من الحقوق ودخل أهل رازح وشهارة والاهنوم في الطاعة .

قراءة الامام «شرح الأثمار» وعمارة سور صعده

في سنة ٩٤٠ هـ أوصل الفقيه العلامة "يحيى بن محمد بن حسن حميد" شرحه على الأثمار للامام فطلب أعلام صعده قرائته على الامام ونسخوا عدة نسخ ومنهم السيد العلامة "يحيى بن الحسن بن عز الدين" فقال قصيده في ٢٠ ربيع الثاني منها :

بنيت على هام السهوى والنعائم
من المجد بيتاً غير واهي الدعائم
تفردت بالعلياء مذ كنت ياتعاً
وفزت بها يا ابن الاباة الاكرام
وملكت مفتاح البلاد بأسرها
بقلدة جبار وحكمة حاكم
وتأت فخاراً صعدة إذا وليتها
ومشهد يحيى بن الحسين بن قاسم
وقال لسان الحال أهلاً ومرحباً
بأبرك ميمون وأمين قادم
فما رهد طاووس وما علم ما لك
وما قول سحبان وما جود حاتم
أقلنا نفيساً من جواهر علمه
وملئ قفا من بحر المتلاطم

وَأَسَدَى جَمِيلًا وَافِرًا وَفَوَاضِلًا
وَقَامَ بِحَقِّ لِّلرَّحْمَـٰنَةِ لَارِمًا
وَعَامَلَنَا بِالْحِلْمِ وَهُوَ مَحْطُهُ
وَمِنْ دُونِهِ فِي الْحِلْمِ قَبِيصٌ بِنِ عَاصِمٍ
... الخ

ولما أنشدها خلع عليه الامام خلعة سنينة ..
وفي ربيع الأول سنة ٩٤٠ هـ (تسعمائة وأربعين) أمر الامام بعمار سور مدينة «صعدة»
فجمع من العمارين فقط نحو خمسمائة عمار واحكموا عمارته في شوال سنة ٩٤٠ هـ
(تسعمائة وأربعين).

الوفيات

"أحمد بن الامام عز الدين"

في ذي الحجة سنة ٩٤٠ هـ (تسعمائة وأربعين) توفي بهجرة «فلله» السيد العلامة
"أحمد بن الامام عز الدين بن الحسن بن الامام علي بن المؤيد ابن جبريل" عن ٦٧
سنة من مولده وكان في شبابه غير متعلق بالعلم فأمره أبوه بإمامة الصلاة بساقين فأمتنع
فلم يعذره فأقبل على العلم بهمة سامية حتى حقق فنونه كل التحقيق وقيل له "سيبويه"
ورحل إلى الحرمين فأخذ في الحديث ، وتولى القضاء لاخته "الحسن" ولابن أخيه
"مجد الدين" ، وله مصنفات منها «حاشية على تذكرة الفقيه حسن النحوي» وكتاب
"في أحوال الامامه وما يلزم الامام" و «أسئله على خطبة الاثمار» ومات بالفناء
الكبير .

أنباء ٩٤١ هـ (تسعمائة وواحد وأربعين)

وأنباء ٩٤٢ هـ (تسعمائة وإثنين وأربعين)

فتح الامام لـ «برط»

وفي سنة ٩٤١ هـ (تسعمائة وواحد وأربعين) سار الامام من «صعدة» إلى «جبل برط»
ففتحته ثم سار حتى بلغ الرمل المتصل ببلاد البصرة وخيم في موضع يعرف
«بالمصراخ» عشرين يوماً وتردد في تلك الجهات فدانت له وفي أيام إقامته هنالك قتل
أهل «برط» رجلاً من أصحابه ثم خافوا فبذلوا لديه وتوسلوا بأصحابه فضرب عليهم
الفي أوقيه فسلموها . ثم سار إلى «نجران» ومعه ولده المطهر وكانت نجران هجرة

الاشراف الحمزات ومأواهم فخرجوا عنها إلى الرملة المتوسطة بين «نجران» و«البصرة» وطلبوا الامان من الامام فأمنهم ووصل إليه جماعة منهم كالامير "أحمد بن حسين" وغيره وتعزز الكلام على صلح سنة وشرط الامام عليهم أن لا يواصلوا عدوا له ولا يعادوا ولياً . وفي مدة إقامته بنجران أمر بعمارة مشهد على قبر "عبد الله بن الثامر" الذي أستشهد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله حديث مشهور . ثم مرض بعض أصحابه بنجران ومات منهم ثم رجع إلى «صعده» ثم «صنعاء» في يوم الجمعة ١٥ ربيع الثاني سنة ٩٤١ هـ (تسعمائة وواحد وأربعين) .

غزوة «موكل»

في مدة غيبة "الامام" و"المطهر" ببلاد "الشام" تحرك للشقاق "عامر بن داود الطاهري" ووزيره الشريف "يحيى السراجي" فاقدما على اطراف البلاد بقيــــادة "السراجي" و"البعداني" و"الشرامي" فعاثوا في بلاد الامام ولما وصلوا إلى «دمت» تأخر عنهم جماعة ثم تقدم "السراجي" إلى «موكل» بذلك الجمع الاذل فكتب الامام إلى والده "المطهر" ، وكان لا يزال بـ«صعده» فجمع "المطهر" ألف ناقة من ذوات القوة والطاقة وحمل أصحابه عليها مردفين سالكاً طريق صحراء «الجوف» لا يلوي على شيء ، وكان "السراجي" مستبعدا وصول "المطهر" فلم يشعر إلا والسيوف عاملة ومن دماء أصحابه ناهله ، وكانوا زهاء الفين وستمائة فقتل منهم في أول صدمة ثلثمائة وأسّر الباقون عن آخرهم فأمر "المطهر" بضرب أعناق ألف وهو راكب قوسه حتى أنغمرت حوافرها بالدم ثم أمر كل أسير أن يحمل رأس كل قتيل وأرسلهم إلى والده بصنعاء ومن ضربت عنقه قائدهم "السراجي" الذي أظلمت عليه الدياجي ولما وصلت إلى "الامام" في نصف جمادي الأولى الأسرى والروس إلى «صنعاء» أرسل بعضها إلى «صعده» فعظم بها في النفوس ، وأنقاد النافر الشמוש ، ومما قيل في ذلك من قصيده للمطهر بن محمد تاج الدين الحمزي :

يا وطأة وطأ الآله بموكل

أنحت على حزب الضلال بكل كل

وطحتهم طحن الرحى بنعالها

أوطحن طود هذا أرضاً من عل

كانت على يد فخر آل محمد

عن أمر واسط عقيده المتوكل

دارت رحى الحرب الزبون وأضرمت

وغلت هناك ولا غلر المــــرجل

وكان "البعداني الشرامي" بـ «المقرانه» وهي في الحوزة الامامية فلما بلغتة الوقعة فرّ إلى «الشعيب» وفر "عامر الطاهري" من «قعطبه» إلى «بلاد الأحيق» ثم جرى «بالبعداني الشرامي» إلى "المطهر" فأمر بضرب عنقه بعد معركة قتل فيها من أصحاب "البعداني" خمسون . ثم توجه "المطهر" إلى بلاد «خبان» و«المخادر» فتسلم حقوقها والتجأ "عامر بن داود الطاهري" إلى «حصن التعكر» ثم فر إلى «عدن» وأستولى المطهر على «التعكر» وسار إلى «تعز» فالتجأ "أحمد بن محمد الطاهري" إلى حصنها «القاهرة» فأستولى عليها "المطهر" بواسطة ممالك الطاهري لشدة أميرهم عليهم وأتوا به أسيرا إلى "المطهر" فأرسله مع بقية جماعته إلى والده الامام بصنعاء وأستولى المطهر على ما في حص «نهم» وكان شيئا كثيرا وأمر المطهر بعمارة السور العظيم على «تعز والقاهرة» بالابراج الحصينة وكان عريضا تمشى عليه العربات ولا يزال بقيته إلى الآن ويقال أن مدة عمارته سبع سنين أنفق فيه أموالا طائلة . ثم رجع "المطهر" إلى ولده بصنعاء ظافرا في ذي الحجة سنة ٩٤١ هـ بعد أن طلب أمير صعدة الفقيه "يحيى بن إبراهيم النصيري" وولاه بلاد تعز وخلفه بصعده الامير "عز الدين بن الامام" فغزا جبال «فيفا» وبلادها وأستولى عليها في سنة ٩٤٢ هـ . وفيها غزا المطهر «أبين ولحج» فأستفتحهما وجهاتهما ما عدا عدن وكان بها "عامر بن داود الطاهري"

الوفيات

الامام "مجد الدين"

وفي ذي القعدة سنة ٩٤٢ هـ توفي بهجرة «الحرجة» الامام "مجد الدين بن الحسن بن عز الدين بن الإمام علي المؤيد ابن جبريل" عن ٥٧ سنة من مولده وكانت دعوته في شعبان سنة ٩٢٩ هـ بعد ١٦ سنة من دعوة الامام الاعظم "شرف الدين" وكان واجبه تأييد "الامام شرف الدين" وقلت في تحفة المسترشدين :

والقائم الامام مجد الدين

رب التقى حفيد عز الدين

مولده في فلل في (ضوف)

٨٨٦

وقد دعا للخير والمعروف

بفلل في التسع والعشرينا

من قبلها التسع من المثبنا

وكان ما كان من الصدام
وهجره للأمر والقيام
وسار في جمع إلى كحلان
وغـيـرها من تلـكـم البـلـدان
وعام (بظـم) قد ثرى بالحرجة
٩٤٢

فقال خير ربه وفرجه

أنباء ٩٤٣هـ (تسمائة وثلاث وأربعين) إستفتاح «ظهران عسير» ثم غزو «زبيد وحدود عدن»

وفي سنة ٩٤٣ هـ (تسمائة ثلاث وأربعين) إستفتح أمير «صعده» عز الدين بن الامام «ظهران بلاد عسير» وقتل صاحبها «ابن المهدي» . وفيها غزا «المطهر» ومعه أخوه «شمس الدين» بقوة كبيرة جهات «زبيد» وفيها الشراكسة ولما عرفوا عجزهم عن مقاومة «المطهر» عمدوا إلى الحيلة والحرب خدعه فحوّلوا نهر «زبيد» الكبير إلى البقاع التي سيمر منها جيش «المطهر» فأقبل وقد عبأ جيشه للقتال فجعل «شمس الدين» في اليمينه وأمير «تعز» «الفقيه يحيى النصيري» في الميسرة وهو في القلب فلما توسطوا تلك «البقاع» توحلّوا فيها فأنقضت عليهم الشراكسة كالعقبان الكاسره فأنهزمت تلك الالوف وثبت «المطهر» وأخوه ثبات الرواسي في تلك الحمته ، وكان من أعيان القتلى السيد «علي بن يحيى بن الامام المطهر بن محمد» و«السيد إبراهيم بن محمد بن الهادي الوزير» ونجت الشراكسة بحيلتها من براثن الموت فاستفزت هذه القضية «عامر بن داود الطاهري» من «عدن» إلى أطراف بلاد «تعز» فأعرض «المطهر» عن الشراكسة بزييد وتجرد لمطاردة «الطاهري» فانهزم «الطاهري» شر هزيمة إلى «عدن» بعد معارك «بغيل وريزان» خدير وكاد «المطهر» أن يظفر به لولا مملوك له كان غائبا عن المعركة فوافق أميره «الطاهري» وقد أنفرد عن محطته راجلا فحمله على فرسه فنجأ بها ثم ظفر جند «المطهر» بن مالك المملوك وأوصلوه إلى المطهر فسأله عن مولاه فأصدقته الخبر فاستحسن المطهر وفاء المملوك لمالكة وشكره على ما أسداه لمولاه وخلع عليه وأعطاه وأرجعه إلى مولاه ، وهذا يدل على نفس «المطهر» ، ثم رجع «المطهر» إلى والده وبقي الأتراك بزييد نقطة إنطلاق يُخبّئه القدر من توغلهم في

اليمن وحرّبهم الآتية مع المطهر .

أنباء ٩٤٤هـ

(تسعمائة وأربع وأربعين)

فتح «بلاد حراز»

وفي سنة ٩٤٤ هـ جهز الامام ولده "شمس الدين" إلى بلاد «حراز» فأستفتح حصونها «شِباب» و«التعابر» و«مسار» وغيرها وهم ثلاث فرق زيدية وشافعية ، وباطنية فوجد "شمس الدين" بشباب من كتب الباطنية ما يبين مذهبهم فأرسلها إلى والده ومما قيل في ذلك :

ولما تبقت في شبام بقية

وقد جمعوا فيها الجموع وعسكروا

توجّه شمس الدين تلقاء أرضهم

فأفناهم والحق والله أقدر

فزال بشمس الدين داجي ظلامهم

ودمرهم وهو الهمام المشمر

وعاد شمس الدين إلى صنعاء ثم عزم لطيفاه حصن «ثلا» في ذي القعدة سنة ٩٤٤ هـ

وعاد إلى والده بجراف صنعاء المسمى «بهِجْرة الإيمان»

وفي ذي الحجة سنة ٩٤٤ هـ أكمل الامام عمارة الجامع بالجراف وصلى فيه الجمعة وهي أول صلاة صُلّيت به .

الوفيات

"عبد الرحمن الديبع"

في رجب سنة ٩٤٤ هـ توفي يزيد الشيخ العلامة الحافظ المُحدث المؤرخ "عبد الرحمن بن علي بن محمد الديبع الشيباني الزبيدي الشافعي" عن ٦٨ سنة من مولده أخذ العلوم بزييد ومكه وغيرهما وصنف «تيسير الوصول إلى جامع الاصول» و«تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث» . «وقرة العيون في أخبار اليمن الميمون» و«بغية المستفيد بأخبار زبيد» وله أشعار في مسائل علمية وضوابط مشهورة ومن شعره :

لجُزْتُ لملركي وقتي وعصري

روايةً ما تجوز روايتي له

من المقروء والمسموع طراً

وما ألفت من كتب قليلة

ومالي من مُجَارٍ من شيوخ
من الكعب القصصيرة والطويلة
وأرجو الله يختم لي بخير
ويرحمني برحمته الجزيلة

"إبراهيم مهدي حجاف"

وفي رمضان سنة ٩٤٤ هـ توفي بحصن «ظفار الظاهر» السيد العلامة "إبراهيم بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن عليان بن الحسن بن محمد بن الحسين حجاف الحجوري" كان من أفاضل أعلام السادة وأعيان الامام شرف الدين صحبه قبل دعوته ووصل إلى بيتهم بحبور ثم من أعظم أعوانه ، أخذ له البيعه من القبائل وأرسله من صنعاء إلى الاهنوم وغيرها وولاه حصن ظفار وبلاده ، ولثقته به وضع له علامته فى عدة أوراق ليكتب فيها عند الاحتياج تحت علامة الامام ما يريد ولما توفي وكان والده مريضاً كتموا عنه خبر وفاة أبنه إبراهيم فأفاق المهدي أفاقاً يسيره وقال لهم قد أتاني من عزاني في ابني إبراهيم وقد توفي ، ثم مات الأب المهدي بعد سبعة أيام فى يوم عيد الفطر .

أنباء ٩٤٥ هـ

(تسعمائة وخمس وأربعين)

الاتراك في «كمران» و«عدن»

وقتلهم آخر امير "طاهري"

وفي سنة ٩٤٥ هـ أوقع امير صعدة "عز الدين بن الإمام " بأهل وادعة الشام لإفسادهم وقطعهم السبل .

وفيها وصل الباشا سليمان إلى جزيرة «كمران» فى سبعين غرابا وسفن كبار تحمل الاتقال جهزه السلطان "سليمان بن سليم خان " لمحاربة الافرنج فى السواحل اليمنية والهندية فكتب إليه الأمير "عامر بن داود الطاهري" يطلب منه النصرة على الامام شرف الدين فأظهر له الاسعاد وتوجه بمراكبه إلى عدن فدخلت طائفة من جنده إليها ، وقد أمرهم بالقبض على "عامر بن داود" فأوصلوه إليه إلى المراكب مع ستة من أصحابه فشنقهم وأنقضت دولة بني طاهر بالكلية بعد ملكهم نحو ٨٧ سنة على ما فى آخرها من ضعف وإنحلال فسبحان من لا يزول سلطانه ولا يتغير شأنه ، وبعد أستيلاء

"سليمان باشا" على عدن جعل فيها من يثق به من رجاله وتوجه إلى بلاد الهند فأستلم ما دفعه له أمراء الهند من دريهمات باع بها شرف الفتح ومجد الظفر وعاد إلى اليمن. ولما أستقر بالقرب من زبيد أمر جماعة من دهاة أصحابه بالسعي بالصلح بينه وبين "أحمد الناخوذه" أمير الشراكسة بزبيد وأمرهم أن يفسدوا الشراكسة على أميرهم بالترغيب والترهيب فمال إليه بعضهم ؛ وأحسَّ أميرهم أن «زبيد» مأخوذة فطلب الأمان من "سليمان باشا" فأمنه وبذل له العهد وأمر طائفة بالخروج لاستقباله وقتله قبل وصوله إليه ففعلوا وأستولى "سليمان" على زبيد وقتل بقية من بها من الشراكسة ، وأقبلت الدولة التركية العثمانية إلى أن أنقطعت بالدولة القاسمية بالفتح "الحسن بن القاسم" ثم طمع "سليمان باشا" في «تعز» فكتب إلى الامام "شرف الدين" بالتلّين والتخشين فأجاباه الامام بعدم الاسعاد ولما أيس سار إلى مصر وأبقى نائبه زبيد وسار بعد الحج إلى السلطان وكان قد بعث رسولا بأخبار فوجه اليمن وبالغ وهول وكتب أسم كل ضيعه وقرية ليس فيها غير بيت أو بيتين لثلا يقال أنه خان دولته وسلطانه لما ترك الهند لدريهمات .

تقرير الذميين باليمن

وفيهما كثرت الاقاويل والمراجعات في شأن سكّون أهل الذمة من اليهود في جزيرة العرب فوضع الامام والقاضي "محمد بن عبد الله رادع" ما يقضى بتبقيتهم في اليمن على عهدهم وذمتهم وقرروا أن المراد بجزيرة العرب التي جاءت الاحاديث بأخراجهم منها هي الحجاز فقط لحديث يخص الحجاز ويبين المراد .

إخضاع «وادعة»

وفيهما قدّم "عز الدين" إلى والده من بلاد «صعدة» فتلقاه "الامام" وأولاده أحسن تلقى وكان الباعث على وصوله طلب الأذن له بإخضاع «وادعة» الإخضاع التام ، وكان قد أستأذن والده مراراً فلم يأذن له لمصلحة رآها وكانوا قد قتلوا شريفاً تحت «جبل أم ليلي» وقتلوا قبله السيد "الخضر بن محمد من ذرية الامام الحسن بن بدر الدين" ، وأكثروا التلصص والأغتيال وقال "عز الدين" عند وصوله إلى والده قصيدة منها :

سلام الخالق البر الجواد
ورحمة رافع السبع الشداد
تخص مقام خير الخلق طراً
وأكرم حاضـر منهم ويادي

أمير المؤمنين القلب فيه
 كلدغ النار أو خسرط القستاد
 ومن أفعال وادعة خصوصاً
 أعادي ربنا أثبناه عاد
 فلنا الخضر الذي قتلوه ظلماً
 وصحباً مع أهليهم غواذي
 كذلك سيداً قتلوه ظلماً
 بهلنا الشهر من أبناء هادي
 فجد بالاذن وأمنحي دعاء
 بتوفيق وعلم بالسداد
 فأذن الامام وسار وقد تجمعوا في طهران فأوقع بهم ودوخ بلادهم وتعقب ذلك
 صلاح أمور وأحوال تلك الجهات لأن أهل وادعه كانوا أشر قوة وأكثر جمعاً .

الإحتفال بتفسير "ابن بهران"

فيها أرسل القاضي العلامة الامام "محمد بن يحيى بهران الصعدي" إلى الامام الجزء الأخير من
 تفسيره النافع «تكميل الكشاف» وهو ستة مجلدات أستكمل فيها «الكشاف» وأضاف إليه الاحاديث
 المناسبة وغيرها مما فيه فائدة وهذا الكتاب يدل على علمه وأجهاده وقد جمع بين «الكشاف»
 و«تفسير ابن كثير» وغيرهما من التفاسير فأمر الامام بإظهار شئنا هذه الفضيلة وجعل الستة مجلدات
 في صندوقين عظيمين من صعدته إلى صنعاء ثم خرج "شمس الدين بن الامام" وغيره لتلقي هذا
 التفسير العظيم بالطبولخانه والارياح ونحوها والوصول به إلى الجامع الكبير بصنعاء والشروع في
 قراءة خطبته وتفسير سورة الفاتحة على العلماء والعموم بالجامع وساروا به إلى القصر .

أنباء ٩٤٦ هـ

(تسعمائة وست وأربعين)

محاولة الاتراك أخذ «تعز» وفشلهم

وفي سنة ٩٤٦ هـ (تسعمائة وست وأربعين) تحركت الاتراك الذين في زبيد لقصد
 «تعز» وقائدهم الامير "مصطفى عزت" فحاصروها ورموها بالمدافع والبنادق ولكنهم
 أنهزموا ورجعوا إلى «زبيد» مدعورين لأنهم أثناء الحصار بعثوا جماعة في طلب الميره
 من البلاد المجاورة لتعز فأعترضتهم جنود الامام الذين أرسلهم من صنعاء للتفريغ عن
 المحصورين وقتلوا بعض الاتراك فرجع من سلم منهم إلى الاتراك المحاصرين لتعز

ينذرونهم بالخطر الداهم فاجفلوا وتركوا معداتهم وأثقالهم مخافة أن يحيط بهم جند
الامام ويقطع عليهم الرجوع إلى «زيد» فأستولى أصحاب الامام على معداتهم الحربية
وأثقالهم النفسية. ومما قيل من وقتها قصيدة زائيه للأمير العلامة الأديب "عبد الله بن
الامام" نحو ثمانين بيتاً منها :

حَمَى رَبِّ الْأَنَاام لَنَا تَعَزَّزَا

وَحَقُّ لَهَا الْعَدِينَةُ إِنْ تَعَزَّزَا
وَرَدَ الظَّالِمِينَ بَغِيْظَهُمْ لَمْ
يَنَالُوا قَطُّ مِنْ شَيْءٍ وَأَخْرَجَ
لَقَدْ عَزَّتْ وَبَزَتْ كُلَّ خَصْمٍ
وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ . مِنْ عَزَّ بَزَا
عَنَاءُ رَيْنَا فَيَهَا تَجَلَّتْ
وَكَلَّتْ دُونَ ذَاكَ السُّورُ حَرَرَا
بِهَا أَحْتَمَتِ الْمَدَائِنُ وَالصِّيَاصِي
فَقَدْ أَضْحَتْ مِنَ الْأَسْوَارِ حَرَرَا
فَإِنْ فَخَرْتَ فَحَقِّ لَهَا افْتِخَارَا
فَإِنْ بَعَزَهَا الْأَسْلَامُ عَزَا
أَتَاهَا الرُّومُ فِي عَدَدٍ وَعَدَا
عَلَى أُنْوَاعِهَا تُرْكَا وَغَزَا
تَقُولُ لِيُخْرِجَنَّ مِنْهَا الْأَعَزَّ الْأَذَلَّ
وَكَلَّانَ بَارَيْنَا الْأَعَزَّ زَا
فَلَمَّا أَنْ دَنُوا مِنْ سُورِهَا
وَالصُّلُورِ بَغِيْضَهُنَّ تَأَزُّرَا
قَرَّتْهُمْ دُونَهَا الْأَبْطَالُ مَوْتَا
وَصَبَّتْ فَوْقَهُمْ بِالنَّبْلِ رَجَزَا
وَأَمْطَرَتِ الْبِنَادِقُ صَوْبَ حَتَفٍ
فَبَزَّتْ مِنْهُمْ الْأَرْوَاحُ بَزَا
وَأَضْحَحُوا لَمْ تَحْسَ لَهُمْ بِحَسٍ
وَلَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ رَكَزَا
فِيَا شَمْسَ الْمَفَاخِرِ وَالْمَعَالِي
وَمِنْ كُلِّ الْفَخَارِ إِلَيْهِ يُعَزَّى
تَهَنَّ بِمَا حَبَّلَكَ اللَّهُ نَصْرَا
بِهِ الْأَعْدَاءُ لَغِيْظِهِمْ تُعَزَّى
لَقَدْ أَحْسَنْتَ تَلْدِيرَا عَجِيْبَا
غَزَا مِنْ قَبْلِ أَنْ بِالْجَيْشِ تُغَزَّى

أمّرت هنالك الأمراء فكانوا
كما يرضيك في مغزى ومغزى
وبأسك بعد ذا وّرر وكهف
يهز به فواد الخصم هزاً
إلى أن قال :

وما قدر القصائد والقوافي
سوى جعلت على الرا أو على الزا
وهاكم نبت فكر البست من
مطارف مجدكم خزا وقزا
لها نسب عزيز في القوافي
فليس لها سوى الأعفاء جهزا
وفيهما وصل إلى الامام الشريف و"ناصر بن أحمد بن محمد بن حسين الحمزي" في
ثلاثين ركباً من أصحابه تائباً عما جرى منه من المحاربة فعفا عنه الامام وقابله بالاكرام .

أنباء ٩٤٧ هـ

(تسعمائة وسبع وأربعين)

فتوحات على يد "شمس الدين"

وفي سنة ٩٤٧ هـ (تسعمائة وسبع وأربعين) تسلم "شمس الدين بن الامام" «سماة
عتمه بني النوار» وجميع «عتمه ويفعان ريمه» وغيرها ثلاثين معقلاً ثم «الجبي» وهو من
أرفع الجبال أسفله في «الخبث» دراسة ركب على «ريمه» أستلمه أمير «تعز» الفقيه
"يحيى بن إبراهيم النصيري" وقد نظم الامام أرتجالاً إلى ولده شمس الدين :

«سماة بني النوار» من ذلك أرتمي
بتأييد رب العرش من رفع السما
سما لك شمس الدين بالسيف عنوة
فأدنى لك القهار منك الذي سما
حكى صنوه فخر الهدى الناصر الذي
لشمس الهدى سن الفخار وعلمها

والمراد بالناصر المطهر .

وفيهما سار عز الدين أمير صعدة إلى تهامة الشامية فأستولى على جيزان وأبى عريش
وغيرهما ورجع إلى صعدة منصوراً فقال السيد المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي

وَعَزَّاهُمْ مِنْ هَذَا رُكْنٍ بِقِيَّةِ
مِنَ اللَّاتِ وَالْعَزَى أَيْلِدُوا وَيَلْدُوا
وَجَارَ إِلَى جِيزَانَ فِي أَيِّ فَيْلَقِ
بِهِ مَا ذَكَى مِنْ فَيْلَقِ الرُّومِ يُخْمَدُ

عهد الامام إلى أولاده

قال في السيرة " السلوك الذهيبه " : وفيها جمع الامام أبناءه السادة الاعلام وفوض إليهم ولاية الحصون ووزعها بينهم ليقوم كل واحد منهم بما عهد إليه فاما " فخر الاسلام عبد الله بن الامام " فأعترف بما هو فيه من الاشتغال بالعلم والدرس والادب والتصنيف وصمم على ذلك الاعتذار فاحسن الله مثوبته . واستحضر الامام بعض خواصه وولديه " المطهر " و " شمس الدين " وتكلم بكلام ساقه في « السلوك الذهيبه » وقال في آخره : وأن كنا قد عرضناهم بذلك لمشاق الدنيا والاخره فالمرجو من الله سبحانه وتعالى أن يمدهم بمواد الطاقه وتوفيقاته وان يرشدتهم إلى ما يسعد كلاً منهم في حياته وبعد مماته والمراد بقاء هذا العهد امانة عندهم للمسلمين فان فتح الله بقاءهم حق سلموها اليه .

الوفيات

عبد الله مخرمة العدني

وفى سنه ٩٤٧ هـ . (تسعمائة وسبع وأربعين) توفى الشيخ العلامة المؤرخ " عبد الله بن أحمد مخرمة " من تصانيفه « شرح صحيح مسلم » . وتاريخ مطول مرتب على الطبقات والسنين من أول الهجرة . وكتاب " النسبه إلى المواضع أو البلدان " .

أنباء ٩٤٨ هـ

(تسعمائة وثمان وأربعين)

فتنه " حسن بهلوان "

وفى سنه ٩٤٨ هـ (تسعمائة وثمان وأربعين) وفد على الامام الامير " حسن بهلوان " من أمراء الاتراك ودهاتهم ومعه خمسون من أصحابه فاحتفى بهم الامام وبالغ في إكرامهم واحترامهم ومازال " حسن بهلوان " يتردد إلى مقام الامام واولاده ويتظاهر بالقول اللين والنصح البين وهو يتربقب الفرص الاحداث أي غصه أو اغتيال " الامام " و " المطهر " و " شمس الدين " لان ادارة البلاد كانت عليهم وبانحلال اركانهم الثلاثه يدق الوهن ويتسنى للاتراك مد أيديهم ومكث " حسن بهلوان " مدة طويلة ثم رجع «زبيد» فلامه أصحابه على تقصيره فيما نُدب له فصارحهم بانه لم يتركه عجزاً وانه

يختلي بالامام وباولاده لوقوفهم به وقال لقد كنت ادخل على الامام ولو اردت قتله لفعلت إلا أنى رايته صالحاً صواماً قواماً كثير الاذكار والتلاوه والخير فكرهت ان القى الله بدم واما المطهر فاين انا من ذلك الاسد الضرعام مع شدة احتراسة وعنده من الحماة الكفاه وكثيرون واما شمس الدين فكان يدنو منى دنو الاخ من أخيه جانب وحسن خلق فلم يمنعنى من قتله الا أنى رايت والده يميل اليه ويعمل برأيه وهو يعارض اخاه المطهر بالامر ومع تنازعهما يحصل تفاشلهم وضعفهم ووقت انفجار العد بينهم قد اقترب وقد قدح حسن بهلوان زند النار بينهم فان شمل الوحدة بينهم قد انصدع فتشعب جميعهم ولانت قناتهم كما سيأتي .

وفيها امر الامام بالحاق اسماء اولاده فى الخطبة " شمس الدين " و " عز الدين " و " عبد الله " و " علي " بعد ذكر الامام والمطهر وكان لا يذكر الا اسمهما ثم زادت العداوة حتى اجمع راي الامام " وشمس الدين " على حبس المطهر فلم يتم حتى أدى ذلك إلى الحرب بينهم وطلعوا الاتراك كما سيأتي .

أنباء ٩٥٠ هـ

(تسعمائة وخمسين)

وفى سنة ٩٥٠ هـ (تسعمائة وخمسين) وصلت طائفه من الاتراك إلى «جيزان» فنهض امير «صعده» «عز الدين» وجرت حرب لم يظفر أحدهم على الآخر فرجع «صعده» .

ظهور القات والبن فى اليمن

فيها ظهرت شجرة القات وكثرت باليمن فرأى الامام تحريمها وامر ولده المطهر بأن يأمر بقلعها بسبب انه رأى شخصا قد تغير فقليل له أن تغيره من أكل القات فالحقها الامام بالمغيرات ثم تبين له أنه غير مُغير فرجع عن التحريم وكان أبنة العلامة الفاضل عبد اله من المغرمين بالقات بعد ان تبين أنه غير مغير .
وفيها أيضاً ظهرت شجرة البن باليمن فانتفع بها الناس جداً .

بسم الله الرحمن الرحيم

القات

لما دُعي العاجز "احمد بن محمد زباره" من منظمه الصحة العالميه إلى مؤتمر القات بجيبوتي في ديسمبر سنة ١٩٨٤ م كمستشار للمؤتمر جمعت بحثاً طويلاً عن القات قديماً وحديثاً تاريخياً وادبياً وشرعياً وصحياً واقتصادياً واجتماعياً بعضاً من هنا:

لا تاريخ محدد لنبات القات في الجبال كشجرة بريه لعدم الالتفات اليه والانتفاع به ولا بُدَّ ان نباته قديم جداً ككثير من الاشجار البريه غير المتفع بها . ويروى انه استعمل في بلاد «تركستان» و«افغانستان» كعلاج فقد ذكره "عبد الرحمن البيروني" الذي عاش آخر المائه الرابعه الهجرية في كتاب الطب وقال: القات شجرة مستورده من تركستان وهو يبرد الحمى ويريح الصفراء ويبرد المعده والمصران ثم ذكر القات "نجيب الدين السمرقندي" المتوفي سنة ٦١٩ كنبات طبي في كتابه الطب ، ويروى انه ظهر واستعمل في «الحبشة» ايام "صبر الدين" الذي حارب المسيحيين في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي وقال سأحول الكنائس إلى مساجد وازرع القات المحبوب عند المسلمين واجعل ملك المسيحيين مسلماً وأجعله والياً عليهم .

وفي «الامام بأخبار من في الحبشة من ملوك الاسلام على رأس القرن الثامن الهجري للمقريري» أنها توجد في محافظة (شوا) بالحبشة شجرة تسمى بالقات لا تُعطى فواكه ولكن السكّان يأكلون أوراقها الصغيره التي تشبه النارنج وهي تنشط الذاكره وتذكر الانسان بما نسي كما تضعف الشهيه والشهوه والنوم ويحب سكان هذه

المنطقه بالحشه هذه الشجره لاسيما العلماء منهم .

أول استعمال القات باليمن

روى أن أول من أستعمل القات باليمن الاسماعيليه بنجران في القرن السادس الهجرى واستعمله الصوفية للتواجد والخشوع عند الاذكار في أيام الشيخ الصوفي الشهيد " احمد بن علوان " المتوفى " بيفرس " في رجب سنه ٦٦٥ هـ ويقول الصوفيه : ان القات قوت الصالحين ، فكان لديهم شيئاً مقدساً .

مدحه بهذه الابيات الشيخ الصوفي الشهير " عبد الهادي بن محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد السوداني " المتوفى ودفن بجنب قبره سنه ٩٣٢ هـ عن اثنين وستين سنه من مولده سبقت ترجمته . ومن هذه الأبيات :

القات يجلب للارواح افراحاً
ويورث القلب تنويراً واصلاحاً
ويشرح الصدر من همٍّ ومن نكد
حتى يعود بعيدهم مرتاحاً
لاجل ذلك حث الاولياء على
دوام مأكله نصّاً وايضاحاً
هو المعين على الاعمال اجمعها
هو المعيد لليل الهم اصباحاً
وهذا وكم فيه من نفع لا كله
فنيا ودين فكان للقات ملاحاً

كما مدحه الشيخ الصوفي " محمد العجيل " بهذه القصيدة :

لأنّديّة الخِـلان صاح تجمل
وجدان قات راتها وتهلّ
فيا سادة قوموا على قدم الصفا
إذا القات وافاكم فقوموا وهلّوا
فكم عالم بالله يأكل قاتنا
وما هو عن طرق الهداية يعدل
فيا نعم قوت الصالحين وقاتهم
ينشط معوانا لهم لا يكسل
فأجمع أهل الله من أهل قطرنا
ومن لهم نور الهداية يكمل
يقولون ما في القات ضر ولا أذى
ولامس جن للمساوي يخيل

فأما رأيت القات وقتاً بحضرة
إليها يقينا للكرامة يُحْمَل
فقابله يا ذا الود بالرحب والهنا
وقبل رغام الأرض إذ هو يُوصَل
وما ذاك إلا أن فيه لنا إلى
معان عليات المقام تَوَصَّل
فأهلاً به الفأ وسهلاً ومرحباً
لاجل الذي فيه من السر يؤكل
ويادر إلى ذكر الاله قبيله
وذكره باسم الله للخير توصل
فأكله هاد منيف ومهتد
محب ومحبوب الى الرشيد موصل
فحاشا وكلا أن يكون رفيقه
وقد رافق الاخيار غيًّا يُحْصَل
فمدح كرام الحي أعظم شاهد
على جمع أسرار حواها وأعدل
رأها أناس بالكشفوفات نالهم
رجال عليهم في الامور المعقول
فمن بعضها جذب حضور لذاكر
وفيه أمور إن خلا ليس تحصل
ولكن أخى لا ينتج القاتات
أن خلى عن النية العظمى فلأنك تهمل
فأحرص على القات الشريف بحبه
وقارنه بالنيات إذا أنت تأكل
تشاهد أموراً من غريب معارف
من الحضرة العليا تواتيك ترفل
ولازم على التسليم في كل حالة
تل كلما ترجو وما أنت تأمل
ودع كل خب في المقال مخرق
يرفع أهل الحق ثم يضلل

وفي سنة ٩٥٠ هـ في أيام الامام "شرف الدين" أنتشر استعمال القات
ولما بلغه أن حارسا من حرسه أفرط في أكل القات وخرج من مكانه في
حالة تندي جسمه بالرشح فضربته الريح فتغير عقله فأمر الامام

بقلع القات ثم لما تبين له عدم تغييره رجع عن أمره . وهذه تجربة أولى أن محاولة قلعه صعب . والتجربة الثانية أيام رئاسة الاستاذ محسن العيني حيث قرر مجلس الوزراء في سنة ١٣٩٢ هـ بالاجماع بقلعة من أراضي الحكومة والاقواف ومنع موظفي الدولة من إستعماله وإرشاد الاهالي إلى قلعة من أرضهم بأختيارهم لكن القرار حبر على ورق فاللجنة التي أجتملت لذلك بعد الظهر تأكل القات على حساب الدولة ولم يعلم أنها قلعت شجرة واحدة فقد هدّد بعض المزارعين أنه سيدافع عن قلع قاته ويموت بجانبه والقي رئيس الوزراء محسن العيني بعد القرار خطاباً في عدة صفحات غاية ما يمكن في التنفير عن القات وبيان مفاسده ورَحَبَت الصحفُ وشنت حملة إعلامية عليه (وكتبوها يخزنونه) .

ثم زاد غرس القات أضغافاً مضاعفة بصورة فظيعة ولا يمكن قلعه إلا إذا بدأ المسؤولون بأنفسهم

لم يثبت أنه مخدر ولا ضار

لم يثبت بتحليل طيبه إن القات مخدر ولا ضار وأعظم من التحاليل تجربة الشعب اليمني وغيره له مئات السنين فهو دواء لشدة الحرارة وحرق الدم يطفىء التهاب الحرارة ويزيل البخار والتعب لكن القليل منه نحو ثلاثة أغصان فقط تُخزّن أوراقه القليلة ويشرب عليها الماء ثم تخرج كما هي ولا ينزل المعده منها شيء كما كان الاولون فأنهم يخزنونه في الفم وراء الاضراس قليلاً جداً ويسمونهم تخزين القات فينشط للعمل وكنت آخذ منه أوراقاً معدودة أخزنها ثم أخرجها كما هي ثم بعد مناهزتي ثمانين سنة تركته أصلاً فوجدت تركه أراح للصحة وللنوم وللإنفراد عن الناس لإخراج تراث والدي العظيم وتأسفت حيث لم أتركه مبكراً وكان الاحسن أني لم أستعمله أصلاً .

الإكثار منه مذموم

لاشك أن الإكثار من القات مذموم وضار ومرهق للاقتصاد ولمصاريف الاسرة ومن الاسف أكثر اليمنيين مكثرون منه ومسرفون ، فأنتهوا عن الإكثار يا أولى الابصار .
فالمكثّر مُبْتَلِي ومفاخر ففي الاعراس ونحوها يطرحون للضيوف لاسيما للحرارة رزمة بعد رزمة ولو لم يريدوها يضعونها بين أيديهم ثم يصير بعضها إلى الزبالة وهي بأعلى الاثمان إسراف وجنون ، والجنون فنون ، ولو لم يكن مع المخزّن الا اغصان نحو ثلاثة فقط لاكتفى بها ولكن المحنة والمصيبة أن كل مخزّن يُعد رزمة بين يديه فيأخذ غصناً بعد غصن كأنه واجب عليه أن يتمها بدون شعور كالمخدخ الذي بيده بكت سيجارة يأخذ حبه بعد حبه بدون شعور ولو لم تكن بين يديه رزمة لما تكلف لاستقصائها حتى إذا إستلأ فمه نقص منه ليأخذ جديداً وهات مالوك وهوك ثم يحصل لبعضهم رد فعل وشرد ولو لم يكن لأهل المكان المجتمعين إلا مربط واحد بينهم لاقتنعوا به . كان والدي المؤرخ رحمه الله نحو سنة ١٣٢٩ هـ حاكماً بخولان وقباضاً لواجباتها ولم يكن بخولان كلها ولا شجرة قات وفي بعض الأيام يأتي برّكس قات واحد من عافش فيفرق على

جميع الحاضرين المخزنين بالديوان غصنين أو ثلاثة يخزنونه نحو ساعتين ، وفي أكثر الأيام لا يصل قات من عائش فلا يخزنون لأنه لم تكن له ولعه ونهمه فإن جاء عفواً خزّنوا وإلا فلا وأكثر الناس لا يخزنون أبداً . أما الآن فقد صارت خولان كلها قاتاً وأمثالها من البلدان . وما كان النساء والصبيان يخزنون أبداً وما كانت مواطن القات الا «عافش» و«العبس» و«بنى سوط» و«البخاري» و«المعلي» و«البحرين» و«وصاب» و«عتمه» و«ريمه» و«صبر» و«قليل غيرها» «كوادي زهر» ثم أنتشر هذا الانتشار الفظيع في النصف الاخير من القرن الرابع عشر الهجري وكل سنة إلى زيادة كثيرة فإلى متى ؟

القول بأنه حرام مطلقاً خطر

منذ خمسة قرون وكثير من العلماء المجتهدين الاتقياء يخزنون أو يُقرون المخزنين كان شيخ الاسلام "الشوكاني" مثلاً يُخزن ويقوم لصلاة العصر والقات في فمه فلما ساء التفاهم بينه وبين أنبل تلامذته القاضي "محمد بن علي العمراني" حديد المزاج أنكر على شيخه "الشوكاني" صلاته العصر والقات في فمه فقال في رسالة (أن الشوكاني يصلي العصر وفمه بالقات مملوء فلا يدري ولا يحسن ما يتلو) فما أنكر عليه إلا الصلاة بالقات ولم ينكر تخزينه فمعلوم أن "الشوكاني" كان يخزن وهو المجتهد المطلق التقي لعدم ما يدل على تحريمه والله سبحانه يقول :

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾
والأصل الإباحة ولا يدخل في عموم المخدرات والمسكرات لأنه ليس مخدراً ولا مسكراً وعرفنا الاعلام الكبار يخزنون بدون أى حرج كالحسين العمري وعبد الوهاب الشماعي وزيد الدليمي وعلى بن حسين المغربي ومحمد بن علي المجاهد وأبيه وأخيه بتعز وكثيرين في كل اليمن بلا حصر .

ولا يمكن أن الشعب اليمني بعلمائه وكملائه وأدبائه ومصلحيه يطبقون على حرام خمسة قرون وفيهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

حوار "قسطنطين يني"

وأدباء اليمن في القات

زار اليمن سنة ١٣٤٠ هـ الاستاذ الكبير أمين الريحاني ومعه الأستاذ الأديب "قسطنطين يني" وقابلا الامام "يحيى" بصنعاء وسلموا إليه رسالة من الشريف الحسين بن علي تعريفاً برغوبهما في السياحة وخدمة العرب وحثهم على الاتحاد وأثار "قسطنطين" شعراء اليمن بقصيدته في ذم القات مؤرخاً لعام ١٣٤٠ هـ وهي :

القات فيه عجاب
 درت به الشاة لما
 ذاقته فأستعملته
 واستشعرت برقاد
 نامت على الترب حالا
 يظلمها القات يحميها
 ظلت على حالها
 فجاء يبحث عنها
 فشامها في رقاد
 لم يلد مـ اذا دهاها
 حتى رأى القات يبدو
 وفي فم الشاة قدر
 فجرب القات حتى
 فأستعظم الطعم في
 أمسى يجمع منه
 مشى يحدث عنه
 فصلقوه وذاقوه
 عادات كل يمتاتي
 القات لا قوت فيه
 أغصانه نضرات
 زمرد في غلاف
 قد استوى في إقتناه
 كل به قال قولاً
 بعض قد امتلحوا
 للمسادحين له
 أن يُخزن المرء منه
 يصفو الدماغ وينأى الكرى
 يدعوه في كل يوم
 ندعهم إن أقاموا
 الكل يُخزن منه

كما يقول الصحاب
 أن طاردها الذئب
 وسال منها اللعاب
 وضماقت الأهداب
 نعم الفـراش التـراب
 عن عداها الغياب
 حتى كاد يدنو الغياب
 الراعي ومعه الكلاب
 يفوح منها المـلاب
 فهاجه الإرتياب
 كأنه أعشاب
 تقضضه الأنـياب
 جلت له الأسباب
 مضغه وساغ الشراب
 حتى تملأ الجراب
 وفي الحـديث الصواب
 مثله وأسـطابوا
 مرت به أحـقـاب
 وليس فيه لباب
 ومضغه مستطاب
 من الأكلبي يـذاب
 الأحـبـاش والأعـراب
 يخال فيه الصواب
 أكله وبعض عـابوا
 الأولين هذا الخطاب
 تقوى به الأعصاب
 ويحلـو الرضـاب
 للمـتـكى الأصـحاب
 سـمـيرهم إن غابوا
 المـلك والحـجـاب

صغارهم ونسألهم
 هم يجلسون اليه
 فيه السكوت وجوب
 من بعد سَدَّ
 لِي المداعة ما بين
 ما بين ضم ولثم
 حتى يلوح عليهم
 والجسم يندى فيبدو
 ما نفعه أثبتوني
 منه عليكم جميعاً
 يضيع الوقت لهواً
 جرته واختباري
 لا نفع في القنات لكن
 نتائج الاكل منه
 الطعم وهم أكيد
 الماء في البده حلو
 للجسم أقتل سم
 من اكله دون ريب
 ينتاب جسم الفتى
 وتزهق النفس منه
 والرأس يثقل وطأ
 وفيه يفعل ما لا
 والجفن يذبل حتى
 والنوم يحلو ولكن
 والصدور فيه من الوخز
 وسوء هضم وقبض
 ويعتري بعد هذا
 والنسل يضرع منه
 القنات لاتزرعوا
 بالبن عنه استعيضوا

شيوخهم والشباب
 كائنهم طلاب
 ويمنع الاعراب
 شبائهم يسد الباب
 جموعهم ينساب
 كما تظم الكعباب
 من الدخان قباب
 على الوجوه حباب
 هل عند شخص جواب
 خسارة لا اكتساب
 ومما الوقت إياب
 يجدي به الإسهاب
 فيه الشقاء والعذاب
 حزن خفاء وإكتئاب
 والنفع منه سراب
 وبعد ذلك صواب
 وللغنى سلاب
 بيت الفقير خراب
 قشعريرة والثهاب
 والقلب والأعصاب
 والدوار يصاب
 يقوى عليه الشراب
 يغشى العيون سحاب
 ما إن إليه إقتراب
 والعذاب حراب
 منه يغيب الصواب
 المفصل الإضطراب
 وتضعف الأنساب
 ويسدل عليه حجاب
 فالبن منه إكتساب

وسـوـقـه رائـج
هـنـي نـتـيـجـة خـبـري
سـتـدركـون يـيـاتي
فـي تـركـه آل ودي
لـم يـبق أرخت ريبـاً
٢١٣

فـي النـيـسـا لـه طـلـاب
مـا فـي كـلامـي لـرـيـاب
إـذا أـمـسـيـط النـقـاب
أـجـر لـكـم وثـواب
الـقـبـات لـلـقـبـل بـاب
٥٣٧ ٥٩٠ ٥

سنة ١٣٤٠

جواب عبد الكريم مطهر

وأول جواب على قسطنطين كان للقاضي الأديب عبد الكريم بن أحمد مطهر متصراً
للقات ومشيراً إلى أن الاكثار من كل شيء ضار ومؤرخاً للعام :

يا نفـثـة مـن بـليـغ
أنتـ قـرـبـا وأهـنـي
أهـلـيـت نـقـلـي وأن لـم
سـوى المـلـيـح فـراـح
لـولـاه شـاق نـفـوسـاً
فـقـد سـلـكت طـرـيـقـاً
الصـقـت بـالـقـات ذمـا
مـا كـان لـلـقـات ذم
إـلا لـمـن لـم يـنقـسـه
مـن لـم يـنقـ خـبـر شـيء
فـالـقـات قـوت صـلاـح
ويعـمـنـح النـفـس رـوحـاً
ورقـة فـي فـؤاد
ولـلـقـلوب حـضـوراً
ويـرفـع النـفـس عـمـما
فـلـست تـلقـى ذـويـه

يـجـلـو لـيـهـا الجـواب
عـيش الـولـوع أقـتـراب
يـنقـل لـيـك صـواب
مـشـمـولة وشـراب
غـناؤـها الأـداب
لـوح فـيـهـا السـراب
وذاك شـيء عـجـاب
ولا تـحـقـق عـاب
فـالـجـهـل لـلعـنـر بـاب
يـعـبـه قـال النـجـاب
يـجـلـى بـه الـاكـتـراب
لـه الشـطـاط قـراب
تـعـنو لـهـا الـالـبـاب
بـه الدـعـاء يـجـاب
يـشـيـنـهـا أو يـعـاب
تـمـيـلـهـم أكـواب

قَدْ طَهُرُوا النُّفْسَ عَنْهَا
وَلَا النَّفْسَ لَأَصْ يَلْنُو
كُلَّ الْفِتْنَةِ عِنْدِي
وَمَا رَعِمْتَ فَوْهَمَ
مِنَ الْقَبَاتِ سَمِ وَرَبِّي
وَلَا تَثْقُلْ جِيفَنَ
نَعْمَ مَزَايَاهُ جَمَمْتَ
يَنْفَى الْفِتْنُورَ وَيُدْعُو
مَجْجَفًا لِبَخْلَرِ
وَكَمْ تَرَى ذَا بَخْلَرِ
سَخَنَ وَيَهْلَا
بَلْ قَلِيلَ ذَاكَ وَهَذَا
وَقَدْ ذَكَرْتَ مَضَارَا
مِنْ أَكْثَرِ الْخَبِيزِ أَكْلًا
كَفَلَكَ الْمَاءُ شَرِبًا
فَلَا نَفَمَ عَلَى قُودِ هَذَا
وَلَسْتَ تَرْضَاهُ رَأْيَا
مَا الْمُسْرِفُونَ صَحَابِي
وَلَا الَّذِينَ عَلَيْهِمُ
فَالْأَقْبَتُ صَادَ طَرِيقَ
وَلَمْ تَرَ الْخَسْرَ فِيهِ
فِي الْقَطْرِ هَذَا وَمِنْهُ
وَمَا عَهْدُنَا يُلْهِي
بَلْ رِيْمَا كَانَ عَوْنَا
وَيَسْعَثُ الْعِزْمَ فَيُيْمَنُ
وَكَلِمَا قُلْتُ حَقَّ
وَالشُّكَّ أَقْرَبَ شَيْءَ
يَأْمَنُ أَجَادَ نِظَامَا
هَلَا نَهَضْتَ خِيَامَا
فَقُلْتَ يَامَا أَحْيَا

فَمَا تَعْلُوا وَخَابُوا
مِنْهَا إِلَيْهِمْ شَهَابُ
لِلْقَاتِ فِيهَا أَتْسَابُ
وَالْوَهْمَ فَيُيْمَنُ تَبَابُ
وَلَا بِهِ إِلَّا وَصَابُ
مِنْهُ وَمَوَادَّتِ رَقَابُ
وَنَقَمَهَا خَلَابُ
إِلَى الْهِنَا فَيُجْجَابُ
تَرْقَى بِهِ الْأَعْمَابُ
وَالْجِسْمَ مِنْهُ مَصَابُ
عَلَا مِنَ الشَّيْءِ قَابُ
ضَمَمْتُهَا الْأَتْسَابُ
عَمَمَرَا نَهْنُ خَرَابُ
جَرَى عَلَيْهِ الْخَرَابُ
يَرْدَى بِهِ الشَّوَرَابُ
مَا أَنْتَ فِيهِ شَبَابُ
إِذَا أَقِيمَ حَسَابُ
أُولَئِكَ إِلَّا ذُنَابُ
مِنَ الدُّخَانِ مَحَابُ
مَضَتْ عَلَيْهَا الرُّكَابُ
يَبْلُغُو بِهِ الْأَرَابُ
مَجِيئُهُ وَالنَّهَابُ
عَمَّا بِهِ الْأَكْتِسَابُ
يُنْفَى بِهِ الْإِضْطِرَابُ
لَهُ الْفِتْنُورُ حَجَابُ
لَمْ يَبْقَ فِيهِ ارْتِيَابُ
تَمَجَّجَهُ الْأَلْبَابُ
وَخَالَاتِهِ الْإِتْخَابُ
لَهَا الْخِيَالُ قَبَابُ
قَلْبُهُ إِذْ تَنَابُ

للطف فيها نصاب
كالشهد أو ذا الرضاب
لهم منه اكتئاب
تضيق منه الرحاب
منها لكربي عقاب
... في مصه استحباب

۱۳۴.

ویرجـلیات لون
منها المذاق شهی
وکلمـا جاء جیش
وخالط النفس کرب
غـزوتـه برمـاح
تاریخـه (القات حقـا

فأجاب قسطنطين على عبد الكريم بقوله :

قد أنانى رقيم عبد الكريم

يَتَهَادَىٰ أُنْعَمَ بِهِ مِنْ رَقِيمٍ

رام فیه تفنید ما قلت فی

القات دفاعاً عن حقه المضمون

وأرى الناس في قصصه إني

قد صرت في عداد الخصوص

لا منى فى كـتـابـتى وأنا أدرك

أنى فى الققات غير ملوم

لم أعارض ما قيل فيه كما عارض

قولى برأيه المنظوم

أن يفد أكله جسوماً قد اعتادت

عليه يضر بعض حسوم

مثل أخذ الشراب فيه علاج

وإذا زاد كان شرسا موم

فَإِذَا جَاءَ أَكْلَهُ لَغْنَى

الف البَذَخ لم يَجْزْ لِعَلِيم

فكـلـوه إذا أردتم ولكـنـى

بقي على اعتقادي القويم

إنما الماء لا يضر تعطيه

كما جاء في الكتاب الكريم

كل هذا نتيجة الخبرة

لم أبحث عن التحليل والتحرير

إنما البحث كان بحث اقتصاد

واحتفاظ لكل جسم سليم

وعلى كل حالة فكلامى

لیس إلا كلام خل صمیم

جواب عبد الله بن إبراهيم

وأجاب على قسطنطين السيد العلامة عبد الله بن إبراهيم بقوله :

يرى وطاب الشـراب
يطيش منه اللـباب
بابا لشـر يهـاب
وما نهـاه الكـباب
حلا وعنهـا يـراب
والعـفاف النـهاب
ولا بلهـو يعـاب
في القـات لما أـتـرابوا
ففيه عـداها الصـواب
آدابهم والثـقـباب
لم يفتـه أـكـتـساب
فخـراً له إليه أـتـساب
فيه العـجـيب العـجاب
والوجـد والـتـهاب
القـات للـقـتل باب
البـدر قـالوا يعـاب
وزال عنه النـقـباب
لم يُرْعَ فيه النـصـاب
تفـعـا عـداه العـقـاب
أدري وحـسـبي جـراب
إذا أظـل السـحـاب
وهل ينال السـراب
قـبـلي بهـذا اجـابوا
بالقـات للـقـتل باب

٥

٥٩٠

٤٣٤

سنة ١٣٤٠

إذا اسـتـطاب حـباب
من كفّ غـيـدا وساق
وقد تـكون الحـمـيا
هنا لمن هام فـيـها
أما الذى لا يـراهـا
ففيه للعـقل والمـال
فليس يـلـنو إليـها
وقد تـكـلم قـوم
وأعـلـنوا بعـيـوب
ومنهم الفـسـاذ فى
سـليـقة أفـصح القـول
سـمـيه المـلك قـسـطنـطين
سـمـعت منه مـقـالا
ولاح منه التـجـني
قـالوا وارخ ريبـنا
وليس ذاك ببـيـدع
وذاك أن صـح ظـنـني
محـصـول أفـراط مـضـغ
فالقـات من خـير مـجد
هنا وأني بعـجـزي
أحـوي به رأس مـالي
فـرأس مـالي سـراب
ولـبـلاغـة قـوم
والنـظـم ارخ (أقـفـل

٢٠٠

جواب زيد الديلمي

وأجاب أيضاً السيد العلامة زيد بن علي الديلمي :

أَمْ رَوْضَةٌ تَسَطَّابُ ؟
وَمَا عَلَيْهَا نَقَابُ ؟
(القات فيها عجاب)
لِلرَّوْحِ رَاحَ حَبَابُ
قَدْ صَحَّحَ الْأَصْحَابُ
وَالْغَمَ وَالْأَكْتَئَابُ
فَقَلَّتْ عَنْهُ يَنَابُ
مِنْهُ الْهَوَى يَسَطَّابُ
وَالْهَضْمُ مِنْهُ الْعَجَابُ
وَنَشْوَةُ لَا تَعَابُ
إِذَا عَرَاهُ ضَبَابُ
رَقَّتْ وَرَقَ الْجَوَابُ
إِذْ قَالَ وَهُوَ الْعَبَابُ
وَمَا عَلَيْهِ حَجَابُ
قَوَاتُ لَنَا وَشَرَابُ
لَا يَعْتَزُّ بِنَا أَكْتَئَابُ
إِلَى زَعِيمٍ يُجَابُ
يَرْضِيكَ مِنْهُ الرِّضَابُ
أَكْلًا فَضْرَ يَثَابُ
تَرِيَاقُهُ مَسَطَّابُ

٥١١

٧١٦

سنة ١٣٤٠

أَلْ ضَحَّى ؟ أَمْ سَرَابُ ؟
أَمْ غَدَاةٌ إِذْ تَجَلَّتْ
قَالَتْ بِنْغَمَةٌ صَوْبُ
فَقَلَّتْ أَعْجَبُ شَيْءُ
هَذَا الْبَخَارِيُّ (١) فِيمَا
الْهَمُ يَطْرُدُ عَنْهُ
قَالَتْ بِهِ كُلُّ دَاءِ
تَرِيَاقُ كُلِّ عِلِيلِ
وَمِنْ بَخَارٍ كَثِيفِ
وَكَمْ سُرُورٍ وَنَفْعِ
وَكَمْ كَسَا الْفَكْرَ نَوْرًا
وَكَمْ مَسَائِلَ عِلْمِ
وَالْأَهْلُ الْفَضْلُ عِلْمًا
فِي الْقَاتِ سِرٌّ عَظِيمِ
أَهْلُ الطَّرِيقَةِ قَالُوا
وَعَنْهُ لِلذِّكْرِ نَقْوَى
وَالْقَوْلُ عِنْدِي فَصْلًا
أَنْ الْقَلِيلُ دَوَاءُ
وَمَنْ يَجَاوِزَ حُدُودَ
تَارِيخِهِ (جَاءَ حَقًّا

١١٢

قوله : و"الاهدل الفضل " اشار إلى أبيات السيد العلامة " محمد بازي بن عبد
القادر الاهدل " وهي :

(١) قات البخاري مشهور جداً

محمد بن عبد الرحمن ش
مضاً السيد الأديب محمد بن

جواب محمد بن عبد الرحمن شرف الدين

وأجاب على قسطنطين أيضاً السيد الأديب محمد بن عبد الرحمن شرف الدين بقوله:

دارت به ا
وطار منه
من شـ
تعنوا لـ
يرتاح منـ
أحق مـ
ولا أراه يـ
التخـ
في فمـ
ونعـ
القليل فـ

إن نامت الاعصاب
أصابه أوصاب
عند الذين إستجابوا
صلاتهم وأنابوا
ذي الجلال فطابوا
من الغموم سحاب
فهو للخير باب
وينفر الاكتئاب
البليع والاطناب
تناقلت به الصحاب
ترضى به الأسباب
قد أتاك الجواب
والقات في المجد باب

١٧٣

٥٣٨

سنة ١٣٤٠

فلإن فيه نشاطا
وفيه راحة روح
وفيه أيضاً خشوع
لربهم وأقاموا
إلى بديع السموات
ما كل قلب عليه
إلا وفرقتها القات
فالغم يهرب منه
هذا وقد لاح منك
وراق منك نظام
وأسلم بقية أديباً
يا ناظم الشعر في القات
أرخه (مجد بشعري

٦٢٩

جواب الامام وولي عهده

ثم أجاب الامام " يحيى " وخمسه ولى عهده " أحمد " بقولهما:

قال الذين استجابوا لربهم وأنابوا
وللحلال استطابوا القات ليس يعاب
يا أيها الأصحاب

به تزول البلائيا به تطيب السجاي
به تهون الرزاي لان فيه مزيا
لم يحصها الإسهاب

له فضائل ترى تعد شفعا ووترأ
فليس تترك حصراً وسوف تنشر عشرأ
منها يطوى العباب

بـه يزول العناء ويستطاب الهواء
وتكثر الضواء قللعيون جلاء
للضعف منها ذهاب

بالقات يقوى الدماغ به البديع يصاغ
به القراح يساغ وللثغور صبغ
زمردى يذاب

إذا شدت بصبوح ورقاء ذات صلوح
وأنشدت بمديح أكرم بشعر مليح
له المذاب رضاب

مورد الخد ألما أن سيم مضناه يوماً
من الواذل ظُلماً ياما احيلاه ظُلماً
يُشفى به الاحباب

نديمه مستريح للكرب منه نروح
وللصدور شُروح وللنفوس مريح
وللهموم شهاب

للحزن منه إنكسار وللشجون فرار
وللعقول منار وللغموم اندحار
وللسرور أقتراب

وللسقيم إلتفاع وللأوام إمتناع
للفكر منه إجتماع وللبخار اندفاع
وللنشاط انجذاب

وكم روى الناس عنه نفعا به صار يزهو
فهو الشفا فاعلمنه لكل من نال منه
مهما كفاه النصاب

له خصائص شتى خلها إذا ما استزدنا
 يبت داءك بتياً وشحذ الكر حتى
 يخاف منه إلهاب
 يدعو المحب له أن لا تخش شيئاً ولا تحزن
 فليس أكلني يهجن ويترد النوم عمن
 له الجليس كتاب
 أو عن عيون مكب على كتابة كتب
 أو حارس قوم حرب أو عن عيون محب
 آبان منه إنتخاب
 لما نأى عنه شادن قد حار كل المحاسن
 قلبه عن مضاعن وافاه من ناله من
 جفوة وعذاب
 قد حن شوقاً إليه يغني الوقوف لديه
 وقام بين يديه وزاره وعليه
 من الدياجي ثياب
 خلدن حُسن ولطف فوصله لم يطب لي
 وهجره مستطاب
 هذا المقال هو الأس فرسمه ليس يُدرس
 إذا كنت للحق تلمس وها احتجاجي يشهد
 أما الذي قاله قسطنطين فهو سراب
 إياك باللمع تعتد إن رمت بالخير تسعد
 وها احتجاجي يشهد أليس من جاوز الحد
 أكله والشـراب

ولم يسم نفس حرّاً على إقتصاد ببر
في رغد عيش وقر ويكون عرضة ضر
ويعتريه إكتئاب

ينال داء عضالاً وسقمه يتوالى
فليس يصلح حالاً والأكل والشراب مالا
به الكرام تعلب

فخذ من القات قلداً ما لم تل منه ضراً
فليس ذلك نُكراً وإنما العيب سرّاً
فمنه يلدو العجاب

فهاك حكما هو المستقم يا أيها القس
فاسمع لما قلت وأدرس هذا الملفق يا
يا قسطنطين منا جواب

هذا النظام إليه فغض من مقتبيه
لما استقر لديه يهدى إليك عليه
من الحيلة نقاب

فقل لنظّمك عفواً يتفق من الفضل عفواً
ولا تقل فيه علواً لأنه ليس كفوفاً
لللد وهو تراب

فلأنه قد تهيأ والفكر بالشغل يعي
فالطف بذاك المحيا واستر ملفق يحي
فالستر فيه ثواب

والمحاور كلها تدم الاكثار من القات

رجوع قسطنطين عن ذم القات

وتشطيره «ادر غصونا»

ولما تواردت الجوابات على قسطنطين ومنها جواب الامام وولى عهده رجع عن ذم القات وشطّر وعجّز قصيدة العلامة الأديب "عبد الله بن الامام شرف الدين" بقوله المناسب للأصل في مدح القات :

(ادر غصونا يواقيتاً من القات)

على الندامى وأرباب المـسـسـرات

رشيقة القد باتت فى محاسنها

(زبرجـلـديـات أوراقي وريـقـات)

يجلو تناوله قلبى ورؤيتـه

(عينى وفى طعمه كل الملذات)

يحلو فمي فيه صـلـدي والدمـاغ به

(طرفي ويحلو به حالي وأوقـاتي)

(قلوبه تحمل الاسرار تودعها)

منا الجوارح فى ليل المهمات

وثمّة تنقلها أثر السـرور الى

(قلوبنا ثم تسري فى السريرات)

براق معراج قلبى حين يصعده

فكري فيـوحى إلي شعري بأيات

كانما ليلة الاسراء يحملها

(جبريل روحى الى اعلى سماواتي)

ريتونه ريتها الاضوا بها إتقلت

فكل اعـمى يراها فى الدجّـنات

فتبعث النور فيه مثلما فعلت

(فتيله النور فى مصباح مشكات)

(رايت قلبى اليه قلبه مقّة)

يرد عنها اقـاويل المنـمات

وكل من ذاق اغـرته نكهـته

(فليس بدعا اذا ذاق للقات)

(كل المرادات فيه جُمِعت فلذا)

احبّه سُوقـة منهم وسادات

سيرهم فى لياليهم لذلك قد

(توجهت نحووه كل الارادات)

لين القلود وتلوين الخلود
 (وتنسيم الورود ولذات المذاقات)
 طيب المهود وتجليد السعود
 (وتغريض الحسود وتنفيذ العبارات)
 (وكم خصائص ترويهما مشأئحنا الأعلام)
 عن نفعمه في كل حالات
 قد جربوه وجاؤا بعد ذلك
 بـ (الإثبات عن سادة في الدين أثبات)
 (أما ترى قلم الرحمن خط على)
 غضونه ان فيها كل لذات
 وكم تمنى محب القات لو طبعت
 (الواح اوراقه رسم الجلالات)
 (كله لما شئت من دنيا واخرة)
 تكسب جميل الجزا في العالم الاتي
 فيه سلامة جسم مع صفاء حجي
 (وجلب نفع ودفع للمضمرات)
 (وأكله منه قال المرشدون بها)
 تفيد أكلها جل الافادات
 وتعتلي بالهداة الباحثين الى
 (تنوير سر اعتكاف الاربعمينات)
 (فما اردت إرتقاء في سما نظري)
 الا وكان به تسهيل غاياتي
 وما بحثت بأمر كنت اجهله
 (في الكون الا جعلت القات مرقاتي)
 (فيرتقي بي الى اعلى موطنه)
 وتجلس النفس في اسمى المقامات
 ويعت الحق في روح فيملؤها
 (والبين ينعبه عن وجه مرآتي)
 (فتنجلي في صفا ذاتي فتحسبني)
 مُخلدا بين احياء واموات
 وانجلي انا فيه كي اخلال له
 (فأنا له واره انه ذاتي)
 (تكسيره متيج في الانتهاء نُقى)
 مبرهنا انه من غرس جنات

لا فرق في لفظه ما بين احرفه
 (وعنده عده فافهم اشاراتي)
 (قلوب احرفه تقرأ وتأمنا)
 بطاعة الله في كل الديانات
 بالقات فاق محبوبه لنيل نقي
 (بالاتقا في فصيحات العبارات)
 وبالصلاة على طه وعترته
 القائمين لتبديد الضلالات

البيت الأخير كله لقسطنطين

ولما اطلع قسطنطين على ما قيل :

يا اهل أعطونا جزيتم ، أى يا اهل «شار» أعطونا قات جزيتم نعيما وملكا كبيرا
 ٥٠١ ٥٠١ ٥٠١

و«شار» من مواطن القات نظمه في هذا المثلث :

لهنا المثلث شـمنا الرواة

نؤرخ فيه كلاما خطيرا
 فيا اهل (شار) نؤمل قاتا

جزيتم (نعيما وملكا كبيرا)

وقد مدح القات "محسن بن عبد الكريم اسحق" بقوله :

سقى الحيا عافش و"العيسا"

مواطن القات فلن تبؤسا
 إن اخذ القوم بخيار الكوى

وكادت الاعيين ان تغسسا
 رعه القات كتر روع

ذكر الله ابليس اذا وسوسا
 لا وقت في الدر كواوقاته

اروح للانفس او انفسا
 حملتم الافراح من غصنه

نصصاد كي تنهب هذا الامسى
 فمماطني منه اتليب من

زرجد قد كسيت سنلسا
 وللاذيب "محمد بن احمد بن ابراهيم الشامي" مشبها ومضمنا :

لما بدا ادعج العينين مبتسما

كأنه البدر يجلو ظلمه الغسق
 والقات في فمه فيروزج وشفات

الشغر ياقوته والوجه كالفلق

فقلت من عجب هذا بمبسمه
(فيرزوج الصبح ام ياقوتة الشفق)

تخاميس "ادر غصونا بواقيتنا من القات"

ولقصيدة (ادر غصونا) اربعة تخاميس:
اولها "لعلي بن الامام شرف الدين" :
يا راح روحي وريحلتى وراحاتى
بأنصب عيني وراحي في مسراتي
ادر على ولا تخش الملاعات
ادر غصونا... إلخ
ثانيها - "للحسين بن علي بن المتوكل اسمعيل" :
يا قلنس قلبي ويا محراب ميقاتي
ونور عقلي في حال المناجاة
بروح روحك ياراحي ولا حلاتي
ادر غصونا... إلخ

وثالثها - "لاحمد بن حميد" :
يا من علا ما علا زهر السماوات
ومن سما ما سما اعلى المقامات
ومن حوى كل اسم في العبارات
ادر غصونا... إلخ
رابعها - "لعبد الله بن ابراهيم بن احمد" :
يا من بدت شمسه بين الدريات
لا تسقني قرقفأ مالي بقهوات
ولا بصهبا غبوقاً في العشيات
ادر غصونا... إلخ

وكلها موجودة بخط المؤرخ زباره رضى الله عنه .
وللسيد "احمد بن شرف الدين القاره" في مدح القات :
القات فيه حياة الروح والذات
وفيه طيب لا سقام السريرات
يجلو الهموم عن القلب الكليم
وينفي الغم عنه ويأتى بالمسرات
سر من اله فيه مودع فلنا
تلقى اسمه في شريفات الوريقات

به ترق قلوب وهى قاسية
من مختل في عبادات وطاعات
للمالحين مقامات بحضرته
يرقى بهم سررا نحو العنايات

وللقاضي العلامة علي بن عبد الله الأرياني في ذم القات :
تولعنتم بالقات والقات قاتل
وفى حلف حرف اللام منه دلائل
وكم قد رأينا من رجال تولعوا
فقد نكلتهم بعد ذاك الثواكل
اضاعة مال ثم فقر وفاقة
ويس يضر الجسم ناكل
وما هو الا الضر من غير شبهة
ويقطع بالاكثار منه التناسل
وكم فيه من داء عظيم واتما
لأجل التداوي بعضه يتناوك
قليلا لاذهاب البخار وانه
يُفرح احيانا وتلك قاتل
ولكنه من بعد يورث غمة
على القلب منها الكرب لا شك نازل
ومنه يزول العقل من غير مرية
ومنه السهاد الاعظم المتطاوول
فلا تكثروا من اكله يا احبتي
وقد يقبل النصح الرجال الافاضل
وقدر الذي يعطى المريض تداوياً
ثلاث من الربط الذي يتفاضل
تكون مـلان الكف دون ريادة
وقدر الذي يعطى الصحيح الحلال
الى ربطة والخير في نصف ربطة
فهذا الذي أومى اليه الاوائل
ومن رام قولا غير هذا فلتني
احاكمه يوما بما هو قاتل

سمعت نظاماً صاغه الماجد الذي
 به آريان فخرأ في البلاد تطاول
 علي بن عبد الله عمته رحمة
 من الله ما دامت تسيير المنازل
 ابان خواص القات فيه مخففا
 وقسدر الذي منه يساح التاول
 فقلت مريدا أن أدليه بما
 يُقَر بما قررت فيه الاناضل
 ألا انه لا شك في الطبع يابس
 وقل هو ايضاً باردٌ ياحلاجل
 ومختلف حسب البلاد بزرعه
 وبالطبع ثم الذوق لا يتشاكل
 فطوراً نراه في اليبوسة غاية
 مع الضرر والتحذير والبعض عاطل
 وفيه مضرات وفيه منافع
 وينهما ان كنت تدرى فواصل
 ففيه من الاضرار تقليل بآءة
 ويبس الى القبولنج لا شك واصل
 وهذا الذي قررته في كثيرة
 وليس يضير المرء منه القلائل
 فان نصاب القات فيه مقدر
 بضعف الذي ضمت عليه الانامل
 وان كنت في ارض الوباء وخفت ان
 تسوق لك الامراض تلك المنازل
 فأحسن باكل القات في حفظ صحة
 اذا اختلفت للشاربين المناهل
 وفيه من النفع العظيم بانه
 يزيل بخاراً اغفلته الصياقل
 ومن يك من ضر الرطوبة خائفا
 ففي القات تخفيف الرطوبة حاصل
 ويطرد نوماً أن أردت تهجدا
 فنعم المعين أن تقام النواقل

يزيل الهموم النازلات على الفتى
 فتهرب عن قلب الكئيب الشواغل
 ويعطيك افراحاً وروحاً وراحة
 كأنك ملابن السماكين نازل
 ويغني عن الصهبا وليس بمسكر
 وليس بمحظور فيائم أكل
 ولا سيما قات البخاري أنه
 اصح كما قال الرجال الافاضل
 وليس يجاريه بميلدان فضله
 كجران فترك مايقول العوازل
 فما "شأراً" ما "المعكى" ما "البحرين"
 وما "السماوي" و"قات العافسي" (١) يماثل
 فشرح البخاري صح فينا رواية
 وفضلاً وأن قال الحسود المجادل
 تعض على مقلته بنواجذ
 شلاد فان الحق في ذاك كامل

وقد اعتذر بعض آل اسحق عن تاخره عن الحضور إلى مجلس أخوانه بقوله :
 مولاي عفواً أن تأخرت عن
 مجلس أنس ماله ثلثي
 فحسن ظني بك في العفو قد
 اطمعني والقات جراتي

وقال الاديب ابراهيم بن صالح الهندي المتوفى سنة ١١٠١ هـ مشبها :
 أشبه تغزه والقات فيه
 وقد لانت لرقته القلوب
 لآل قد نبتن على قيق
 وينهم ما زمردة تلوب

(١) البخاري وجران وساور المعكم والبحرين والسماوة وعافش : أسماء محلات مشهورة بالقات

ولمزيد الفائدة نلخص باختصار من :

ندوة عن القات عقدت بمركز الدراسات

اصدر مركز الدراسات اليمني (كتاب اللقاءات في حياة اليمن واليمنيين وفي اخره ندوة نظمها المركز في الفتره مابين ١٨-١٩ / ٣ / ١٩٧٩ م حضرها الاستاذ احمد المروني والدكتور "عبد العزيز المقالح" والاستاذ "أحمد جابر عفيف" . والدكتور "محمد عبده" ، والدكتور "باهر عتلم" ، والدكتور "شوبن" (المانى الجنسية) ، والدكتور "سيد مصطفى سالم" والاساتذة : "زيد حجر" و"عبد الوهاب المؤيد" ، و"عبد الرحمن قاضي" و"احمد المقالح" و"احمد الصرفي" والاطباء : "عبد الله الحربي" و"عبد الرحمن الشرعى" و"مُحِبِّى الدين عتله" و"عبد الرحمن الحداد" ، و"فاطمه الاكوع" و"عبد العزيز السياغي" و"امين قائد اسعد" و"فاروق حسن" و"محمد الحدايا" و"ابوبكر القريبي" .

وفي المقدمة كلمة للدكتور "عبد العزيز المقالح" منها قوله :

ان القات ليس كالحشيش والافيون أو أي المخدرات كما ذهب اليه بعض الاقطار وليس إدمانا فليس الشعب اليمني مخدرًا ، وتناولُ القات عادة يمارسها رجلُ الدين والموظف الكبير والمتقف والعالم والطبيب والتاجر والقروي والحضري فهي عادة بريئة والمخيف فيها انها تظغى على سائر المحاصيل الزراعية وفي مقدمتها البن ويزايد المعتادون للقات في الريف والمدينه بعد أن كان في المدينه ثم الاهم الغلاء الفاحش المؤدي إلى حرمان الاسرة من الضروريات وإلى الاختلاس والرشوة ولو ارتفعت المرتبات وانها قد جرت ابحاث عن القات في كاليفورنيا وفلسطين ومستشفى الكويت بصنعاء ، ومنظمة الصحة العالمية بسويسرا (والدكتور صالحوف في باكو)

ان من ايجابيات القات اللقاءات اليومية التي تجمع الاصدقاء في ندوات فكرية او تاريخية وادبية او احاديث متنوعة عن العالم والوطن ووسيلة للقراءة الجادة والمناقشة المثمرة يندر وجود مثلها في غير اليمن حتى ان بعض الدارسين المصريين اخذوا في تناول القات لذلك . وقال د . "شوبن" الالماني ان مجالس القات عادة ظريفة ومسلية تشد الاجانب اليها وهي طريقة إعداد المكان لها والجلوس على المداكي وتناول اوراق القات ومضغها وشرب الماء تدريجا الى غيرها من التقاليد .

وينبغي توفير التهوية وتوفير الكؤس لكل شارب منفرد للصحة .

اما الاقتصاديون فقرررو ان المال يغادر المدينة الى الريف الى صناديق قديمة قد لا يستمر في تدعيم الاقتصاد ، والقات هو المتهم البريء قد يلعنه أكله ويقرر ان يهجره ابدًا ، وفي اليوم الثاني يهرع اليه ناسيا قراره للعادة لا للادمان فمن يتركه لا يحس بأي تغيير قد يدركه تارك الدخان ،

وانقسم حاضرو الندوة الى قسمين :

— قسم يحارب القات لمساوئه الكثيرة ...

— وقسم يدافع عنه كعادة يمينه كالتَّنبُّل في الهند...

وسأل احدهم ايهما اخطر على الصحة القات ام السيجارة ؟ فاجاب اطباء بالاجماع ان السيجارة اخطر ، ثم سأل ثانيها ايهما اخطر على الاقتصاد فاجاب الاقتصاديون بالاجماع ان السجائر اخطر لانها مستوردة كلها او موادها .

(احمد المروني) : من اسباب ما دعانا الى دراسة القات قرار الجامعة العربية بادخاله في قائمة المخدرات ، ومضاعفة اسعاره ، ومشكلته الاجتماعية والاقتصادية ، وانه ابتلع البن . وعنصر القناعة هو الحل الامثل ويعتمد على سلوك المثقفين ، والإجراءات القسرية لا تلائم فالمطلوب وضع منهج اعلامي لمدة طويلة يشترك فيه الطبيب ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، كما انه لابد من نشر وسائل الترفيه في النوادي وغيرها .

د. الحريي : عادة القات لعبت دورا في التقاء الشعراء والعلماء وارباب الفكر فتجت دراسات دينية واجتماعية وادبية ، وتناوله عادة لا ادمان ونسبة التخدير فيه ضئيلة جدا لا تضر بالصحة كالمخدرات الاخرى ، والمقارنة بينه وبين المخدرات ظالمة والمهاجرون لا يتأثرون بغيابه ، ومن السهل تركه واليمن زراعي والقات اكثر ربحاً كزراعة ولا تحتاج زراعته الى عناء وهو الملجأ الوحيد للاجتماعات وهو منشط عكس المخدرات ، وانتشار حصي الكلي للطقوس التي يلتزم بها متعاطيه وهي عدم تعاطيه للسوائل في الصباح ، والمشىء الكثير والحمام البخاري يفقدان السوائل بالعرق وهو يفعل ذلك ليلتذ بمضغه ، وشرب الماء البارد بحرارة ، وفقد الجسم للسوائل يُسبب قله إفراز الكلي للبول فترسب الاملاح في الكلي ومسالك البول ، إذن فالطقوس هي السبب لا القات .

وامراض مسالك البول تشجع على السل والبلهارسيا وغيرها ، ونقص الشهية والغثيان عند البعض قد يكون عن القات او الكيماويات التي ترش عليه او الحشرات العالقة به وضغط الدم يرتفع عند تعاطيه ويشكو بعض متعاطيه من افرازه سائل منوى بعد التبول فينصحهم الاطباء بأخذ الزر أثناء مضغ القات فتنتج الوصفة ، ويسبب لكثيرين امساكا شديدا قد يسبب البواسير وقد يسبب السهر والشروود عند البعض بعد القات وقد يسبب تجلّطاً في الاوعية الدموية للسيقان بسبب الجلسة التي تدوم ساعات ، والقات القليل لا يترك اثرًا مما ذكر .

د. عوده: في القات تحرير الناس من آتاع العمل لكنه حلّ محلّ البن وحوّل المال من المدينة الى الريف الذي يفترض انه المُمَوَّل للمدينة وسبب في عدم الاستقلال

الاقتصادى وفى استيراد المواد الغذائية وعدم الاعتماد على النفس . وقد تنقطع المواصلات بحرب كونه فيتعذر استيرادها وحيث لا جدوى فى القات مع عدم كفاية المواد الغذائية ، والقات ليس المشكلة الوحيدة فيُهاجَم بمعزل عن سائر المشكلات الحَلَّان تكتيكى واستراتيجى : فالتكتيكى بالإعلام ووسائل الترفيه الأخرى والاستراتيجى بخطة بعيدة المدى خاصة أن ضرب المصالح الاجتماعية بمنع القات لهذا المجتمع ، والمزارع عقلاني يزرع الذى يدر له ربحا سريعا واقناعه امرٌ صعب ، والتحریم بالقانون امرٌ خطرٌ طالما ان القات مقبول في المجتمع فيجب ان تفكر فى العلاقة بين القات والانتاج وتخصّص جلسات لظاهرة القات والمشكلات الاجتماعية ضمن خطة التنمية فى الدولة .

د. عتلم : القات لعبَ دورا في تطوير الريف بتحويل المال الى الريف .

د. شوبن : بعد الثورة انتشر القات بشكل اشمَل وبسرعة . مثلا في عامي ٧٤ و ٧٥ أُستبدلت الاراضى الشاسعة المزروعة في عمران بزراعة القات .

د. الحداد : للقات ايجابيات يساعد على التركيز في الاعمال الذهنية ويرسخ ويزود الروابط الاجتماعية ، وسلبات اقتصادية ونفسية يهدم الاقتصاد ويضيع الوقت وميزانية الاسرة ويقود الى الاكتئاب واستعمال المشروبات الروحية .

د. المقالح : معلوم ان المخزّن يعمل خمس ساعات دون كلل فليس عاملا فى تضييع الوقت .

د. سيد مصطفى : بعض الفلاحين والفلاحات يخزنون صباحاً ومساءً فيخفف من متاعبهم ويساعدهم على اعمالهم وجلسات القات للمثقفين جلسات عمل .

احمد المقالح : القات عامل استنزاف ومُخدِّر اعتبرته منظمة الصحة العالمية والجامعة العربية محرما دوليا ، واليمن ضعيفة الاقتصاد لا تشير فى خططها الى ظاهرة القات ومشاكله ومن غير الطبيعى ربط استنارة الرأي العام والانتاج الفكري والادبي بتأثير القات .

عبد الرحمن قاضي : للقات تأثير ايجابي في العطاء الفكري . ومساواته بالمخدرات وتحريمه تهمه ويساعد على السيولة النقدية التى تحل كثيرا من المشكلات .

د. المقالح : القات مرض اجتماعي له جذور تاريخية ويجب البحث عن الاسباب لزيادة انتشاره بعد الثورة .

د. امين قائد : بصعبُ الجزم بمضار القات واتضامن مع الاخ الحريي وعلى الرغم من وجود اثار سلبية على البروستاتا بسبب تعاطي القات فلا يؤدي الى السرطان ولا يؤثر على أى جهاز تناسلي أو بولي أو هضمي ولا يؤثر على أى جهاز فى الجسم

، واتضامن مع الاستاذ المروني ، واضيف اقتراح تحديد ايام تعاطي القات وتقنين زراعته كالربع من الارض والباقي للحبوب والفواكه .

د. زيد حجر . اكدت الباحثة السويدية "آنا" ان المُخزّنات لا يكفي حليهن لأطفالهن عكس غيرهن من غير المُخزّنات فالحليب متوفر فيهن لأطفالهن .

د. محيى الدين عتلة : مرض السكر قليل في مدمني القات بالنسبة لغيرهم أُجريت تجربة على خمسة عشر مريضاً بالسكر في مستشفى الكويت غير مدمنين للقات لم يسبق ان عولجوا فتم اخذ ٥٠ غراماً من القات المسحوق ممزوجاً بـ ٥٠ غراماً من الكلوكوز وصُفّت وخُفّض الحجم الى ٢٥٠ سم ثم أُعطيت للمريض ما بين نصف ساعة وساعة ونصف وبقي اسبوعاً دون علاج يتناول اكلاً محدوداً وكررت التجربة مرة اخرى فاتضح من الرسوم البيانية ان الخط الثانى كان في البداية موازياً للخط البياني الاول الذى يعكس حالة المريض المتعاطي للقات خارج المستشفى والذى ياكل كيفما يشاء . وبحكم ان المريض قد خصصت له مواد من الأكل نسبة النشويات والسكر فيها قليلة انخفض الخط سريعاً فدلّ على ان القات يؤدي الى تخفيض نسبة السكر فى دم المريض إذّ ما هو التعليل العلمى ؟ القات مرغوب من اليمينيين بسبب مادة «الكاثين»

Cathine التى تم الحصول عليها بطريقة نقية فوجد انها تعود الى مادة (نوسودفرين) تبين انها ترفع سكر الدم فمادة «الكاثين» اذاً هى التى تعمل على تشييط الجهاز العصبي وعلى رفع نسبة السكر في الدم وهذا يقودنا الى البحث عن مواد لانخفاض في مكونات القات حامض (التانك) Tannic وبعض المعادن كالمغنسيوم وثبت بيولوجياً ان هذه المعادن تقلل من نشاط المعده والامعاء ونشاط الافراز والهضم والامتصاص فقلة امتصاص الدم هو السبب في انخفاض نسبة السكر فيه ، وبعد ساعتين ونصف وصل انخفاضه بتأثير القات المشروب الى الحد الاقصى ثم عاد وارتفع ثانيةً بسبب إتحاد «التانك» مع البروتينات التى تفرزها المعدة اما «المغنسيوم» الذى يؤدي نفس التأثير فقد امتص وتم التخلص منه بطريقة اخرى ومما يقود الى ارتفاع السكر مرة اخرى ان معوقات القات قد ازيلت ثم ينخفض من جديد بسبب غياب السكر في الامعاء فقد امتص تدريجاً خلال ساعتين وتبين ان مواداً اخرى في القات تؤثر على مادة (الانسولين) Insulin التى تساعد على احتراق السكر واستعماله فى الجسم . وتبرز افتراضات . . هل فى حالة المرض بالسكر يكون الانسولين متحداً بنوع من البروتين فيعيق الوظائف الخاصة به ؟ هل توجد في القات مادة تفك هذا الرباط فيزاول الانسولين نشاطه كما هو الحال فى غير المريض ؟ هل ضمن مكونات القات مواد قلوية اخرى تساعد البنكرياس على افراز الانسولين وتكوينه ؟

وثمة افتراضات أخرى ، وعملنا بحثاً آخر لمعرفة تأثير القات على البروتينات والمواد الدهنية والمعادن في الجسم وارسلنا عينات من التحليل الى جامعة عين شمس ولم تنشر النتائج بعد ، ومتعاطو القات ثلاث مجموعات :

الاولى : بعشرة ريبالات

والثانية : بعشرين ريبالا

والثالثة : بثلاثين ريبالا فاكثر

والرابعة : لا يتعاطون القات

واتضح ان جميع مكونات الجسم لا تتأثر كثيراً عند الاولى ، والعكس عند الثالثة الذين يتأثرون كثيراً بالفعل الحاد عن نسبة الدهون في الدم وتقل نسبة البروتينات مما يؤدي الى زيادة نسبة تكسيروها وبالتالي الى ظاهرة التهديم في الجسم فيؤثر على تجديده كما اتضح ان كميات الكالسيوم CALCIUM والبوتاسيوم POTASSIUM عالية عند جميع متعاطي القات ، ونتائج البحث لم تنته بعد ، واذا كان متعاطي القات يرغب في الراحة فيتناول مادة نوسوا ندرين ولا يتناول القات الذي يحتوى على جوانب ضارة وتحديد ايام للقات لا يفي فقد يحتفظ به لأيام قادمة .

د. فاروق حسن : اشار الدكتور محيي الدين الى المادة الاساسية المكونة للقات (الكاتين) واتضح من بحوث اخرى انها تدخل قلوبات اخرى في مكونات القات هي (الكالوتيس) CAL- OTHIS او الكاتين CATHINE والكادنيل CADNILE والكاتنيل CATHNILE اما مادة الكالوتيس فلا تزال مجهولة اما مادة التانك اسيد TANNIC ACID فهي معروفة والتاثيرات غير ناتجة عنه بقدر ما هي ناجه عن الكاتنيل والكادنيل .

د. القرى : جعل القات علاجاً للسكر يحتاج الى دراسات تفصيلية وما قاله د. "محيى الدين" له تفسيرات فامتصاص السكر يتم بحكم دخوله في عمليات اخرى لان كمية السكر الموجودة في الاكل يمتصها الجسم وفي حالة عدم امتصاصها تنزل الى الامعاء الغليظة وتسبب مضاعفات اسهال عكس التي يسببها القات وهى الانقباض فالمدخل الصحيح للبحث التركيز على مختلفين من ماضغي القات ومن المصابين بالسكر ومن مناطق مختلفة .

د. الحدايا : القات انواع منه مالا يسبب الاكتئاب بل الانبساط وآخر يسبب الانزواء والقات الاثيوبي يختلف عن اليمني وهذه نقطة يجب اعتبارها .

د. السياغي : القات يسبب سوء الهضم والامساك والضعف الجنسي والسهرة والارهاق .

د. الشرعى : دراسة د . محيي الدين بداية واختلاف القات واختلاف تأثيره على

الجهاز العصبي والتناسلي واختلاف تأثيره على شخص وآخر يستحق دراسة جادة .
د. الحريي : الدولة مسئولة عن الحل بالاستفادة من المتخصصين في الاقتصاد والاجتماع والتربية والصحة ، وقد اوضح الدكتور " محيي " و " فاروق " و " القريبي " مكونات عملية للقات فالطريق لن يطول .
انتهت بإختصار الندوة الى نحو ثلثها وهى كاملة فى كتاب القات بمركز الدراسات .

من بحث

(القات منبه)

منشورات منظمة الصحة العالمية

. ترجمة بلقيس الحضرائى

يستخدم القات كوسيلة للترفيه الاجتماعى وللتنبيه ، يستخدمه القبائل اثنا سفرهم والعمال اثناء عملهم ، والسائقون ، والطلبة ايام الامتحان ، وكان يشار اليه سابقا (بالشاي العربى) او (الاثيوبى) كمشروب يحدث متعة وتنبيهها فهو كشاط اجتماعى فى مجتمعات اليمن وجيبوتى واثيوبيا والصومال ، آثاره البدنية على الجهاز الهضمي والتنفسي والدوري والتناسلي وعلى الغدد ويحدث التهابا فى اجهزة الفم والمعدة وسوء هضم نظراً لمفعول حامض التنيك القابض ، ولوحظ فى مستشفى عدن الرئيسى ان نسبة حالة البواسير والفتق الناتجة عن الامساك كانت مرتفعة ، وما يتركه حامض التنيك السام من اثر على الكبد يساهم فى وجود حالات تليف الكبد فى اليمن ، اما فى الصومال فقد استخدم منذ القدم لمعالجة الربو ، وينعكس تأثير القات على الجهاز الدوري تبعاً للكمية التى يتناولها المخزن تظهر على شكل احتقان فى الوجه وزيادة النبض وارتفاع ضغط الدم وما يسبب فى خفقان القلب . والارق ظاهرة عامة خاصة المتبدئين او الذين لا يقدرون الكمية التى تناسبهم والارق قد يسبب مشاكل نفسية معقدة ولمحاولة إبطالها تتخذ كثير من الوسائل تعرف محليا (بالتفسيخ) كتعاطي الكحوليات والعقاقير المسكنة المنومة ففي اليمن الديمقراطى يكثر تعاطي العقاقير مثل

. CIUTHIMIDC و NITC AZSPAM

اصبح القات يحل محل المحاصيل النقدية كالبن ، يصرف المستهلك ٢٥٪ من دخله ينعكس عليه وعلى أسرته فى حالتهم الاجتماعية ، ونظراً لمشاكله الاجتماعية والاقتصادية والطبية نظرت بعض الدول نظرة جادة لمنعة لم يكتب النجاح فى بعضها .
اول محاولة فى الصومال البريطانى عام ١٩٢١ م ، وفى سنة ١٩٤٥ م حاولت حكومة كينيا منعه تدريجاً واوصت ان يتولى منعه قادة القبائل لنفوذهم .

اما فى عدن فقد حُظر استيراده من اثيوبيا سنة ١٩٥٧م الا انه رُفع سنة ١٩٥٨م . وبعد الاستقلال قُيدت زراعته وخصّصت ايام الاجازات لتناوله وفى جيبوتى اعتبرت فرنسا القات مخدرا فمنعته ثم ألغى المنع ثم اتُخذت قرارات لمنعه فى دول اخرى ففى المملكة العربية السعودية صدر مرسوم ملكى سنة ١٩٥٦ بمن زراعته او تناوله اما فى اليمن واثيوبيا فلم تتخذ سوى محاولات بسيطة باستثناء القانون الصادر فى اليمن سنة ١٩٧٢ بمنع زراعته فى الاراضى الحكومية وعدم تناوله فى الدوائر الرسمية الا انه قوبل بمقاومة عنيفة فألغى .

القات ..تركيبية واثارة الصحية

د. عمر حسن العطاس

وصف القات الطبيبُ النباتي السويدي "بيترور فورسكال" فى رحلته لليمن سنة ١٧٦٨م فى كتابه : FIORAAE & RPTIACO ARABICA ونظراً لوفاته قام رفيقه "نيبور" بنشر تلك الدراسة عام ١٧٧٥ م وتخليداً لذكرى رفيقه اسمى شجرة القات «كاثا ايدبولس فورسكال» وابن بطوطة الرحالة وصف : ان الناس فى جنوب الجزيرة العربية ومقديشو يمضغون اوراقا خضراء من خصائصها ادخال البهجة على النفس . ان اهم ما يحتويه القات هى القلوانيات المنبهة واسمها الكيماوى . هو دكسترونوريسود وافدرين وبقية القلوانيات هى «قاتدين وقانتين والافدرين والايدبرلين» . والاحماض الامينية ومادة الكولين ، والتنين وهى مادة قابضة تسبب الامساك والفيتامينات والمعدن خاصة فيتامين سى (ج) «نياسين ، ثيامين ، ريبوفلافين ، كاروتين ، رماد ، الياف ، كالسيوم ، حديد» الا أن نسبتها ضئيلة فلا تعتبر غذائية .

التاثيرات الجسمانية

- ١- سرعة ضربات القلب . وضغط الدم .
- ٢- ازدياد التنفس
- ٣- ارتفاع الحرارة والعرق
- ٤- اتساع حدقة العين .
- ٥- التهاب الفم والمعدة .
- ٦- الامساك
- ٧- تليف الكبد
- ٨- ضعف الشهية .
- ٩- ضعف الرغبة الجنسية وسيلان المني .

القات واثره السلى على اطفالنا

د. عباس على زياره : اخصائي امراض الاطفال

الطفل بحكم تركيبة الفسيولوجي يحس برباط وثيق نحو والديه والحوار معهما ، وقد لا يجدان الوقت الكافي لرعايته لذهابهما الى جلسات القات فيعكس الحزن عنده

ونسبة موت الاطفال فى بلادنا كبيرة وقد تكون لقصور رعايتهم لاحتجاب الوالدين عنهما فى المدكا او التفرطه ، ويقال ان ارتفاع نسبة الوفاة فى الرضع سببه القات لتأثيره على الغدد اللبنيه لان مضغ الامهات للقات يؤثر سلبيا على ادرار الحليب المنتشر بين نساء اليمن بشكل خاص ، ومن ناحية اخرى قد تتعرض الام وطفلها لمرض معد من جلسات القات ساعات فى غرفة مغلقة مع الدخان وتناول النساء قصبه المداعه مع دخان السجائر والبخور واكواب الماء والمباصق المشتركة الى ما يقتطع القات من ميزانية الاسرة فيؤثر على غذاء الاطفال . .

ليس في القات ادمان تركه ممكن

فى عام ١٩٦٥م قام بعض خبراء منظمة الصحة العالمية بدراسات ادت الى انه ليس في القات ادمان جسدي والى الفرق بينه وبين مادة «الامفيتامينات» التى تتوفر فيها خاصية التحمل TOIHERANCE أى الميل الى زيادة الجرعة ولا تتوفر في القات هذه الصفة فيسهل على الشخص الذى يتعاطاه تركه دون أى اثر .

وفى دراسات الدكتور "سعد قاسم"

بالمنظمة العربية للتنمية الزراعية ما يلي عن القات :

- (١) تأثيره على الدورة الدموية لوجود «الافيدرين» فيرتفع ضغط الدم ودقات القلب ومادة «الكاثين» المنبهه تشط عضلة القلب فتتهكها .
- (٢) ويؤثر على الجهاز الهضمي ويحدث التهابات للغشاء المخاطي المبطن للمفم والتهابات اللثة وربما يعود ذلك الى سوء التغذية الناجمة عن القات .

من بحث للسيدة "انجراس"

التي رارت اليمن قبل الثورة بنحو عشرين سنة او اكثر

كان من الممكن ان اليمنيين يشكلون مجتمعا اكثر ازدهارا من مجتمع الحضارة لخصوبة ارضهم لكن لم تكن هناك رغبة فى ان يتخطوا القرون الوسطى الى القرن العشرين ويستفيدوا من البلدان المتقدمة والسبب ادمانهم للقات (كانا ايدوليس) وهو بلاء يبدد الوقت ويشعر ماضغه انه على قمة العالم وانه قادر على حل كل المشاكل

وما ان يزول تأثيره حتى يحل الكسل وعدم المبالاة والاكتساب معظمهم يقضى بعد الظهر مع اصدقائه فى موضع القات ويصقه وشرب الماء فى احاديث دون اى فعل . واننى لا ارى اى امكانية لتطوير اليمن والقات يستنفد مواهبه ، من الصعب ان يكفوا عنه وهو فى متناول ايديهم ، وربما زودهم القات ببعض فيتامين ج ، هناك اجماع بين الذين سافروا من اليمن الى الخارج انهم استطاعوا ان يتركوا القات بسهولة اما "نيسولى" و"بارينيلو" اللذان بقيا باليمن اكثر من ١١ عاماً فقد اشارا الى السهولة الواضحة للامتناع عن القات بخلاف المدخن فلا يستطيع ان يفعل نفس الشئ بالدخان كما ان المهاجرين الى العربية السعودية يقولون ان احد الاسباب التى تدفعهم الى الهجرة تتمثل فى الهروب من الضغوط الاجتماعية لتخزين القات ولو حصلوا فى اليمن على نفس الاجور أو اكثر لما تركوا بلادهم ، والكثيرون من خريجي الجامعات بالخارج يعودون الى اليمن بنظرة ازدراء لعادات القات وسرعان ما يجدون انفسهم يمارسون التخزين خلال اسابيع والا فهم منبذون عن مجتمع اقرانهم ، وبالرغم من عدم وجود اعراض ارتدادية فسيولوجية فى ترك التخزين فقد حاول بعض المفرطين تركه مرارا لكنهم يعودون لتعب ووهن فى الطاقة وكسل عام واحلام مزعجة لليالي بعد تركه بانهم يتعرضون فى حلمهم للهجوم والخنق والمطاردة وجثوم اجسام ثقيلة فوقهم ، اما الذين يخزنون قليلا فلا يحدث لهم عند تركهم التخزين ، لا يشعر الاجانب الذين مضغوا القات لأول مرة بتأثيرات نفسية فسيولوجية على الاطلاق ويتفقون مع "نيبور" ان مذاقه لا يعطى اية دلالة على تأثيرات VIRTUES غير عادية .

ومن بحث ليوسف محمد المدفعي

القات من اسباب عزلة اليمن وعدم تصديره فائضات زراعية يظل مغلقا غير متطلع الى ما وصل اليه العالم من تحسين الاقتصاد ، شجرة القات لا تنقطع صيفاً وشتاءً وتعمّر نحو عشرين سنة او اكثر فى بعض البلدان وفيها مرونة على تحمل البرد والرياح وتصلح فى التربة السيئة ولا تحتاج لمجهود كبير ولا لماء كثير ولا مكافحة الحشرات والجراد ، كثير من اليمنيين يرفعون اجورهم لارتفاع اسعار القات ويعتبر البعض اسعار القات مقياسا لاسعار كل شئ ، ولا يساهم فى الحصول على عملة اجنبيه فهو كعملة داخلية ونسبة المتعاطين له من الذكور ٧٠٪ ومن الاناث ٢٠٪ ومتوسط متعاطيه اكثر من مليونين ، ما ينفقه المتوسط ٥٠ ريالاً فالمبلغ فى اليوم مائة مليون ريال ، الكتاب واهل المهن يدفعهم القات الى عمل اكثر والى نشاط الفكر وغزارة الانتاج وتفتح القريحه للشعر والثر ، جلسات القات وسيلة للاجتماع وتوثيق الصلات لكنه يفكك

حياة الزوجين والاسرة فالقات يحول بين الرجال والنساء والاطفال ولا يقوم النساء والاخرات تقام الام فيضيع الاطفال ؛ واول ارتفاع المهور فى مناطق القات لحاجة المرأة فى قطفه ونحوه ولكثرة دخل القات .

حول اسباب تناول القات اجابت : فئة تمثل ٤٩٪ بان القات يُعطى نشاطا وقوة ، وفئة تمثل ٢٠٪ لقضاء الوقت والهروب من الملل وفئة تمثل ١١٪ للالتقاء بالاصدقاء ، وفئة تمثل ٥٪ لتجنب النوم بعد الظهر ، وفئة تمثل ٥٪ لانه يعطى راحة وسعادة وفئة تمثل ٤٪ لتعمل عملا جيدا ، وفئة تمثل ٣٪ لانه يهدئ الاعصاب ، وفئة تمثل ٣٪ لانه ليس حراما . والقات لا يترك أى اثر الا بعد فترة من مداومة استعماله وتاركه فجأة لا يصاب باي شىء من تلك النكسات التى يصاب بها مدمنوا المخدرات لان مستعمل القات لا يصير عبداً له فالخلاف اساسي بين القات وبين المخدرات التى تولد في مستعملها تعوداً مرضياً على الرغبة فى المزيد كما فى المورفين والافيون مثلاً وهناك إجماع على ان القات مفيد للمصابين بالسكر كما يقلل من السمنة .

في عهد حكومة "نعمان" صدر قرار بتواجد الموظفين بعد الظهر لسد فراغهم الذى يشدهم الى القات فلم يتم . في حكومة "العيني" صدر قرار بقلع القات من اراضي الحكومة والاقواق ومنع الموظفين من تناوله فلم يتم ، وبعد ١٣ يونيو سنة ١٩٧٤م صدر قرار بزيادة الضرائب على القات ثم ألغى ، وفشل القرارات لانها ارتجالية ولان الاصرار على تنفيذها سيؤدى الى اضرابات داخلية .

الاهتمامات الدولية بالقات

دعت المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعي بالقاهرة سنة ١٩٧٣ الدول الأعضاء الى تقديم المعونات المادية والفنية والعلمية الى جمهوريتي اليمن بما يُمكنهما من مواجهة هذه المشكلة والقضاء عليها واتخذت دول الخليج قرارا بمنع زراعته واستعماله . اما السودان فعندما بدأ القات يرد عليها سنة ١٩٥٧ قررت منع زراعته واستعماله . وفي المغرب أُضيف القات الى النباتات المخدرة وكذلك مصر ، اما الحبشة فقررت انه لا يدخل فى المخدرات فلا سبب لمنع زراعته واستعماله ، وفي فلسطين المحتلة زرع في المناطق التي فيها يهود يمنيون . وفي عدن كان الناس يخزنون وعندما منع الانجليز استيراده سنة ١٩٥٧ م بجرة قلم إنطلق الناس من عدن الى «الحج» و«دار سعد» لتخزين القات ونتجت عن ذلك أزمة في اليد العاملة اضطرت السلطات الى الغائه بعد سنة .

أنباء ٩٥١ هـ

(تسعمائة وواحد وخمسين)

وفي سنة ٩٥١ هـ (تسعمائة وواحد وخمسين) نهض جند الأتراك من زبيد بقيادة "حسن بهلوان" الذي كان قد وصل إلى الإمام إلى صنعاء وتقدموا عن طريق «وادي سهام» يريدون الطلوع إلى الجبال وهي طريق سهلة قريبة لمرور الخيل والجمال ، فجهاز الإمام أولاده فالتقوا في "وادي لعسان" ودارت مع الأتراك معركة انتهت بهزيمة الأتراك بعد أن خسروا جماعة من رجالهم ومما قيل في ذلك من قصيدة للفقيه "صلاح بن داود بن علي داعر المرهبي" :

سعدت بسرّ وجودك الأيامُ

وغدت بجودك تفخر الأعوام

وافتر ثغر الدهر من جندل كما

سر الهدى والدين والإسلام

وبنوك سادات الأنام ومن لهم

في كل ناحية سطا وصدام

بهرت بسالتهم وقد علمت بنا

الأعـراب والأتراك والأروام

... إلخ .

وفيات ٩٥١ هـ

(تسعمائة وواحد وخمسين)

"عبد القيوم بن الإمام"

في الرابع من محرم سنة ٩٥١ هـ (تسعمائة وواحد وخمسين) مات بـ «الجراف» السيد النجيب "عبد القيوم بن الامام شرف الدين" عن دون اثنتي عشرة سنة من مولده ومع صغر سنه فقد كان يذاكر العلماء وجلس يوماً بجامع «الحشحوس بالجراف» فسمع العلماء يتذكرون في مسألة البهائم إلى أين تسيّر بعد البعث وقد طال البحث بينهم فقال: لعل الله يخلق لهم رَحبةً يتنعم فيها فأعجب الحاضرون بجوابه وكتبوه ، ولما ختم القرآن غيبا عمل الإمام وليمة الختم وأركب "عبد القيوم" على جواد فسقط عن ظهره ومات من حينه فحزن الإمام والناس أشد الحزن وقال الإمام قصيدة مرسومة على حجر عند مشهده غربي «الجراف» يقال إنه أخذها بعض المصريين إلى مصر ومنها :

حمدت الله ربى يابنيا
 على يوم نعتيت به إليا
 نقضت حشاشتي والروح لما
 نقضت تراب قبرك من يديا
 ولما إن ختمت الذكر غيباً
 قلعت به على الباري صبيا
 وكنا فى زفاف الختم نسعى
 فقال الرب زفوه إليا
 لأحد عشرة مع نصف عام
 وطئت بهمة هام الثريا
 وكنت قد امتلأت من المعالي
 فلم تترك من الإحسان شيا
 وحسنُ الصبر دأبُ العبد إلا
 على صابي فراقك لو تهيا
 ولمالم أجدلني عنه بدا
 صبرت تكلفا بعد التيا
 وماتيا بتصغير لها من
 رزية هالك حَرَى لتيا
 ومهما رام قلبي الصبر كيما
 أثاب كراه حر الوجد كيما
 وكيف يلام ذو وجد على من
 يميز في الصبا رشداً وغيا
 وكم يوم ملأت بما أرى من
 مخايل فيك صالحة ندياً

وهذه من المحن على الإمام وتكرّر الدنيا له بعد نحو أربعين سنة من السعادة .

أنباء ٩٥٢ هـ

(تسعمائة وإثنين وخمسين)

ابتداء النقص

في دولة الإمام شرف الدين

وفي سنة ٩٥٢ هـ (تسعمائة وإثنين وخمسين) ظهرت أسباب النقص في دولة الإمام قال صاحب «أنباء الزمن»: فيها ظهر النقص في دولة الإمام وإنحلال عقد ملكه وإقبال الدولة العثمانية وكان السبب في ذلك هو ما حدث بين الإمام و"شمس الدين" من جهة والمطهر من الجهة الأخرى من التنازع والاختلاف حتى تفاقم الخطب وذلك أن الإمام لما سالمته الأيام ودخل في طاعته الخاص والعام شرعت العقارب تدب فيما بينهم حتى تمكنت العداوة بينهم ، وكان أول مظهر أن الإمام أراد النقلة من «الجراف» إلى فدة بوادي ضهر لما وقع في «الجراف» الطاعون من بعض الوافدين من المدينة المنورة وكانت «فدة» في يد المطهر فأخرج منها أولاده وما يتعلق به ثم إن "شمس الدين" أشار على والده بعمارة سور قرية «القبائل» وأماكن في جبل «مرثد» شمالي «وادي ضهر» فأسعده الإمام ومازال ساعيا في تلك العمارة مطاوعا للنفس الأماره حتى صرف فيها جملة من المال.

ظهور الخلاف

بين "شمس الدين" و"المطهر"

ظهرت للمطهر الألمي شواهد الحال بأن شمس الدين لم يرد بعمارة تلك الأماكن إلا لغرض كامن في نفسه وهو محاصرته في «طيبة» فزادت الوحشة في قلبه ولم يزالوا على هذه الحالة حتى اجتمعوا لصلاة الجمعة في المسجد الذي بناه "المطهر" في «وادي ضهر» وأجرى إليه النهر وقد أزمع "شمس الدين" على قبض "المطهر" بعد نزول الخطيب من المنبر وإيداعه السجن فنبهه بعض خاصته بأن كتب لظاهر كفه (أن الملاء يأتمرون بك) فقام "المطهر" إلى باب المسجد موهما أنه يريد إزالة نخامه وأمر بعض الخدم بالإسراع إلى «طيبة» لإيصال عسكره فلم يتم الخطيب خطبته حتى وصل الجند المطهري فلما عرف وصولهم نهض مسرعا إليهم ولم يقيم أحد اليه ولا سميت نفس أحد للقبض عليه حتى وافى طيبة وبطل على "شمس الدين" تدبيره ورمى جنده

إلى المطهر وهو بمدرج «طية» وحيثُذ برح الخفاء وتكدرت موارد الصفا وظهر الأمر للناس وما برحت طائفة من العلماء والأعيان يسعون في الصلاح فلم يتم وكان أمر الله مفعولا ، ولما اتفق ما اتفق وأعفى رتق ما انفتق نهض المطهر بمن يتعلق به من أقاربه وأصحابه إلى حصن «ثلا» وناهيك به معقلا ثم غزا الحائط من بلاد «البون» فإنتهب ما فيه ، فأمر الإمام ولده "شمس الدين" بالخروج على المطهر بجميع من عنده من العسكر وأمر ولده "صلاح الدين بن شمس الدين" بالتقدم إلى حصن «علب» وعلم المطهر بخلو «الجراف» من أهل الرماح والأسياف ، فأرسل طائفة من عسكره قائدهم الأمير "عبد الله بن الحسين الحمزي" وكتب إلى القاضي بُيَّان والأمير "جوهر أكبر" وهما قائدا عسكره بطيبة بأن ينضما بمن عندهما إلى الأمير "عبد الله الحمزي" وأمر الجميع بالتقدم إلى «الجراف» والقبض على والده من غير أن يحدثوا فيه حدثا ، فتوجهوا إلى «الجراف» وشرعوا في نهب السوق وأوان الشروق وفزع الناس فزعاً شديداً فكان من أُلطاف الله بالإمام أن عامل الإمام بحراز النقيب "مبارك" قدم إلى مقام الإمام في ذلك الأوان ومعه خمسمائة رجل من العسكر فتولى أمر المدافعة عن الإمام وأقبل إليه من صنعاء أهل النجدة والحمية فانهزم جند المطهر وقتل منهم جماعة ورجع بقيتهم بالخيبة ، وكانت هذه من القضايا الشاهدة للإمام بالفضل ، ثم إن المطهر كتب إلى أهل اليمن يحرضهم على نزع أيديهم عن طاعة الإمام وكتب في ليلة واحدة ثمانين كتابا وكتب إلى قائد الأتراك بزبيد "الباشا أويس" يحرضه على التحرك على البلاد الإمامية ولما وصلت كتبه إلى أهل اليمن أعلنوا الخلاف على الإمام ، وقد كانت البلاد إلى شمس الدين فلم يخافوا جانبه وإنما كانوا يرهبون صولة المطهر .

نهوض الأتراك إلى «تعز»

ثم نهض "الباشا أويس" بالأتراك من زبيد إلى تعز وجر المدافع العظيمة وكان أمير تعز الفقيه "يحيى النصيري" قد دافع عسكر الأتراك أشد المدافعة وانقطعت عن الأتراك المواد حتى كادوا أن يعودوا عن تعز ولكن كان من الأسباب لبقائهم أن عامل "شمس الدين" على حصن «التعكر» وهو "مرجان الزبيدي" قد اشتد جوره على أهل تلك الجهة ولم يرفق بهم في مثل هذا الوقت فأخرجوه من الحصن وكادوا يفتكون به ، وكان أكثر العسكر الذين مع أمير «تعز» "النصيري" من بلاد جبلة فلما بلغهم خلاف أصحابهم وطردهم للعامل خرجوا إلى "الباشا أويس" مدعين بالطاعة وتتابع القبائل الأخرى إليه فالتجأ "النصيري" بمن معه من عسكر البلاد العليا إلى جبل «صبر» فوقف فيه إلى الليل ثم انحدر انحدار السيل ولم يصل إلى "المطهر" إلا بعد جهد جهيد .

وأما "الباشا أويس" فإنه دخل بجنوده إلى «تعز» يوم عيد الأضحى ومن غريب ما جرى أن الإمام بلغه دخول الأتراك «تعز» عقيب منصرفه من صلاة العيد .

استعطاف الإمام "للمطهر"

ولما تحقق الإمام و"شمس الدين" دخول الأتراك تعز علموا أنهم قد أساءوا بمعادة "المطهر" ، وأنه كان في العجل الزلل فلم يبرحوا في إقدام وإحجام حتى قال لهم بعض ذوي النظر إن العليل إذا أصيب بداءين مختلفين حسن منه أن يبدأ بعلاج أشدها خطراً فالرأي تقديم الخصم الذي جرعتموه الغصص وترقيتم فيه الفرص وأن "المطهر" كالداء الباطني والأتراك كالخارجي وتقديم الباطني أهم فكتبوا إلى "المطهر" باستعطاف وبذل الأنصاف والحث على جمع الكلمة وترك الخلاف وأن عند الشدائد تذهب الأحقاد فلما وصل إلى "المطهر" بثلا أنشد متمثلاً :

وإذا تكون كـريهة أدعى لها
وإذا يحاسُ الحيس يُدعى جندب

ثم أجاب إنني لا أدفع عنكم شراً ولا أسد ثغراً ولا أقابل العدو إلا بتسليم صنعاء وجميع الحصون وما فيها من المخزون ، ولما وصل جوابه لم يجدوا بداً من إجابته إلى ما طلب .
وقد تُخرج الحاجاتُ يا أمَّ مالك
كـرائمَ من ربِّ بهنِ ضنين

وانتقل الإمام بجميع أهله من الجراف إلى حصن كوكبان إذ هو مما استبقاه لولده شمس الدين وكذلك حصن العروس ولولده علي بن الإمام حصن ذي مرمر ولولديه الحسن ورضي الدين حصن كحلان تاج الدين وبنى عشب . وبقيّة البلاد والحصون للمطهر وكان انتقال الإمام إلى كوكبان في آخر الحجة وأول المحرم سنة ٩٥٤ هـ .

أسباب الخلاف الغريب بين "الإمام" و"المطهر"

في «اللائلء المضئية» أن سبب معارضة "المطهر" لوالده إستخلاف الإمام لولد العلامة "علي بن الإمام" وأنه كتب بذلك في ١٢ جمادى الأولى سنة ٩٥٢ هـ إلى كل ولاية الحصون والثغور والمدائن من «السراة إلى نجران» و«المشارق» و«مأرب»

و«المصعبين» و«رداع» و«يافع» و«التهائم» و«صهبان» و«تعز» و«وصاب» و«ريمة» و«حراز» و«ملحان» و«حجة» و«الشرفين» و«الأهنوم» و«صعدة» وغيرها بذلك .
ومن الأسباب ميل "الإمام" إلى "شمس الدين" وتقديمه في الخطبة على المطهر .
فإن "المطهر" قد عرفت قسوته وتعطشه للدماء فحاذر بطشه القريب والبعيد وكان الإمام قد سمع صرخات من قسوته ووصلته نصائح في ذلك من مجهولين إلى ما كان يُلقبه "شمس الدين" الذي كان ينازع المطهر الزعامة فكان لهذه العوامل أثرها في قلب الإمام وما زالت تنمو حتى صارت فكرة يجب تنفيذها وانقلب "المطهر" عدواً في نظر الإمام يُهمه القبض عليه وكسر شوكته ، ولما انتقل الإمام إلى «فدة» و«حصن شمس الدين القرية» والجبل فوقها المٌطل على «طيبة» مركز المطهر أوحى إليه ضميره بما أزمعوا عليه من قبضه وسجنه إلى أن يموت ولكنه لم يتسرع إلى أي عمل وأخذ بالحذر وأصبح فاقد الثقة بأبيه وأخوته ورجالهم و"المطهر" شديد الشكيمة لاطائش الجنان يعمل بالحكمة :

إذا المرء أولاك الهوان فأوله

هواتا وإن كانت قرياً أو اصره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه

فلنره إلى اليوم الذي أنت قادره

وقارب إذا مالم تكن لك قدرة

وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

ثم بقي "المطهر" بين أمرين هل يحترم الأبوة وشائج القرابة أو يجزيء الشر بالشر ثم استشعر الإمام اتساع الخرق وضياع الأمر وتشتت الشمل فأرسل طائفة من العلماء إلى "المطهر" ليتوسطوا في الإصلاح والعود إلى محجة الفلاح فاستعطفوا "المطهر" بما يحل السخائم والأحقاد . ويرد الصعب سلس القياد فأجاب إلى السلم والموادعة على أن يبقى في أي المعازل أراد ويختار لنفسه ما أحب من البلاد وأنه لا يأمن من هجماتهم إلا بكفالة من يختارهم هو فلم يتنازل الإمام إلى هذا المطلب وهناك استفحل الخطب وأصبحوا في شقين مختصمين . ولقي "المطهر" أعوانا كما أن للإمام أنصاراً
(وما قرعت عصا على عصا إلا حزن لها قوم وسر آخرون)

(والنار قد تلتظي من ناضر السلم)

وصار لسان حال الإمام :

قد كان عُلتِي التي أسطو بها

ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي

فرميت منه بضد ما أملىه

والمرء يشقّ رق بالزلال البارد

وندم "الإمام" على إهاجة "المطهر" ولا تنفع ساعة ندم ، وأصبح بمنزلة الأمر الواقع فوز "المطهر" وأن خضوع البلاد إنما كان بفضل سلطته وفتكاته .

أنباء ٩٥٣ هـ

(تسعمائة وثلاث وخمسين)

دخول المطهر صنعاء

في سنة ٩٥٣ هـ (تسعمائة وثلاث وخمسين) تم إعطاء "المطهر" ما شرط ، فدخل صنعاء وضرب السكة باسمه ودخل الناس في طاعته وحكمه ، وقبض على كثير ممن تولّى أعمال والده واستخلص منهم ما جمعه من الأموال الواسعة والذخائر النافعة وطلب من أبيه الأمر لأخيه "عز الدين" بتسليم "الزاهر" في "الجوف" وأخيه "شمس الدين" بتسليم "سوق دعام" فسلماهما .

إستيلاء الأتراك على عدن

في آخر سنة ٩٥٣ هـ (تسعمائة وثلاث وخمسين) أخذ علي بن سليمان البدوي صاحب خنفر مدينة عدن واتحدت كلمته مع الإفرنج على محاربة الأتراك وطردهم من عدن

أنباء ٩٥٤ هـ

(تسعمائة وأربع وخمسين)

في سنة ٩٥٤ هـ تجهزت عساكر الأتراك إلى عدن وحصروا "علي بن سليمان البدوي" ودخل إليه القبطان التركي برجال شجعان فقتلوه وأخذوا عدن قهرا .

نهوض الأتراك إلى اليمن الأسفل

وفي سنة ٩٥٤ هـ (تسعمائة وأربع وخمسين) بعد أن تجهزت عساكر الأتراك إلى عدن وتعز ومعظم اليمن الأسفل هرع إليهم جماعة من "أريان" و"بني سرحة" من بلاد "يريم" يحضونهم على النهوض إلى اليمن الأعلى فترجع "للباشا أويس" تقديم الأمير "أزدمر" أمير الصناجق التركية في أربعمائة فارس وأربعمائة من الرجال فسار حتى

دخل « ذمار » وتبعه "الباشا أويس" على كثرة أثقاله وصعوبة انتقاله إلى أن وصل إلى «وادي خبان» فوجده إحدى الجنات ،أنهاره جارية وأشجاره بالثمار دانية ، فاستقر فيه وأرسل إلى "ازدمر" البارود والرصاص وحجارة المدافع الكبار وما يحتاجه المحارب فامتلأت قلوب الناس منه هبة ورعبا وكان الباشا أويس قد أساء إلى أصحابه ولم يف لهم بما وعدهم قبل فتح تعز ولما طالبوه بالوفاء أمر بضرب أعناق جماعة منهم فتمالوا على قتله وبعث "ازدمر" جماعة لإعانتهم فدخل "حسن بهلوان" على "أويس" في مجلس قد عقد لشرايه وغفل عن تغير الدهر وانقلابه ، فقتله "حسن بهلوان" ، طمعا في التقدم على الأقران ، ثم استمال العسكر إلى طاعته وظن أن ازدمر وجماعته بدمار يجيئون ويقدمون فأنظروا إجابته وطلبوا وصوله إلى «ذمار» فلما وصل خرج "ازدمر" ونشر سنجقا سلطانيا ونادى فى الناس أنه من كان فى طاعة السلطان دخل تحت هذا الظل الممدود واللواء المعقود فأنشال إليه العسكر ، فلما ظهر لـ "حسن بهلوان" الشر من «ازدمر» هرب من «ذمار» في اثني عشر من أصحابه إلى أن وصل بنى غُصين آنس وهم تابعون "للمطهر" فقتلوا "بهلوان" وأصحابه وبعثوا برأسه إلى المطهر بصنعاء فسكن اضطراب الناس وخوفهم بعد قتل "أويس" و"بهلوان" .

نهوض "ازدمر" إلى صنعاء

وفظائله بها

بعد قتل "أويس" و"بهلوان" أقام "ازدمر" مدة بـ «ذمار» وضبط أمور عسكره وهو يترقب الفرصة لقصد صنعاء ولكن فاجأه خبر أن رجلا من أصحاب "بهلوان" يسمى "حيدر" وثب على «زيد» وساعده جماعة منهم "الكيخيا صفر" و"محمد كاشف" وغيرهما فجهز "ازدمر" "الأمير موسى" فأخضعهم ونهب دورهم ثم قتلهم مع أربعة عشر ممن تمالوا على قتل "أويس" .

ثم نهض "ازدمر" إلى صنعاء في جمادى الآخرة سنة ٩٥٤ هـ فرجع "المطهر" عن الخروج إلى طيبة ليتمكنه الغارة على صنعاء ، ولما استقر "ازدمر" خارج صنعاء باغتهم المطهر فوق القتال واشتد النزال في «باب المنجل» وأغار مع "المطهر" جنده بصنعاء فقتل من جند "ازدمر" زيادة على عشرين ورجع "المطهر" إلى «السنينات» وفي اليوم الثاني ضربت مدافع الأتراك على صنعاء وشددوا عليها الحصار فأعاد "المطهر" الكرة عليهم وكانت معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة "المطهر" فتوجه إلى كوكبان فشدد الأتراك حصار صنعاء ، وكان على «خندق باب شعوب» رجل من أهل «الرحبة» يعرف «بالعنجري» "خان وطنه وساعد الأتراك بدخولهم من جانبه فلم يشعر أهل صنعاء عند

شروق شمس اليوم السابع من حصار صنعاء إلا بالأعلام التركية على دوائر صنعاء مركوزة والرماح نحوهم مهزوزة ، فعظم واشتد الكرب وارتفع الصراخ وقتل من أهل صنعاء ألف ومائة ونهبت البيوت وانتهكت المحارم وبيعت النساء في الأسواق كإماء ومنهن من زال عقلها ومنهن من قتلت نفسها وفقد من أعيان صنعاء عدة وكان "صلاح الدين بن شمس الدين بن الإمام" ومن عنده من الجند قد برزوا أول النهار لمحاربة الأتراك في «سائلة صنعاء» ثم انهزموا إلى القصر وخرجوا من بابه ولم يتبعهم الأتراك لاشتغالهم بنهب صنعاء ، ولما بلغ الخبر إلى "المطهر" بـ «ثلا» ندم على أمره لأهل صنعاء بعدم التسليم للأتراك وهي إحدى نداماته الثلاث والثانية عصيان والده والثالثة عمارة «طيبة» العمارة البالغة ، وحين استقر "ازدمر" بصنعاء وسمع الأذان من المنارات أمر برفع السبي والنهب والسيف بعد ثلاثة أيام .

"عز الدين ابن الامام" وسوء تدبيره

ولما بلغ أمير «صعدة» "عز الدين بن الإمام" استيلاء الأتراك على صنعاء جمع الجيوش من بلاد «صعدة» لمحاربتهم ووصل إلى «بلاد الظاهر» فاشتدت وطأته على أهلها وانخزل عنه «الحمzat» ووالوا الأتراك .

وكان المطهر قد كتب إليه بانتقاله من «الظاهر» إلى «جبل عيال يزيد» ليتقاربا لتعاونهما فلم يسعد ثم لم يشعر إلا بهجوم «الحمzat» ومن انضم إليهم من الأتراك وانتهابهم محطته ووقع القتال وكانت الدائرة أول اليوم على «الحمzat» في «جبل صبيح» ثم كتب "عز الدين" إلى أبيه بطلب إمداده برجال فاعتذر وكتب "المطهر" إلى أبيه بإرسال "شمس الدين" من «كوكبان» و"المطهر" يلقاه من «ثلا» لإعانة عز الدين فاعتذر الإمام ببقاء "شمس الدين" لديه وخشى "المطهر" إذا خرج من «ثلا» أن يخلفه "شمس الدين" على «ثلا»

أسر "عز الدين" وموته في ينبع

كان "عز الدين" كثير الإعجاب بخيله ورجله ورأيه وفعله فوثق باهل «الظاهر» ولما أراد قصد محطة «الحمzat» أرسل قائدهم الشريف ن "أصر بن أحمد الجوفي" إلى قبائل «الظاهر» رجلا من أهل «خمر» يقول لهم إن الأشراف يقولون لكم إنما أرادوا مدافعة "عز الدين" عنكم لما في نفسه من الغيظ عليكم فإن أحببتم قيامنا معكم اجتمعتم معنا عليه وإلا تركناكم وإياه ومضرتكم عليكم فمالوا إلى هذه المقالة وإلى الغدر بـ "عز الدين" في أسرع حالة ثم توجه "عز الدين" لمحاربة الأشراف والأتراك ولم يترك في محطته من يحفظ أثقاله وخزائنه وحين التقى الجمعان وثب أهل «الظاهر» على

محطته فانتهبوها فانهمزم إلى حصن «ظفار» وكان له فيه شحنة وعدة فبادر إليه "ازدمر" وجر المدافع على «ظفار» ففر "عز الدين" متخفياً فإذا صارخ من أعلى الحصن يقول للأتراك إن "عز الدين" خرج من الحصن في صورة امرأة فأحفظوا الطرقات فأيس من الخروج ورجع إلى يد "ازدمر" فقبضه أسيراً وتوجه به إلى صنعاء ثم أرسله إلى الأبواب السلطانية فمات «بيندر ينبع» غريباً عن ٣٩ سنة من مولده في رجب سنة ٩١٥ هـ وقد تقدم ذكر فتوحاته في سنة ٩٤٢ هـ ببلاد صعدة وغزوه وفتحه في شمال «تهامة» ووصله إلى والده سنة ٩٤٥ هـ وكان قد امتدحه أخوه العلامة الأديب "عبد الله بن الإمام" بالقصيدة الشهيرة أكثر من ثمانين بيتاً منها :

خطرت فقل للغصن صل على النمي
وبدت فقلنا للنجوم تغيمي
شمس تقول لمقلة الراشي لها
من قبل مرآها اذهبي لا تنهبي
لاحت لنا كالبلدر ثم تبرقعت
فرأيت بلدا حل قلب العقرب
وبخلها خال أراه عمها
حسننا وناسبها بلون أجني
نظرت إلى بطرف أحوى أحور
فخجلت فابتسمت لما قد حل بي
وغلت تسكن روعتي بتلطف
من لفظها وتأدب وتحبب
مالي إذا غربت فيك تشرقني
عني وإن شرفت ففبك تغربي
أصبحت مثل النجم ينحو مشرقا
وترده الأفلak نحو المغرب
يا قلب مالك ما اتقلبت عن الهوى
والقلب قد قالوا كثير تقلب
خل النسيب فقد أطلت وعد عن
ذكر البطالة واشتغل بالأنسب
بصفات عز الدين والدنيا ومن
ما قلت فيه من الحليث الأطيب
ندب أقرله جلال كماله
في صدر مجلسه وقلب الموكب
أسد تخاف الأسد ثعلب رمحه
فمعجبت من خوف الأسود لثعلب

بِسْمِ اللَّهِ تَهَبُ الْمُنَى وَحَمَلَسَ تَهَبُ الْمُنَى يَا خَيْرَ مُعْطٍ مُعْطَبٍ... إلخ

وقد ذكرت بـ «نزهة النظر» في ترجمة "أحمد بن محمد شرف الدين" :

ملاحم «ثلاث» بين «المطهر» و«ازدمر»

ثم بعد أن أسر "عز الدين" داخل "ازدمر" التيه ، فكتب للمطهر بتسليم ما في يده من المعامل أو تسليم مال فأجابه المطهر على تسليم المال فظن "ازدمر" أنه قد عجز عن الحرب فقصده للحرب وجر المدافع وقد كان الأكثر من عسكر "مطهر" فارقوه ولم يبق لديه إلا الخلص ، فوصل الجند التركي إلى المائدة شمالي «ثلاث» وحاولوا أخذ «الناصرة» وكان فيها من الحماة شزيمة يسيرة فوجهوا المدافع إليها حتى أخذت سورها وحطمت عمائرهما ثم حملوا عليها حملة رجل واحد فثبت من فيها غاية الثبات وقتلوا من الأتراك فوق مئتي تركي ودام القتال نحو أربعين يوماً . ولما علم الناس أن "المطهر" قد امتنع في غيلة وآيس محاربوه من نيله أتوا إليه أفواجا من كل مكان حتى حاصروا الأتراك وانقطعت عنهم المادة فطلبوا من المطهر الأمان فطلب منهم العهود في ترك الحرب والمكيدة فأجابوه إلى ما طلب فأرسل إليهم السيد "يحيى بن الحسن المؤيدي" والفقيه "صالح داعر" لأخذ العهود المطلوبة ، روى الفقيه "صالح داعر" قال : لما وصلنا إلى المائدة وجدنا الأتراك في ضيق شديد فقبّلنا "ازدمر" بأحسن قبول ، وكان من أهل الرجاحة والعقول واصطفيت أجناده صفين فأخرج السيد "يحيى بن الحسن" مصحفاً وكان كلما قال "لازدمر" قل : والله العظيم ، قال : والله العظيم وقالت العساكر التركية : والله العظيم ، ثم قوّض "ازدمر" أظنابه وقلقل ركبانه وعادت الأتراك إلى صنعاء خاسرة صاغرة . . . ولما انفصل "ازدمر" عن حرب "المطهر" داخل "شمس الدين" الخوف من أخيه "المطهر" فأرسل ولده "محمد بن شمس الدين" إليه وطلب منه الصلح ، ليدمل بالتودد الجرح ، وقد كان "شمس الدين" مع الأتراك على "المطهر" فأجابه "المطهر" إلى مراده وعاد إلى إشفاه ووداده .

أنباء ٩٥٥ هـ

(تسعمائة وخمس وخمسين)

حروب «البون»

وفي سنة ٩٥٥ هـ (تسعمائة وخمس وخمسين) نقض "ازدمر" الصلح واستخف بالعهود فحشر الجنود وجنح إلى قول الحسود ، فنهض إلى «البون» وانضم إليه "محمد بن

الحسين الحمزي الجوفي " في مئتي فارس من الجوف فخرج إليهم "المطهر" من
«ثلا» بجنده الأوفر ثم اقتتلوا قتالا شديدا آلان الحديد وأضعف الشديد إلى أن آل إلى
انهزام الأتراك والأشراف عن ذلك المصاف بعد أن قُتل منهم عدة، واستولى "المطهر"
على ما في محطتهم من العدة . ومما قيل في ذلك من قصيدة :

وسل «البون» عنه ينبئك
البون شفاها بصادق الأنبياء
من أباد الأعداء منهم بسيفين
من المـرـهـفـات والآراء
وسما بالخميس يقتحم
الموت دواما بليلة الأربعاء
قد نضا كفه عصب صب سيف
لامع كالشهاب في الظلماء
واتشنى والرؤس في البيد ترى
قد سقاها بديمة من دماء
أيد الله بالملامك اسمى
ملك شاد ملة الحنفاء .. إلخ .

ثم رجع "المطهر" إلى مقر عزه «ثلا» مؤيدا منصورا . وعاود "شمس الدين"
الخوف والوجل فसार نفسه إلى صنعاء وبذل جهده في تحريض الأروام على أخيه
"المطهر" ورجح لهم عمارة «عمران» ، وأن يبقى فيه عصابة منهم واستمد جماعة
منهم للوقوف معه في «شباب» .

وفيها كتب الإمام من «حصن كحلان تاج الدين» قصيدة إلى «خولان الطيال» يحثهم
على الجهاد للأتراك وأرسلها بواسطة ابنه علي وهو بـ «ذي مرم» منها :

أبلغ سلامي هداك الله خولانا
جزاهم الله بالإحسان إحسانا
أنصار دين الهدى والقائمين بما
قد أنزل الله في معناه قرآنا
أهل الحمية للدين الحنيف فقد
شادوا لدين الهدى والحق بنيانا
هم الأسود إذا صالوا رأيت لهم
حماهم الله مضربا ومطعانا
بخ لخولان قد أرضى جهادهم
رب العباد بلا شك وإرضانا
حاموا على الدين ياخولان لا تهنوا
كونوا على طاعة الرحمن أعوانا

وأبشروا بالذي ترجونه عَجلاً
نَصراً عزيزاً وتمكيناً ورضواناً
طبتم فطاب لكم أجر الجهاد وقد
فُزتم به وعلوتم في الورى شأناً
ولا نزال لكم ندعو ونشكركم
فإله يرعاكم طراً ويرعانا
وأخر القول نظماً مثل أوله
أبلغ سلامي هداك الله خولانا

وفيات

"محمد بن يحيى القاسمي"

في رجب سنة ٩٥٥ هـ (تسعمائة وخمس وخمسين) توفي في مدينة «عيان» السيد العلامة "محمد بن يحيى بن صلاح القاسمي العياني" مؤلف «الأنوار، المتوسط ما بين التذكرة والأزهار» في الفقه في مجلد .

أنباء ٩٥٦ هـ

(تسعمائة وست وخمسين)

خروج "ازدمر" على من في «بيت عز» وغيره

وفي سنة ٩٥٦ هـ (تسعمائة وست وخمسين) طلب شمس الدين من «الاروام» خروجهم لمحاربة أصحاب "المطهر" في «بيت عز» ، وكانوا نحو ثمانين وهو قريب من كوكبان فوصل ازدمر وشدد عليهم الحصار ورماهم بالمدافع فصبروا حتى نفذ ما عندهم وعيل صبرهم، ثم خرجوا على حكم "ازدمر" فضرب أعناقهم عن آخرهم ورجع الى صنعاء ثم ما برح يتردد إلى الظاهر ويتربص بالمطهر الدوائر فلم يظفر منه بمrade فارتفع إلى «قاع الضلع» لمناصرة "شمس الدين" بكوكبان ثم أراد القدوم إلى «شماة» وكانت منقسمة بين "شمس الدين" و "المطهر" فخرج "المطهر" من «ثلا» ووقع الحرب الشديدة قتل فيها من الأتراك أكثر من مائة ومن جند المطهر أقل ورجع المطهر إلى «ثلا» ولم يجد أهل «شماة» بداً من الخروج إلى "ازدمر" بأمان فخانَ ومال عليهم نهبا وأسرا وكان ذلك قوةً للمطهر. فإن قبائل «جبل تيس» و«بلاد الحيمة» كانوا قد هموا بالدخول تحت طاعة الأتراك فلما رأوا ما فعل "ازدمر" بأهل شماة أعرضوا وخافوا غدر الأتراك ، ثم توجه المطهر إليهم واجتمعت إليه القبائل فارتفع ازدمر عن تلك المحطة ورجع إلى صنعاء وأمر بسرعة جبر المدافع فوراً خوفاً من استيلاء المطهر عليها

وسلكوا بها نقيلاً صعب المسالك فهلك من الأتراك جماعة ومما قيل في ذلك :

لولا دفاع الله عنا بالذي
لولا لم يطلع لهذي كوكب
الماجد الملك المطهر غوثنا
حلمي حمى الدين الأعز الأطيب
وتكررت فتكاته فبمشرق
حيناً وحيناً في الجهات يُغرب

أنباء ٩٥٧ هـ

(تسعمائة وسبع وخمسين)

وفي سنة ٩٥٧ هـ (تسعمائة وسبع وخمسين) تكررت الحروب بين المطهر والأتراك واشتدت الخطوب .

وفيات

"محمد بن يحيى بهران"

وفي رمضان سنة ٩٥٧ هـ (تسعمائة وسبع وخمسين) توفي بصعدة القاضي العلامة الكبير شيخ الإسلام "محمد بن يحيى بن محمد بهران الصعدي" علامة اليمن ومحدثه المبرز على أقرانه في كل فن ، كان في أول أمره يتنقل في البلاد اليمنية للتجارة وسافر إلى بلاد الحبشة وهو مع ذلك يطلب العلم في كل محل يتجر فيه حتى تفرد برئاسة العلم في عصره وصنف المصنفات العديدة النافعة الحافلة منها : «شرح الأثمار في الفقه» في أربعة مجلدات شحنها بجواهر الأخبار باستيفاء الأدلة وتخريجها من الكتب المعتمدة . ومنها كتاب «المعتمد في الحديث» جمع فيه الأمهات الست ورتبه على أبواب الفقه ، ومنها «جواهر الأخبار في تخريج أحاديث البحر الزخار» ، ومنها «التفسير الكبير» ستة مجلدات جمع فيه بين «الكشاف» و «تفسير ابن كثير» وغيرها من التفاسير وسبق احتفال الإمام به ومنها في أصول الفقه «الكافل» شرحه "لقمان" و"حابس" و"الطبري" . وله في العربية «قوت الأرواح» وله «مختصر» في العروض . و«التحفة» في العربية . وشرح «القصص الحق في مدح ومعجزات خير الخلق» و«بهجة الجمال ومحجة الكمال في الممدوح والمذموم من الخصال في الأئمة

والعمال» وهو كتاب مفيد طبع بمصر سنة ١٣٤٩ ضمن الرسائل اليمنية وحذر فيه من التأديب بالمال . وكان ورعا زاهدا يستنفق من كد يده مع إفاضة الإمام شرف الدين عليه الأموال الواسعة كما هو شأنه في تعظيم العلماء ورعايتهم .

اللامية الصعدية

«الجد في الجد»

وله الأشعار الفائقة منها قصيدته اللامية التي سلك فيها مسلك الطُغرائي وغيره سألها نظمها تلميذه "محمد بن علي بن عمر الضمّدي" وهي تزيد على ستين بيتا خمسها "سعيد بن داود الأنسي" المتوفي سنة ١٠١٠ هـ :

الجد في الجد والحِرمان في الكسل

فلتصّب تصب عن قريب غاية الأمل

وشم بروق الأماتي في مخائلهما

بناظر القلب تكفي مؤنة العمل

واصبر على كل ما يأتي الزمان به

صبر الحسام بكف الدارع البطل

وجانب الحرص والأطماع تُحفظ بما

ترجو من العز والتأييد في عجل

واقن القناعة لا تبغي بها بدلا

فما لها أبدا والله من بدل

وصاحب العزم والحزم اللذين هما

في العقْد والحل ضد العي والخطل

والبس لكل زمان ما يلائمه

في العسر واليسر في حل ومرتحل

واصمت ففي الصمت أسرار تضمنها

مانالها قط إلا سيد الرسل

واستشعر الحلم في كل الامور ولا

تبدل ببادة سوء إلى رجل

وإن بليت بشخص لاخلاق له

فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

ولا تمار سفيتها في محاوره

ولا حليمًا لكي تجو من الزلل

ثم المزاح فدعه ما استطعت ولا

تكن عبوسا ودار الناس عن كمل

ولا يغرك من يدي بشاشته
منهم إليك فإن السم في العسل
وإن أردت نجاحاً أو بلوغ منى
فاكتم أمورك عن حاف ومتعل
وأبكر بكور غراب في شذا نمر
في باس ليث كمي في دعا ثعل
في جود حاتم في اقدام عنبرة
في حلم أحف في علم الإمام علي
وهن وعز وباعد واقترب واعد
وابخل وجد وانتقم واصفح وصل وصل
بلا غلو ولا جهل ولا سرف
ولا توان ولا سخط ولا ملل
وكن أشد من الصخر الأصم لدى
البأساء وأسير في الآفاق من مثل
حلو المذاقة مرّاً لنا شرسا
صعباً ذلولاً عظيم المكر والحيل
مهذباً لودعيّاً طيباً فكها
صافي الوداد لمن أصفى مودته
حقاً وأخفد للأعداء من جمل
شهم الفؤاد وقورا حولاً يقطا
واری الزناد أياً غير ذي وهل
لا يطمئن إلى ما فيه مقصّة
عليه إلا لامرماً على دخل
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها
حتى يقدر أديم السهل والجبل
إلى داع إلى طمع
ولا ينيخ بقماع نارح العلل
ولا يصيبخ إلى داع إلى طمع
ولا ينيخ بقماع نارح العلل
ولا يضيّع ساعات النهار فلن
يعود ما فات من أيامها الأول
ولا يراقب إلا من يراقبه
ولا يصاحب إلا كل ذي نبل

ولا يعد عيوب الناس محتقراً
 لهم ويجهل ما فيه من الخلل
 ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً
 يصاب من أصوب الأمور بالغيل
 ولا يؤمل آمالاً لصباح غد
 إلا على وجل من وثبة الأجل
 ولا ينام وعين الدهر ساهرة
 في شأنه وهو ساهٍ غير محتفل
 ولا يصدُّ عن التقوى بصيرته
 لأنها للمعالي أشرف السبل
 من لم تكن حُلل التقوى ملابسه
 عار وإن كان مغموراً من الحلل
 من لم تقلده صروف الدهر تجرية
 فيما يحاول فليرعى مع الهمل
 من سالمته الليالي فليثق عجلاً
 منها بحرب عِدوٍ غير ذي مهل
 من كان همته والشمس في قرن
 كانت منيته في دارة الحَمَل
 من ضيع الحزم لم يظهر بحاجته
 ومن رمى بسهام العجب لم يتل
 من جالس الغاغة النوكى جنى تدماً
 لنفسه ورُمي بالحادث الجلل
 من جاد ساد وأضحى العالمون له
 رقاً وحالة جعد الكف لم تحل
 من لم يصن عرضه ساءت خليقته
 وكل طبع لثيم غير منتقل
 من رام نيل العلى بالمال يجمعه
 من غير حل بلى من جهله وبلى
 من هاش عاش وخير العيش أشرفه
 وشره عيش أهل الجبن والبخل
 عاجمت أيام دهري شدة ورخاً
 ويؤت فيها بأثقالٍ علي ولي
 وخضت في كل وادٍ من مسالكها
 بلا فتور ولا عجز ولا فشل

طورا مقيما مقام الدر في صلف
 وتارة في ظهـور الاينق النلل
 بالشرق يوما ويوما في مغاربها
 والغور يوما ويوما في ذرى القلل
 وتارة بين أحبار جهابذة
 وتارة أصحـب الغوغاه في رجل
 وتارة بين أملاك غطارفة
 شم العبرتين بين الخيل والخوك
 هذا ولا ارتضي حالا ظفـرت به
 إلا وقتت بحبل غير منفصل
 ولا ايمم بحرا جاش غار به
 إلا وجلت سرايا أو جرى وشل
 ولم يلد لعيني منظر أبدا
 ولم أرل ونيات الدهر في جسد
 حتى إذا لم ادع لي في الثرى وطنا
 أقصرت من غير لا وهن ولا ملل
 فالـيوم لا أحد عندي له ادب
 ولا فتى أبدا ذو حاجة قبلي
 وفي الفؤاد أمور لا أبوح بها
 ما قرب النأي أيدي الخيل والإبل
 فإن امت فلقد اعنرت في طلب
 وإن تعمـرت لا أصغي إلى عند
 تمت برسم أخ مازال يسألني
 إنشأها أبدا في الصبح والطفل
 فقلتها لأداء مفروض طاعته
 والقلب في شغل ناهيك من شغل
 ولم أبالغ بتمني لاكثرها
 ولا ذكرت بها شيئا من الغزل
 لكنها حكـم مملوءة همما
 تغني اللبيب عن التفصيل بالجمل
 بني الغباوة من إنشأها ضرر
 كما يضر نسيم الورد بالجـمل
 ثم الصلاة على أعلى الورى شرقا
 محمد وأمير النحل خير ولي

ما أومض البرق في الديجور مبتسماً وما سفحن دموعُ العارض الهطل

انتهت القصيدة لابن بهران الصَّعْدِي وقد غلط بعض أهل المطابع بنسبتها إلى " خليل الصَّعْدِي السوري " ولعله التبس عليه الصَّعْدِي بالصَّعْدِي .

أنباء ٩٥٨ هـ (تسعمائة وثمان وخمسين)

وفى سنة ٩٥٨ هـ (تسعمائة وثمان وخمسين) خرج "ازدمر" من صنعاء لحرب "المطهر" بـ «ثلا» وجر المدافع معه فلما وصل «المنقب» استقر فيه وعمرَّ قبة حول البركة لحفظ خزائن ولم تقع حرب .

وفيها تصدى الشريف "صلاح بن أحمد" إلى قبض حصن «الطويلة» والتمرد فيه، وظن أن "المطهر" في شغل بمقاتلة الأتراك وكتب الشريف إلى أهل «لاعة» وغيرهم وكان في الحصن رجل من أصحاب المطهر اسمه "براز" فرجموه إلى خارج الحصن فأقبل أهل «الطويلة» لمحاصرة الشريف وأصحابه وكتبوا للمطهر بصفة الأمر فخرج من «ثلا» مبادراً إلى قريب الحصن فلما شاهد الشريف جيش "المطهر" لم يقربه قرار فنزل على حكم "المطهر" فلامه ثم ربط أصحابه الذين ساعدوه إلى جمال وسُحبوا على وجوههم وضرب عنق الشريف .

إنفصال "ازدمر"

ووصول "مصطفى نشارباشا"

بينما كان ازدمر يعدُّ عدته لمقاتلة المطهر وافته الأنباء بخروج "مصطفى نشار باشا" خلفاً له من السلطنة . وكان الإفرنج قد أخذوا بلاد الحبشة واستولوا على بعض البلاد الإسلامية ، ولما وصل "مصطفى" إلى تهامة خادع "المطهر" بأنه وصل للصالح والموادعة، وأن السلطان أمره برفع جميع العساكر من اليمن لقتال الإفرنج المتغلين على الحبشة .

كتاب السلطان إلى "المطهر" وجوابه

وأرسل "مصطفى" إلى "المطهر" من «تعز» رسالة من السلطان "سليمان بن سليم" يحثه على الدخول في طاعته ويحذره من مخالفته منها :

«هذا مثالنا الشريف السلطاني وخطابنا المنيف الخاقاني إلى الأمير الكبير الشريف الحسيب فرع الشجرة الزكية وطرار العصاة العلوية السيد مطهر بن الإمام شرف الدين

نفيد لعلمه الكريم أنه لم يزل بمسامعنا الشريفة إخلاصه لسدتنا وقيامه بقلبه وقالبه في مرضاة سلطتنا ، ثم بلغنا أنه وقع بينه وبين أمرائنا بتلك الجهات خلاف كبير ووقائع عم ضررها المأمور والأمير ، وهذا عين الخطأ المحض وعساكرنا المنصورة حيث سلكت ملكت وحيث حلت فنتكت ، ولو شئنا لجاءكم منها شزيمة قليلون مائة ألف أو يزيدون لكن غلب حلمنا عليه كونه من سلالة سيد المرسلين فلزم أن ننبهه قبل اتساع الخرق عليه وكونه آوى إلى جبال يتحصن بها ويزعم أنها تنجيه وذلك عين المحال :

أين المفر ولا مفر لهارب

ولنا البسيطان الشرا والماتر

إلى آخره تاريخه شوال سنة ٩٥٧ هـ (تسعمائة وسبع وخمسين)

ومن جواب المطهر :

وبعد فيانه ورد إلينا من تلقائه . أطال الله للإسلام والمسلمين في بقاءه ، مرسوم سطعت أنواره وطلعت بالمسرات شمسوه وأقماره ، وتضاحكت في عرصات المجد كمائمه وأزهاره ، وذخرت بما تقرُّ به العيون ، وتصلح به الأحوال والشئون بحاره ، فوجدناه أشفى من الدرياق ، وأبهى من الأثمل في دعج الأحداق فتعطرت الأفئدة بنشره ، وأعلنت الألسن بحمده وشكره ، وهب في البوادي والامصار نسيم ذكره ، ودخلت الناس أفواجا تحت نبيه وأمره :

فإذا المنرجات كانت سلوكا

فهو فيها وبينها أكليلا

منرج فيه للبهاء غلوة

ورواح ومسرح ومقيل

وعرفنا ما ذكره سلطان الأمم . ومالك رقاب العرب والعجم . من الإحاطة بطاعتنا لجلاله ودخولنا تحت لواء أقواله وأفعاله ، ومن استمسك بعروتكم الوثقى فاز بمطالبه ، وحاز الغاية القصوى من مآربه ، وكان في أمن من حوادث الدهر ونوائبه . ونحن من مودتكم على يقين . ونرجو أنكم لا تصغون إلى أقوال الفاسقين . ولا تهملوا رعاية الصالحين والمقيين . ولا تقطعوا حقا لذرية النبي الأمين . ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ نص الكتاب المبين ، وأنتم أولى برعاية ما أمر الله به أن يرعى لكم من محامد مذكورة ومفاخر مشهورة نؤمل أن تشقوا بحسامها يوافيخ الوشاة ، وتردوا كيد كل كائد لا يراقب الله ولا يخشاه ، والذي نقله إليكم أرباب الزور ، وذوو الإفك من الناس والفجور ، تحولنا عن طاعة السلطان الأعظم ، ومخالفتنا لما سبق من مودتنا وتقدم ، كذب يعلمه الداني والقاصي ، ومعنى المين الذي لناقله أشد الاختصاص . وحاشا الله وكلا أن نرضى بمخالفة . أو نميل عن تلك الأحوال السالفة ،

نعود بالله من الحور بعد الكور ، ومن التقاعد عن طاعتكم وهي التي يجب السعي لها على الفور ، وأك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعرف الناس بالصواب ، وأدراهم بمعاني السنة والكتاب ، والذي أشرتكم إليه من مخالفتنا لعساكركم المنصورة ليس له صحة ولا ثبات بل قصدونا إلى هذه الجهات وجلبوا إلينا تركاً وأرواما . وهتكوا عهداً بيننا وبينهم وذماما . وما راعوا لأوامركم الشريفة فيها أحكاما . وضيقوا علينا مسالك المعيشة خلفاً وأماما ورمونا بمدافع لا يرمى بها إلا الذين يعبدون أوثاناً وأصناما . ولم يعلموا أنا ممن أوجب الله له رعاية واحتراما ومن الذين يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً . فدافعنا عن أولادنا ونفوسنا بما أمكن من الدفاع ونحن في مهاجر يسير ومكان يأوى إليه الضعيف من الأمة والصغير . ولو أن عساكركم المنصورة الألوية . المسلمة إن شاء الله تعالى من صروف الأفضية ، وجهوا همهم العلية ، إلى جهاد العصاة الكفرية . لنالوا من الخير نيلاً عظيماً ، غير أنهم تشاغلوا بحربنا عن جميع الحروب . وفوتوا بذلك كل غرض مطلوب ، وحين وصل المرسوم المشرف طنباً به نفوساً ، وسكننا به محلاً من الأمن مأنوساً ، فإن امتثل من حولنا من الأمراء الأكابر ما صدر منكم من النواهي والأوامر ، فذلك البغية المقصودة والضالة المنشودة ، وإن خالفوا أوامركم المطاعة ، وقابلوا نواهيكم اللازمة بالإضاعة ، فحسبهم عذابكم الويل وما تعدونه لمن خالفكم من التكيل وحسبنا الله ونعم الوكيل حرر ١٣ رجب الحرام سنة ٩٥٨ هـ (تسعمائة وثمان وخمسين) .

و حين وصل رسل "المطهر" إلى تعز قابلهم الباشا "مصطفى نشار" بالإكرام والتبجيل والإعظام وحقق لهم ما في نفسه من محبة الصلاح ثم أرجعهم إلى "المطهر" ومعهم الشيخ "أحمد بن عثمان العمودي" من علماء الشافعية ليعرف ما عند "المطهر" من الطاعة للسلطان فلما وصلوا إلى «المنقب» وبها محطة "ازدمر" منع "ازدمر" وصول رسول "مصطفى نشار" إلى "المطهر" لـ «ثلاً» يطلع على حقيقة الأمر ونهض "مصطفى" إلى اليمن الأعلى وكتب إلى "المطهر" أن يرسل إليه أحد أولاده إلى «ذمار» . ولما اجتمع بـ "أزدمر" في «ذمار» حضه "أزدمر" على حرب "المطهر" فانتظر "مصطفى" وصول أحد أولاد "المطهر" وكان "المطهر" لم يستحسن إرسال أحد أولاده قبل معرفة الحقائق وأجاب على "مصطفى" أن ذلك لا يكون إلا بعد عقد الصلح وتسليم ما وصل إليه من السلطان من الخلع والتحف للمطهر فعلم "مصطفى" أن حيلته على المطهر لم تعمل شيئاً واجتمع رأيهم مع "ازدمر" على حرب "المطهر" .

المراسلة بين "المطهر" والأتراك

ثم جلب الأتراك المدفع الكبير من "تعز" وتقدموا إلى «المنقب» ووصل «شمس الدين» إليهم فعزز الأتراك الكتابة إلى المطهر بأن الرأي إرسال أحد أولاده إلى السلطان كما فعل شريف مكة ثم عقبوا بإرسال بهرام الدفتردار إليه لتمام القواعد فلما وصل إلى قريب «ثلا» منعه الموكلون بحفظ الطرق من أصحاب المطهر عن النفوذ إليه حتى يأذن وكان رجلا عظيما في نفسه فتكبر وظن أن ذلك التوقيف مختص به دون غيره ورجع إلى أصحابه مغاضبا فنهض الأتراك فورا وتقدموا إلى منكل وخيموا فيه وتكررت المراسلة بينهم وبين المطهر في الصلح وكاد الأمر أن يتم وتعبه الاختلاف .

أنباء ٩٥٨ هـ

(تسعمائة وثمان وخمسين)

قيام الإمام "أحمد بن عز الدين" في «قلعة»

في صفر سنة ٩٥٨ هـ (تسعمائة وثمان وخمسين) وقبل صفر سنة ٩٥٩ هـ قام داعيا الإمام الهادي "أحمد بن عز الدين بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل". قال السيد "عبد الله الوزير" في تتمته للبسملة:

ثم الإمام ابن عز الدين إذ لحظت
إليه شزرا فأقصاها عن النظر
دعا بتسع مئين بعد تسعة أعوام
وخمسين في الأثناء من صفر
وثار ثارا من الحممزي منتلبا
أسكنلرا للورى عن راي ادمــــر
حتى قضيه وغلا
من بعد ذلك معلودا من الهجر

وقلت في تحفة المسترشدين:

وقد دعا الهادي الإمام أحمد
سليل عز الدين يامتقــــد
بفلل في تاسع الخمسينا
من قبلها التسع من الثيننا
وعام حفظ قد ثوى يينم

٩٨٨

وعمره عج بلا تلعمم

٧٣

في أنباء الزمن : أن الإمام "شرف الدين" بعد انتقاله من «كوكبان» إلى «ظفير حجة» حرر رسالة إلى السادة "آل المؤيد" بجهات صعده يحرضهم على إقامة من يصلح للأمانة وأشار إلى السيد العلامة "أحمد بن عز الدين" أو السيد "محمد بن الحسن بن أحمد" وأخبرهم بما قد ابتلي به من ذهاب بصره فأجابوا عليه أنه لا يمكنهم نصب إمام مع وجوده فإنه وإن ذهب بصره ففيه من الخير والتدبير ما لم يمكن في غيره في العصر فعاد جوابه بالزامهم بالمح إلى حيثئذ أجمع الحاضرون على مبايعة السيد "أحمد بن عز الدين" وأجابوا على الإمام بذلك فشكرهم واستحسن ما صنعوه واستقام الأمر للإمام "أحمد بن عز الدين بن الحسن" في جهات صعده وبلغت دعوته إلى «الأهنوم وعذر والسودة» وقبض عماله واجبات تلك البلاد ثم نابذه الشريف "ناصر بن أحمد الحمزي الجوفي" وجرت بينهما حروب شديدة وآل الأمر إلى استيلاء "ناصر الجوفي" على صعده فتوجه الإمام "أحمد بن عز الدين" إلى الحرجه واستقر فيها وتوجه السيد "أحمد بن الحسين بن عز الدين" إلى "ازدمر باشا" وهو في أبي عريش بتهامة وطلب منه الإعانة على الأشراف الحمزات فوعده بذلك ثم جهز معه من صنعاء الأمير "اسكندر" في جند ووقعت الحرب فكانت الدائرة على الأشراف فانهمزوا ثم وصل "ازدمر" بنفسه إلى «صعده» ففر الشريف "الحمزي" إلى «الجوف» وحصل مع أهل صعده مالا مزيد عليه من الخوف من "ازدمر" فأمنهم ثم استعمل على صعده الأمير "اسكندر" وجعل أعمال البلاد الشامية إلى السيد "أحمد بن الحسين" ورجع "ازدمر" إلى صنعاء و وفاة الإمام "أحمد بن عز الدين بن الحسن" كانت سنة ٩٨٨هـ (تسعمائة وثمان وثمانين).

أنباء ٩٥٩هـ

(تسعمائة وتسع وخمسين)

حروب وخطوب "ثلاث"

وفي سنة ٩٥٩هـ (تسعمائة وتسع وخمسين) في محرم نهض الباشا "مصطفى نشار" بعساكره إلى رأس المعنيين فلم يلقه أحد من عسكر المطهر ، وكان "ازدمر" قد تأخر وجنح إلى الهدنة وإطفاء نار الفتنة بعد أن أثارها وأطار شرارها فلما علم استقرار مصطفى في المعنيين بدون قتال نهض بعده فلبثا في المعنيين أربعة أيام ، ثم وجه "المطهر" ابن أخيه "صلاح الدين بن شمس الدين" وغيره في عسكر عظيم لحرب الأتراك في المشهد القريب من ثلاث فوقعت بينهم الحروب واشتدت الخطوب وتعاضمت الكروب وثبت جند المطهر ثباتا لم يعرف مثله مع كثرة أجناد السلطان واتساع الآلات وضربهم بالمدافع والزبارط والبنادق حتى أن أجناد المطهر اتخذوا لهم أخاديد في الأرض

يعتصمون بها من أحجار المدافع واشتدت المدانة بين الفريقين وكاد أن يتصل سواد الفيلقين وقتل من رجال المطهر عدة من أعيانهم "الحسن بن عز الدين المؤيدي" والشيخ محمد العبدي" وأصيب الفقيه" يحيى إبراهيم النصيري" وغيره وانهزموا عن موضعهم محلقة قبضه الأتراك ولم يشعر جند المطهر إلا والسيف يعمل فيهم ولما رأى المطهر ما نزل بقومه ارتفع نحو الحصن فوجد بابه قد غص بالرجال والنساء والأطفال فرقى على الأعناق وقد التقت الساق بالساق وصاروا في أمر مريع ومات بالزحام عدة وكان يوماً عبوساً قمطيراً . وأما الأتراك فإنهم اشتغلوا بنهب مدينة «ثلا» عن لحاق أهلها فكان ذلك من الألفاف فإن المطهر أمر أهل المدينة بالخروج فوراً إلى حيث يأمنون على أنفسهم وأهلهم قبل أن تصدهم الأتراك عن الخروج وتزداد الشدة على المحصورين ببقائهم أجمعين ، فسار أهل المدينة في نجاة وأمان ولم يصبهم من الأتراك ما أصاب أهل صنعاء سابقاً ولم يبق عند المطهر بالناصرة إلا من يعتمد عليه وجعل عليهم ابن أخيه "صلاح الدين بن شمس الدين" في أعيان العسكر ودام القتال وطال وجرى من الحروب ما يقصر عن وصفه الواصفون.

السرداب إلى «ثلا»

وحاول الأتراك أخذ الناصرة بكل ممكن حتى حفروا حفيراً في أحد جوانبها واجتهدوا في حفره حتى انتهوا إلى قريب وسط «الناصرة» فكانوا يحفرون ليلاً ونهاراً ففطن بهم بعض حَفَظَةِ الحصن بأن سمعوا وقع الفؤس في الحجر فاشعروا المطهر بذلك فأمر أن يحفروا أمام ذلك الحفير ثم أمر جماعة من شجعان عسكره أن يكمنوا فيه فلما وصل الأتراك إلى ذلك الغار لم يشعروا إلا بالسيوف فقتل بعضهم وفر الباقون ، ولما اشتدت الحرب وأطبق وطال الكفاح وضاعت الأرواح وعظمت الشدة وامتدت في الحرب المدة طلب الأتراك الصلح من "المطهر" .

الصلح بين الفريقين

فانعقد الصلح على أن المطهر يترك للأتراك مدينة الطويلة وبلادها وتبقى له بقية بلاده وحصونه ووضعت الحرب أوزارها ثم إن "ازدمر" عقد للمطهر لواءً سلطانياً واجتمعوا في عارضة حصن «ثلا» وتعاونا بحرارة ولما رأهما "شمس الدين" قال يالكما من جبلين اصطدما وبحرين التظما ، ثم صنع "المطهر" لهم ضيافة سنوية أحضر فيها أنواع المأكولات والفواكه الطرية وقدم للخيل والبغال غرائر الشعير لتأكل من أعلاها وأظهر المطهر كرماً وسعةً فعجب "ازدمر" من ذلك بعد طول الحصار .

ويحكى أنه كان للمطهر طريق خفية يخرج منها من الحصن ويعود وأنه انتصر على قبائل خالفوه قريب السودة وأعلن المطهر النصير لذلك فعرف "ازدمر" ذلك فقال إذن

ليس هو المحصور ونحن المحصورين فأسرع في طلب الصلح وتعهده كل منهما للآخر ثم دخل "مصطفى نشار" فلم يحصل بينه وبين "المطهر" من الأئمة مثل "ازدمر" ثم انفضل الباشتان بعد تقرير القواعد وقوضا خيامهما وأمرا بجر المدافع ورجعا إلى صنعاء. ثم توجه "مصطفى نشار" إلى الأبواب السلطانية وسار "ازدمر" لاستفتاح اليمن الأسفل والتهاشم حتى انتهى إلى جيزان وسار المطهر لتمهيد بلاده وكانت جملة المعارك بين "المطهر وازدمر" نحو الأربعين. ويحكى أن "ازدمر" كان يعتقد في الحساب ومعه حساب ماهر فسأل بـ «ثلا» عند عقد الصلح هل سيتم أو ينتقض فقال له سينتقض ويخرج "المطهر" الأتراك من اليمن إلى البحر ويحكم اليمن ستين ونصف السنة فاستفهمه "ازدمر" من أين عرف فأوضح له وكان "ازدمر" يعرف الحساب فصدقه ، ثم كان كذلك ثم عاد الأتراك وتمكنوا من اليمن بعد موت المطهر كما سيأتي .

الوفيات

علي راوع الخولاني وصنوه محمد

فيها توفي بوادي «عاشر بنى سحام خولان الطيال» القاضي الحافظ المجتهد الكبير "علي بن عبد الله بن علي بن راوع السري الصنعاني الخولاني" وسبب موته أنه سقط من سطح داره بخولان وبيت راوع من قرية الشرفة في أعلى وادي السر « وهم بطن من بطون «خولان» وكان والده من عوام أهل السر فسلك ولده "علي" و "محمد" مسلكه ثم قصدا صنعاء للقراء فأخذ "علي" عن الإمام "شرف الدين" والسيد "محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني" والقاضي "محمد بن أحمد مرغم" والقاضي "محمد بن يحيى بهران" وغيرهم .

وله مؤلفات منها «الشرح الكبير على الأثر والشرح الصغير عليها» أيضاً و «تفسير القرآن» في مجلدات ، وعرض عليه الإمام شرف القضاء بصنعاء بعد أن كان مدرساً بجامعها وأمره أن يحكم باجتهاد الإمام كسائر الحكام فقال "راوع" أما أنا فلا أدخل القضاء لأنه يجب أن يحكم الحاكم المجتهد باجتهاده ، ثم سار إلى خولان وقام بالقضاء صنوه "محمد راوع" . ومن شعر علي إلى شيخه "محمد بن يحيى بهران" :

سلام وما التسليم يقضي لنا فرضاً

إذا لم تقبل بين أيديكم الأرضاً

فلا تحسبوا طول المدى عن مقامكم

لأجل ملال في القلوب أو البغضا

ولكنها الأقدار تجري على الفتى

ضاراً بما لا يشتهي ولا يرضى

وصنوه العلامة "محمد بن عبد الله راوع" أخذ عن الإمام "شرف الدين" وغيره

وتولى القضاء بصنعاء وكان من أكابر الإعلام ومات بصنعاء.

أنباء ٩٦٠ هـ (تسعمائة وستين)

وفي سنة ٩٦٠ هـ (تسعمائة وستين) أسمع السيد " أحمد بن محمد بن المنتصر الظفيري " وغيره «بحسن الظفير» في كتاب «البحر الزخار» على الإمام "شرف الدين" سماع بحث وتحقيق .

وفيها طلب السيد العلامة " أحمد بن عبد الله الوزير " الإجازة من الإمام فأجازه إجازةً شاهدة بعلو رتبة الإمام في العلوم ، وفيها وصل إلى الإمام كتاب من الأشراف آل سليمان بن عبد الله الحسنى من المخلاف السليماني يذكرون ما تيسر لهم من النصر على العسكر المصريين فأجاب عليهم الإمام بقصيدة منها :

الحمد لله مولى النصر والظفر
وجسوه آل النبی الطیب الطاهر
شوقاً إليکم لقد سرت علومکم
قلبی وردت قوى الاسماع والبصر
وافت لرد ضیا عینی مقارنة
فارداد والله محمودٌ ضیا بصري
ودكرتني جهادات مضت وبها
أرجو من الله ربي وافي الأجر

قيام "المهدي الحسن بن حمزه" في « شظب »

في سنة ٩٦٠ هـ (تسعمائة وستين) كانت دعوة الإمام الناسك " الحسن بن حمزة بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن اسحق بن سليمان بن علي بن عبيس بن القاسم بن علي بن محمد بن صلاح الدين بن القاسم بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم " . إلخ ، كان من العلماء الفضلاء الأتقياء كانت دعوته في بلاد «شظب» سنة ٩٦٠ هـ (تسعمائة وستين) والإمام "شرف الدين" بالظفير و"المطهر بن الإمام" في بلاده فأوجب بعض العلماء على هذا "السيد الحسن" القيام بالإمامة ، وكتب إليه القاضي " محمد بن أحمد بن يحيى حنش " قصيدة منها :

قد طال شكوى ملة المختل
بتظلم وتلم وخوار
وقفت بصعدة ملة تشكو بها
ما نابها من نائب الفجر
وترددت مـا بين أهل الحل
والإبرام والإيراد والإصرار

وهي في «اللائيء المضيئة» إلى ١١٩ بيتاً أجاب عنها الإمام "الحسن بن حمزة" بقصيدة أولها:

بلغت في الإعـذار والإنذار
وفريت بنزراً مـا افراه ذاري

ثم كانت دعوته، فأجابته بعض القبائل فانتقل بأهله وأرحامه إلى «بلاد الأهنوم» فأجابته الأهنوم وظليمة وعذر وسار إلى حجوز الشام فأرسل المطهر من طارده عن «حجوز» فرجع إلى «الأهنوم» وكان قد وضع زكاة أهلها عند مشايخها فاستهلكوها ثم خذلوه فاشتدت حالته حتى أكل الشجر ونحوها وكان غرضه الوقوف في بيته في قرية «اللسان شظب» عقيب دعوته فالجأت القبائل إلى المسير بأهله فأخرب "المطهر" بيته ثم صالح "المطهر" فعمر "المطهر" بيته وأجرى له كفايته فلبث بعد رجوعه من لدن "المطهر" نصف شهر ثم مات في بيته سنة ٩٦١ هـ وأشار إليه "الوزير" في «تتمة البسامة» بقوله:

وقابلت حمنا بالغدر في شظب
وأقنعته يبيت شامخ الحجر
وقلت في تحفة المسترشدين:

وقد دعا المهدي إلى دين العلي
الحسن بن حمزة نجل علي
بعام ستين عقيب التسع
في شظب وحول ذاك الربع
ثم اتشى إلى حجوز الشام
وكان ما كان من الصدام
وبعد لها في واحد الستين
وقد ثوى في شظب دفينا

أنباء ٩٦١هـ

(تسعمائة وواحد وستين)

عزل "ازدمر" وتولية "مصطفى نشار" ثانية

في سنة ٩٦١ هـ (تسعمائة وواحد وستين) بلغ "ازدمر باشا" عزله عن اليمن بـ "مصطفى باشا نشار" الذي في اليمن، فكتب "ازدمر" الأمر وسار نحو الأبواب السلطانية عن طريق الحبشة وحسن للسلطان فتح الحبشة فأذن له السلطان بفتحها وأمر على نائبه بمصر أن يعينه فأعانه بثلاثة آلاف مقاتل فسار إليها عن طريق البر من مصر واستفتحها وبنى فيها القلاع الحصينة ولم يزل بها إلى أن مات بها .

ومن مآثره بصنعاء القبة جنوبى «باب شعوب» ووقف عليها وعلى التكية التى كانت تحتها لإطعام المساكين وقد هدمت القبة والتكية وعمّر " المنصور على بن المهدي عباس " في مكانها وما حولها مسجد الإيمان ولكنه لا يزال يُعرف بمسجد "ازدمر" . وقد قيل أن جميع الأوقاف من "ازدمر" كثير جعلها كأروش جنايته على أهل صنعاء وديات قتلاهم عند احتلاله لصنعاء في حربه مع "المطهر" كما سبق .

أنباء ٩٦٢هـ

(تسعمائة واثنين وستين)

وصول "مصطفى نشار"

وموته بزبيد وتصالح "المطهر" و"شمس الدين"

في سنة ٩٦٢ هـ (تسعمائة واثنين وستين) وصل "مصطفى نشار باشا" بولاية اليمن وسارع بإشعار "المطهر" وطلب "محمد بن شمس الدين" إلى بيت الفقيه فأقام عنده أياما ظهر له من نفثاته ما غير خاطره فرجع وأخبر والده وأشار بمصالحة "المطهر" فأرسل ولده "صلاح الدين" إلى «ثلا» فتم الصلح بينهما على أكمل الوجوه ، وكان "المطهر" في «الرُغِيل» فانتقل إليه "شمس الدين" ببعض أهله أياما وخرج لطياقة بلاده . وأما "الباشا مصطفى" فمرض قبل دخوله «زبيد» فحمل إليها ومات بها .

وفي سنة ٩٦٢ هـ (تسعمائة واثنين وستين) ارتفعت أسعار الطعام حتى بلغ الزبيدي الصنعاني من الحنطة أربعين أوقية والأوقية درهمان والذرة ثلاثين أوقية واستمر القحط إلى آخر السنة .

وفيها وقع الاختلاف بين السيد "أحمد بن الحسين المؤيدي" وبين "الأمير اسكندر" بصعدة وحصلت بينهما حرب شديدة فانهزم "اسكندر" عن «صعدة» وخرج إلى محل العينا وأقبل الإمام "أحمد بن عز الدين" معينا للسيد "أحمد بن الحسين" في مائتي

فارس فانهزم "اسكندر" ثم خرج إلى الحضائر فقصده "أحمد بن الحسين" وكانت بينهما معركة انهزم في آخرها اسكندر وتعقبها خروج الأتراك من صنعاء لحرب "أحمد بن الحسين" فاستدعاه المطهر فسار بأهله إليه فأكرمه غاية الإكرام وأسكنه «حصن الجاهلي» من بلاد «حجة».

أنباء ٩٦٣ هـ (تسعمائة وثلاث وستين)

وفي سنة ٩٦٣ هـ (تسعمائة وثلاث وستين) أقام الأتراك بزييد أميراً عليهم "سليمان الدقتردار" ناظر السلطنة وكان قد عهد إليه الباشا "مصطفى نشار" قبل وفاته فغلب عليه الأمير "ميرزه بن نصوح" كاشف تغز ومنعه عن التصرف وضبط البلاد وقصد أهل وصاب وأوقع بهم وأحرب ديارهم وقتل الفقيه العارف "عبد الوهاب الخولاني الشافعي" وكان عليه مدار أهل «وصاب» في القضاء والفتوى . ولم يزل "ميرزة" متغلباً على «تغز» حتى قدم بولاية اليمن "الباشا مصطفى عزت" فدخل آخر سنة ٩٦٣ هـ وهو أبو "الباشا رضوان" و"بهرام" الآتي ذكرهما .

وفيها خرجت ذئاب بجوار صنعاء كانت تأكل الناس فقتلت كثيرين .

الوفيات

وفاة "شمس الدين"

في صفر سنة ٩٦٣ هـ (تسعمائة وثلاث وستين) توفي الأمير الخطير "شمس الدين بن الإمام شرف الدين" في حصن «براش كوكبان» ونقل إلى حصن «كوكبان» ودفن به عن ٦٨ سنة وقبره معروف مع جماعة وهو شقيق "المطهر" ، أمهما الحرة "ألبها بنت الشيخ شمس الدين" وكنتموا موته عن أبيه الإمام إلى أن مات بعد ستين . وكان لإمام يحبه كثيراً ، ولما رجع هو وصنوه "المطهر" من الجهاد بـ «زييد» إلى صنعاء سنة ٩٤٣ هـ خرج الإمام لتلقيهما وقال صنوهما العلامة "عبد الله" قصيدة منها:

أشـرقت بالهنا مـدينة سام

وتجلت غـياهم الإظلام

قـمرا هالة النبوة أضـحت

بهمما الأرض وهي ذات ابتـسام

فـخر دين الهـدى المـطهر

لازال به الدين مـحكم الأحكام

سيف حق شهاب صـلق عـفيف

طاهر الكف ثابت الأتـدام

علماً يهتدي الملوك بما قال
 ويضفي في الحل والإبرام
 وتحدث بما تشا عن همام
 أريحي سميدع قمقام
 شمس دين المهدي ابن يحيى بن شمس الدين
 ليث الطمعان عند الصدام
 ميقلب ما أنف سعيأ وما أثبت
 جاشأ حين النجور دوامي

ومن قصيدة "لشمس الدين" عند رجوعه إلى «الجرف» بعد طيافته حصون «ثلا»
 وغيره سنة ٩٤٤ هـ :

عد سالما في نعمة يا حادي
 نحو الجراف فقد بلغت مرادي
 حمداً لرب العرش قد نلنا المنى
 بطيافة الاوطان والاطواد
 شم لها سحب السماء مآزر
 والنيرات قلائد الاجياد
 فالله يحرسها بحفظ إمامها
 وإماننا من للبرية هادي
 يحيى ونحن بنوه سادات الوري
 الطيبو والآباء والاجداد... إلخ
 وقرضها صنوه "عبد الله" بقصيدة منها :
 عرج بربع أحبتي يا حادي
 هني منازلهم وهذا النادي
 واعد لسمي ما حلوت به فقد
 ملكت معانيه صميم فؤادي
 كرر على فلتك نفسي منشأ
 (عد سالما في نعمة يا حادي)
 شعراً لشمس الدين نجل إمامنا
 أرى بشعر لبيعلم وزيد

... إلخ

وسبق في سنة ٩٤٨ هـ (تسعمائة وثمان وأربعين) أمر الإمام للخطباء بذكر أولاده
 المظهر وشمس الدين وعبد الله وعلي . وكان يقول الخطباء بعد ذكر الإمام :
 (اللهم واشدد أزره بتوفيقك وتأيدك ولطفك وتسديك لولديه عبدك المجاهدين معه

في سبيلك واقرن حركاتهم وسكناتهم بمطابقة مرادك ورضاك الناصر لدينك بفضلك وحولك وقوتك ، "المطهر" والمؤيد بنصرك وحمدك وشكرك "شمس الدين" ، والمعز بعزك وكنفك وحرزك "عز الدين" ، اللهم وأدم جميع أصناف العلم الشريف وأقم قناة حياة الدين الحنيف بزيادة رعاية الصدر العالم الراسخ الحبر البحر الطود الشامخ "محيي الدين أبي محمد عبد الله المفضل بن أمير المؤمنين" ، اللهم وبلغ الرجاء من فضلك المألوف ، في حراسة الملة الدينية وطولك المعروف ، في حيطة القواعد الإسلامية في عبدك الشاب التقي الطاهر النشأة النقي ناظر عيون حافظ السنة النبوية باقر علوم الشريعة المحمدية مصنف كتاب الشمس والأقمار في تخريج الأدلة العلمية "جمال الدين أبي الحسن علي المرتضى بن أمير المؤمنين" ، اللهم واصلح سائر أولاد أمير المؤمنين وذرياتهم كما أصلحت به عبادك المخلصين... إلخ.

وأكثر العلماء والأمراء والنهلاء من آل الإمام "شرف الدين" إلى عصرنا هذا من ذرية الأمير "شمس الدين".

أنباء ٩٦٤ هـ (تسعمائة وأربع وستين)

وفي سنة ٩٦٤ هـ (تسعمائة وأربع وستين) أمرت الأتراك بإزالة (حى على خير العمل) من الأذان وكانوا من قبل مبقيين عليها حتى وصل "الباشا مصطفى عزت"

أنباء ٩٦٥ هـ (تسعمائة وخمس وستين)

الطاعون و وفاة الإمام "شرف الدين"

وفي سنة ٩٦٥ هـ (تسعمائة وخمس وستين) وقع الطاعون في صنعاء ، فذهب فيه كثير من الناس والأعيان .

وفي ليلة الأحد سابع جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ هـ (تسعمائة وخمس وستين) توفي بحصن «الظفير» الإمام الأعظم المتوكل على الله "يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى" عن ٨٧ سنة وتسعة أشهر من مولده وعن ٥٣ سنة من دعوته وحضر وفاته والصلاة عليه من أولاده "المطهر" و "عبد الله" و "رضي الدين" ، ولقد كانت دولته غرة في جبين الزمان ، عُمِرَتْ فيها ربوع الدين وشيدت أركان شريعة سيد المرسلين وظهر الحق وسبق ، وذهب الباطل وزهق . ومع هذا لم ينس نصيبه من الدنيا على الوجه اللائق بحاله المعروف من سيرة أمثاله مثل الترفية على الأهل والأولاد والأصحاب والعلماء والأعيان .

عمر في «صنعاء» و«الروضة» و«الجرف» العمائر العجيبة المحفوفة بالبساتين الرحبية المشتملة على أصناف الأشجار المتدلية بأنواع الثمار ومن ذلك حصن «فاضل» في أعلى

«حدة بنى شهاب» ودور كثيرة في «الجراف» لازالت آثارها إلى هذا القرن الرابع عشر ولم يرح يتقل في تلك الحدائق والمباني ويفك من صروف الزمان الضعيف والفقير والعاني ويلبي طلب المساكين والعفة القاصي والداني . ويقال إنه استغرب إقبال الأيام بسعاده السنين الطويلة ولم تصبه طوارق الحدثن لا في نفسه ولا في أهله وأولاده وماله ودولته كما كان نصيب أئمة الهدى من أهل البيت قبله حتى أصابته أول محنة سنة ٩٥١ هـ بموت ابنه "عبد القيوم" في حال زفافه لختم القرآن وسقوطه من فوق جواده كما سبق ، ثم باختلاف "شمس الدين" و"المطهر" وميله مع "شمس الدين" حتى كانت الكوارث المهيلة وأعظمها تمكن الأتراك من تملك اليمن ثم يفقده لبصره نحو ستين أو ثلاث فترك الدنيا وسكن الظفير وأعاد الله له بصره سنين إلى وفاته ونسخ بخطه بعد عود بصره مصحفين شريفيين .

ودُفن في القبة التي بناها لنفسه بالقرب من قبر جده الإمام "المهدي أحمد بن يحيى المرتضى" وأعظم سكناه بـ «الجراف» وسماه «هجرة الإيمان» وبلغ شأواً كبيراً في العمران والأشجار والأثمار والمساجد وكانت تجرى إليه ثلاثة أنهار وقد ذهبت تلك الدور الزاهية وحدائقها الناضرة ولم يبق إلا بعض محاسنه منها الأربعة مساجد والمدارس بـ «كوكبان» و«ثلا» و«صنعاء» و«ذمار» وزيادته الواسعة في مسجد الفليحي بصنعاء فإن أصله دعامتان فقط شرقيه الجنوبي ثم مده ووسعه الإمام "شرف الدين" غرباً عشر دعائم إلى حد الباب الغربي الموجود الآن وعمر له الصرح والمطاهير للوضوء ومنازل للمهاجرين .

ولما انتقل الإمام من «الجراف» إلى «حدة» كتب إليه ولده العلامة عبد الله قصيدة على لسان «الجراف» منها:

ياواحد الأزمان يا من له
ظل على كل البـرايا ظليل
ومعدن الفضل ورب العلى
وصاحب القدر النبـيه الجليل
من هجرة الإيمان تصـديـرها
مُـهـدِيةً رائق عتب جـمـيل
منشلة يـتـين فاسـمـعـهـما
واحكم بما شئت فلن نستـقـيل
إن كنت أزمعت على هـجـرنا
من غير ما جـرم فصـبر جـمـيل
وإن تبـلـدت بنا غـيـرنا
فحسبنا الله ونعم الوكيل

قائلة بعلمها بعض ما
في نفسها إذ قد يفيد القليل
مولاي ما هذا الجفاء الذي
بدا وما تجعله من بدليل
وليس في حيلة عالم يكن
في فيستوجب هذا الرحيل
لن تجلدوا مثل هواي الذي
صح به ذاك النسيم العليل

... إلخ
وهي طويلة .

الوفيات

"عبد الرحمن التبريزي"

في سنة ٩٦٥ هـ (تسعمائة وخمس وستين) توفي بصنعاء الشيخ العلامة العارف الفلكي "عبد الرحمن بن محمد التبريزي" وشيع جنازته الباشا "مصطفى عزت" وهو الذي أهدى "للمطهر بن الإمام" كتاب «الأسباب والعلامات في الطب وشرحه» بخط مصنفه "عوض نفيس المصري" .

وكان "التبريزي" من رجال "الباشا ازدمر" ولا يفارقه وسأله في سنة ٩٥٦ هـ (تسعمائة وخمس وستين) عقيب الصلح مع "المطهر" بـ «ثلا» هل ينتقض الصلح ويملك "المطهر" عموم اليمن فقال نعم يملكه ستين ونصفا فقال له "ازدمر" من أين أخذت ذلك؟ فقال الشمس في العاشر من بيتها وقوفها فيدل على أن المسئول عنه عظيم القدر بعيد الصيت ولكونها كذلك يدل على أنه يملك القطر اليمني ، والباقي للشمس في برج الأسد درجتان ونصف والبرج دليل السنين فعرفت أن لكل درجة سنة ثم وقع ما قاله "التبريزي" لكن التأثير لمكوّن الكائنات وخالق المخلوقات والمتصرف في النجوم وكل البريات .

وفي ذى القعدة سنة ٩٦٥ هـ توفي مسجوناً بالدار الحمراء بقصر صنعاء الأمير "عبد الله بن أحمد بن حسين الحمزي الجوفي" .

أنباء ٩٦٧ هـ (تسعمائة وسبع وستين)

عزل "مصطفى عزت"

وتولية "محمود باشا"

في محرم سنة ٩٦٧ هـ (تسعمائة وسبع وستين) بلغ "مصطفى عزت باشا" عزله بالبasha "محمود"، فتجهز للمسير إلى الروم وكان عادلا بالنظر إلى غيره . وفي صفر وصل "محمود باشا" إلى اليمن وكان جبارا سفاكا للدماء وأول ما كان منه فتكه بالفقيه "عبد الملك اليمني" أمير «دار الضرب» واستولى على جميع أمواله وقتل معه "الكيخيا كيوان" بسبب ما كان منهما من غش السكة الفضة بالنحاس وجعل "كيخيا مراد" خلفا لكيوان ثم صار "مراد" نائبه على اليمن الأسفل وأقر "محمود" مواد الصلح مع "المطهر" ولم يتجاوزها .

الوفيات

محمد بن علي والد الإمام القاسم

في سنة ٩٦٧ هـ (تسعمائة وسبع وستين) توفي في بني مديحه الشرف السيد العارف محمد بن علي بن محمد بن الرشيد الأملحي الحسني والد الإمام القاسم وابنه القاسم رضيع كما سيأتي .

أنباء ٩٦٨ هـ (تسعمائة وثمان وستين)

وفي سنة ٩٦٨ هـ (تسعمائة وثمان وستين) وصل إلى صنعاء البasha "محمود" وأرسل إلى "المطهر" بتقرير قواعد الصلح فقابل "المطهر" رسوله بالإكرام وخلع عليه . وفي آخر سنة ٩٦٨ هـ (تسعمائة وثمان وستين) جهز "البasha محمود" الأمير "اسكندر بن حسام الكردي" بطائفة من الجند لمقاتلة الفقيه "علي بن عبد الرحمن النظاري" صاحب «حصن حب» في بلاد «اب» .

أنباء ٩٦٩ هـ (تسعمائة وتسع وستين)

قتل "محمود" "النظاري"

وفي محرم سنة ٩٦٩ هـ (تسعمائة وتسع وستين) تجهَّز "محمود" بنفسه لمحاربة "النظاري" وكانت قد وقعت الحرب بين "النظاري" و"اسكندر" في جبل «الشعر» وانهزم "النظاري" إلى حصن «حب» فتقدم "محمود" إلى قريب «الحصن» وخيم هنالك وحاصره من كل جانب فاشتد على "النظاري" وأصحابه الكرب لعدم الماء فمال "النظاري" إلى يد الأمير "محمد بن عبد الله بن جعفر الداعي الإسماعيلي" وكان غداراً مكاراً فدار الكلام على خروج "النظاري" بأهله وأولاده ومن عنده إلى حيث يريدون وتقرر الصلح بهذا وأرسل "النظاري" ولده إلى الباشا فكساه وأعطاه عهداً على تمام الصلح وفي اليوم الثاني نزل "النظاري" إلى الباشا بجماعة من عيده وأصحابه فأمر الباشا بضرب أعناق الجميع في ذلك الموقف وارتفع من فوره إلى الحصن فاستولى على جميع ما فيه وسييت حريم "النظاري" وبيعت جواريه وكان ذلك بتحسين "الداعي الإسماعيلي" للباشا بغدر ممقوت فجزاه الله بمثل ذلك كما سيأتي.

أنباء ٩٧١ هـ (تسعمائة وواحد وسبعين)

الأمير الكذوب

في سنة ٩٧١ هـ (تسعمائة وواحد وسبعين) وصل إلى صنعاء أمير يقال له "القرماني" يدعي أن في يده مرسوم من السلطان العثماني بولاية اليمن وكان الباشا "محمود" في تعز ونائبه في صنعاء الأمير "محمد بن حسن قزل باشا" فلما ظهر عدم صحة دعوى "القرماني" أمر بمحاصرته وكان قد قبض على دار الجامع بصنعاء وظن أنه قد أخذ بجامع صنعاء وفي خلال محاصرته فتح بعض كُوى الدار - لحاجة - فلاح شخصه لرجل من اهل «شعوب» فرماه وكان آخر العهد بالأمير الكذوب .
وفيها طبق الآفاق سحب متراكم وتلبدت وهطلت الأمطار ديمة وطفاء وحجبت الشمس لمدة شهر ، وتخربت بعض الدور وهلك بها ناس ، فسبحان الفعال لما يريد .

قتل الأمير "اسكندر الكردي"

فيها قتل الباشا "محمود" الأمير "اسكندر بن حسام الكردي" وكان أحد الرؤساء

الأمجاد العقلاء ، وله آثار حسنة مناهل وسبل منها : بركة حورة بحجة وبركة في الصفقين في بلاد حفاش وأصلح بركة متنة في بلاد البستان وقبة مسبل سقاية في باب السبحة تعرف بقبة محسن ومسجد الاسكندر وجدد عمارة الجبانة مصلى العيد شمالي صنعاء وعمارة مسجد الأبرز أعلى صنعاء على الأصح وعمارة مسجد عقيل بصنعاء وغير ذلك . ولما بلغ المطهر قتله تعب لذلك وقال والله ليؤسف عليه ويحزن ولو كان من جهة الغير لعقله ولعل قبره في مسجد قبة محسن .
ولما سار قاتله "محمود" إلى مصر سنة ٩٧٥ هـ قتل غيلة وقيل في تاريخه .

إن محمود قتل
بغيلة كان وعظ
قيل أرخت قتل
قلت تاريخه (عظة)
٩٧٥

الوفيات

"صلاح بن شمس الدين"

وفي جمادي الآخرة سنة ٩٧١ هـ (تسعمائة واحد وسبعين) توفي بمدينة «ثلا» الأمير القمقام المجاهد "صلاح الدين بن شمس الدين" وكان دفنه في القبة المعروفة بقبة "صلاح الدين" بـ «ثلا» وحزن عليه عمه "المطهر" حزنا عظيما لأنه لم يزل في طاعته والجهاد بين يديه وله معه من المواقف الحميدة العديدة وفيها مات بالزاهر من بلاد الجوف الشريف "ناصر بن أحمد الحمزي" ، ومات ولده "صالح بن ناصر الحمزي" سجيناً في «الدار الحمراء بقصر صنعاء» .

أنباء ٩٧٢ هـ (تسعمائة واثنين وسبعين)

عزل "محمود" بـ "الباشا رضوان"

الذي نقض الصلح مع "المطهر"

في سنة ٩٧٢ هـ (تسعمائة واثنين وسبعين) توجه الباشا "محمود" عن اليمن وقد بلغه عزله بالباشا "رضوان" وقيل إن "محموداً" عزم من اليمن بألفي بغير وثلاثمائة فرس وغيرها مما جمعه من الثروة الطائلة في مدة ولايته التي تتجاوز خمس سنوات .

أبناء ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين)

وفي ربيع الثاني سنة ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين) وصل "رضوان باشا" إلى صنعاء وتغافل عما بين الولاة قبله وبين "المطهر" من الصلح ولم تبدر منه بادرة حتى وفد إليه صديقه الفقيه "صالح الكوراني" فأرسله "رضوان" إلى "المطهر" لتعديل مواد الصلح وتسليم "المطهر" بعض البلاد وقد وصل "رضوان" في أهبة عظيمة وتيه كبير وجيش جرار ولم يفعل كما يفعله الولاة السابقون من المسارعة إلى "المطهر" بالكتابة بوصوله وبالبقاء على المعاهدة بل ربما أطمعته نفسه في الاستيلاء على "المطهر" فأشار إلى "المطهر" بوصول "الكوراني" إليه فأجاب المطهر بالاستعداد بعد مرور "الكوراني" بأخيه "علي بن الإمام" بذئ مرمز فوصل "الكوراني" إلى "علي بن الإمام" فقابلته بالإجلال والإكرام وجرت بينهما مذاكرة علمية وأدبية ولما أراد "الكوراني" التوجه إلى "المطهر" قال له "علي بن الإمام": أيها القاضي إن من حق الصحة وتمام العشرة وحسن النصيحة وأنت عازم إلى رجل ألمعي يعرف دقيق الإشارة وخفي الرمز والعبارة فإياك والاسترسال في المقال ومعاملته بالإذلال، ولا تقس حاله بحالنا ومقامه بمقامنا، فنحن وأنت قد رفعت عنا المودة حجاب المحافظة وحصل الأئس بيننا وبينك مع كثرة المخالطة والمفاوضة).

ولما وصل "الكوراني" إلى مقام "المطهر" قابله بالإكرام وكان قد جمع عامة أجناده وعيون أهل بلاده وضرب مخيما عظيما فدخل "الكوراني" ومن معه إلى "المطهر" وسلموا ما بعثه الباشا معهم من الكسوات والرسالة فأجازهم "المطهر" بمثلها من الحلل النفيسة وصرفهم إلى دار عجبية وأجرى عليهم الكفاية الفاضلة وبعد ثلاثة أيام طلب "المطهر" "الكوراني" وسأله عن موجب وصوله فأجاب بما أودعه "رضوان" من الأمور الخارجة عن الصلح وقواعده المتقدمة واسترسل "الكوراني" في كلامه إلى ما لا يعنيه فقال "المطهر": (إن كان الصلح على ما مرت عليه الأعوام وعمل به النظام، فذلك المطلوب ونهاية المرام وإن كنتم تريدون الفتنة وإثارة المحنة ومعاملتي بالخياف، فما لكم عندي غير السيف، فارجع إلى صاحبك وإياك أن تحمله على نقض الصلح فتندم) ولما رجع "الكوراني" إلى الباشا رضوان وسأله عن حال "المطهر" قال: (شخص ما له في الخيلة نظير، وكلامه كأنه زئير، وأنه منطو على الشر، وإن لم يظهر له الآن أثر)، وما زال يحسن لرضوان نقض الصلح فانخدع لكلامه "رضوان" وكانت عاقبته الوبال والخسران.. هذا كلام السيد عيسى في «روح الروح» إلى أن قال: حدثني بعض المتعلقين بخدمة "المطهر" قال كنت أختلف إلى صنعاء وعرفت القاضي "الكوراني" وكان له ميل إلى العلوم وأصحابها وكان قد اتهمني "رضوان" بالجاوسية

للمطهر فطلبني وتهددني وتهدد "المطهر" وفي خلال ذلك دخل "الكوراني" فقال هذا
بمعزل عما اتهمتموه فأنتقدني من سطوته .

الوفيات

"عبد الله بن الإمام"

في ربيع الثاني سنة ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين) توفي بـ «ثلا» السيد الإمام
الحافظ الأديب "عبد الله بن الإمام شرف الدين" عن ٥٥ سنة من مولده ، وكان من
أكابر العلماء المحققين والشعراء المفلحين وله مؤلفات مفيدة ، مشتملة على أنظار سديدة ،
منها «فتح العلي الحق» . بشرح قصيدة «قصص الحق في مدح سيد الخلق» في مجلدين
ضخمين ، وله شرح على «مقدمة الأثمار» ، وكتاب في «أصول الدين» وشرح بعض
«معيار التجري» ، وله تراجم لكثير من العلماء الفضلاء وكتاب «اعتراضات على
القاموس» ، وله أرجوزة كبيرة تزيد على أربعمائة وثلاثين بيتا مشهورة سماها «الدراري
المشرقات في بواهر المخلوقات» وصف فيها صنعاء والجراف وحدة وسائر النزاه وأنهارها
وأشجارها أولها :

أقول بسم الله في البداية

والمعون في الاثناء والنهالية

والحمد لله بغير غاية

وهو الذي نسأله الهداية

وكان قد هاجر إلى مكة المكرمة ثم رجع إلى بلاد الشرق ورفض الولايات بعد أن عرضت عليه
وكان محققا في العلوم لاسيما في السنة النبوية مائلا إلى الزهد والتصوف وأشعاره كثيرة منسجمة
، سبق ذكر قصيدته في القات «أدر غصونا» وغيرها إلى والده . ومن شعره :

بين الرجاء وخوفي

قلبي الشجي مقم

قال الرجاء لخوفي

إن المخوف حل

قد قال جل تعالى

وهو العزيز الحكيم

نبىء عبادي إني

أنا الغفور الرحيم

فقال خوفي فاقرا

ما بعدها يافهم

إقــــرأ : وإن عــــنــــبى
هو العــــنــــاب الأليم
فــــقــــال في ســــبــــق هــــنــــال
ذاك مــــر عــــظــــيم

سـل أهـل عـلم المـعـنـاتـي
مـا ذكـ التـقـلـيم

وله :

صحا القلب عن سلمى وما كاد أن يصحو
وبان له في عذل عاذله الصبح
ولاغرو في أن يستبين رشاده
وقد بان في ديجور عارضه الصبح
شمس نهار قد تجلت لناظري
وانضحت ليل الغي من خلدي تمحو
إذا كان رأس المال من عمري اتقضى
ضياء فأتى بعده يحصل الريح
شباب تقضى في ملأه وغرة
وشيوخه جاءت على إثر تحو

وله :

ناصرية الخير في يد الأدب
وميرة في قرائح العرب
فاعكف على النحو والبلاغة
والآداب تحظى بأرفع الرتب
وتعرف القصد في الكتاب وفي
السنة من وحي خير كل نبي
بقدر عقل الفتى تأدبه
وصورة العقل صورة الأدب

ولما استجار به مستجير تشفع له إلى والده بقوله :

إني لأكرم من أبي سفيان
لقرايتي في الطهر والإيمان
فاجعل أمير المؤمنين كبيتته
بيتي وخص جواره بأمان

ولما أخرج عنه والده الصرف في سنة ٩٣٧ هـ كتب إليه :

أيها والد أرى وجودي بجوده
وأصلاً نما في رأس دوحته فرعي
لما تمنعوني الصرف من غير علة
ومعرفتي قد لازمت مانع المنع
وقد أذهبت تنوين فضيل إضافة
ملارمة للاتصال بلا دفع
وأني عبيد الله والملك ملكه
يُصرفني في النصب والجر والرفع

وعند انقطاع الصرف اضطر إلى تأجير دسوت نحاس لطباخين بصنعاء يحتاجونها
فقامت حالته بأجرتها فلم يشعر يوماً إلا وقد أرجعوها واستغنوا عنها فقال : قد أجرى
الله لنا هذه المادة عند انقطاع الصرف وأظن أن الامام قد أذن باعادته فصدق ظنه وله :

سقتي رضاب الثغر من كأس مبسم
برقته والله قد ملكت رقي
ونحن بروض قد جرى النهر تحت
فساقية تجري وجارية تسقي

ومما اشتهر إن الإمام كان يفضل شعر ابنه عبد الله على شعره وأن عبد الله كان يفضل
شعر ابنه محمد بن عبد الله على شعره ، وروى عن الشيخ العلامة عبد القادر بن
محمد بن عطية الشافعي الوافد على الإمام شرف الدين أنه لما دخل زين العابدين علي
بن الحسين على يزيد بن معاوية فجعل يستنطقه فيجيبه ويدير سبحة في يده وهو
يُكلمه، فقال له يزيد: لم تدير السبحة وأنت تتكلم؟ فقال حدثني أبي عن جدي أنه كان
إذا صلى الغداة يأخذ سبحة ويقول اللهم إني أسبحك وأمجدك وأحمدك وأهللك بعد ما
أدير سبحتي ثم يتكلم وهو يديرها، وذكر أن ذلك مستحب ، وحرز ، إلى أن يأوي إلى
فراشه ثم يقول مثل ذلك ويضع السبحة تحت وسادته ، فقال يزيد : لا أكلم أحداً منكم
إلا ويجيبني بما يفوز به وأطلقه ووصله وكان قد هم بقتله والله أعلم ، ومما أفاد أن
السيوف القلعية منسوبة إلى قلعة وادي ضهر وأن بها معدن حديد وأن صنوه المطهر
استخرج منه وعمل منه لكن المغنم لا يساوي المغرم فتركه ، ولما رجع من مكة إلى

مخلاف بني وهلان بالشرق هنأه الإمام المهدي الحسن بن حمزة بقصيدة طويلة منها:
 تشعشع نور من جهات المغاربة
 وذلك من بدر بها غير غارب
 فقيل لنا ماذا بدر وإنما
 سنا وجه عبد الله لا من كواكب
 أتى من بلاد الشام من بعد ما قضى
 فرائضه في الحج من كل واجب
 فخيم بين السادة الغر وانتقى
 بلاد بني هلان بين الأطايب
 ومن جوابه عليه :

سلام على نسل الكرام الأطايب
 حليف التقى والعلم راكي المناصب
 هو الحسن البدر الإمام بن حمزة
 حميد السجيا من سما في المراتب
 ونخبه أنا وجلنا بمكة
 وساحاتها الغر نجيح المطالب
 بها الكفر مقهور بها الحق ظاهر
 بها العدل منشور اللواء والنواب
 أقمنا بها ستين يوماً كأنها
 فراديس جنات الهنا والأطائب
 أقمنا بها في المال والأهل والإخاء
 وفي العز والإكرام من كل جانب
 ملوك وأخوان إذا ما لقيتهم
 فحاضرهم يغنيك عن كل غائب
 ولم نرتمل عنها ملالا ولا قلى
 ولا صلنا عنها اختلاف المناهب
 ولا خوف مكر الماكرين وغدرهم
 ومن ربه يحميه ليس براهب
 ولكنها الأوطان تطلب حقها
 وحق اب بر فحق الأقارب
 وإنا من الرحمن نرجوه عودة
 وليس الرجاء في الله منا بخائب

وله موجهها بكتب جده "المهدي" :

قبلته في فيه وهو نائم
فقال قوموا طالبوا بالحد
قلت له أفديك إني غاصب
وما على الغاصب غير الرد
قال نعم لو كنت غير نائم
لكان غصباً يا قليل الرشد
قلت أفي الفقه قرأت قال لا
أما ترى "الأزهار" فوق خدي
قلت وهذا الغيث فيض أدمعي
والغيث "للأزهار" معنى يدي
"والبحر" أيضاً من دموعي حاضر
إن شئت أن تقرأه فعندي
لي في هواك "مِلَلٌ ونَحْلٌ"
أشرحها يوم اللقاء لوجدي
عفا يدي في حبكم "قلائد"
في عتقى نظمتها في عقد
جعلت تعريضى لكم رياضة
الافهام من عواذلي في قصدي
وسيري في حبكم "جواهر"
و"درر" تشهد لي بالرشد
وتاج علم أدبي أكليله
كتبت في هواكم عن أناس لدّ
و"غاية الغايات" شرحي حبكم
و"ومنية السؤل" وحفظ العهد
وأن ترد "فوائد" اللمع على
"قلائد" فضمها في العد
وادفع بها الأوهام وأعلم أنها
أنوار سهل الأرض بعهد النجد
والحق إن رمت الهدى منهاجه
فالزمه تظفر بالمنى والمجد
وخذ بواقيتنا بها عجائب
في حصر تصنيف الإمام المهدي (١)

(١) ما بين الأقواس : أسماء كتب الإمام المهدي .

الوفيات

"محمد بن عز الدين المؤيدي"

وفي سنة ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين) توفي السيد العلامة الإمام النحوي "محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل المؤيدي اليحيوي" ، له مصنفات منها «حاشية السيد المسمى مصباح الراغب على كافية ابن الحاجب» لا تنحصر نسخة الخطية وعبارته خالية عن التعقيد يدرسه وينسخه أكثر الطلبة وفيه بركة ومن مصنفاته «شرح على مقدمة الأزهار» .

قال القاضي "أحمد بن صلاح الدواري" :

لازمت السيد "محمد بن عز الدين" وقرأت عليه «حاشيته على الكافية» و«المفصل» ومقدمات «البحر والأزهار» ثم شرعنا في «البحر» فتوفى رحمه الله وكان فارس العلوم في كل فن مع حسن تأدبه وتعليم ولطف وترغيب وبذل نفسه لكل طالب وهو جد السيد المفتي "محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين" .

"محمد الحاج الذيبيني"

وفيها توفي في مدينة ذيبين الفقيه العلامة "محمد بن أحمد بن يحيى الحاج الذيبيني" وكان عالماً محققاً ورعاً زاهداً بليغاً في النظم والنثر وقبره بصرح جامع ذيبين الشرقي تحت الصومعة .

"بهرام" نائب صعدة

وفيها توفي الامير "بهرام" نائب السلطنة على صعدة في أيام "مصطفى باشا" وبعدها وكان هماماً ثابتاً مقداماً وهو الذي عمر الدار العظيمة بصنعاء ثم أخرجها "سنان باشا" وأخذ أخشابها لعمل الزحافة على حصن كوكبان .

وفي سنة ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين) قال "قطب الدين النهرواني" في كتابه "البرق اليماني" : لما رفع "رضوان باشا" إلى مسامع السلطان ما كان عليه "الباشا محمود" من قبح السيرة في اليمن لم يزل "محمود" يذكر لوزراء السلطان ويتوصل بهم أن اليمن قطر كبير لا تكفي في ولايته سلطة الباشا الواحد حتى اثر كلامه في السلطان فبعث إلى اليمن "الباشا مراد" وجعل اليه نصف ولاية اليمن .

أبناء ٩٧٤ هـ (تسمائة وأربع وسبعين)

هزائم الأتراك

أمام انتصارات المطهر

في سنة ٩٧٤ هـ (تسمائة وأربع وسبعين) لما تغيرت نية "رضوان" اشتدت وطأته على همدان الإسماعيلية ففزعوا إلى "المطهر" وأرسل "رضوان" كاشفاً إلى «وادي السر» وكان في ضمن الصلح إلى "علي بن الإمام" فتعنت "الكاشف" الأهالي فقتلوه ، فجهز رضوان عليهم ثلاثة سناجق فوجه المطهر الأجناد وبعث رسله برسائله إلى جميع البلاد ووجه ابن أخيه الحسين بن شمس الدين إلى بلاد الظاهر بطائفه من العساكر فخاف رضوان على صعدة فأمر السناجق بالتقدم من وادي السر على محطة الحسين بن شمس الدين فانهمزم أولاً أصحاب الحسين ثم أصدق الحسين الحملة فانهمزم عسكر الباشا إلى عمران وكتب المطهر إلى السيد أحمد بن الحسين المؤيدي والشرif ناصر بن أحمد الحمزي بالتقدم على صعدة وفيها من قبل الأتراك الأمير شيخ علي فخرج بأمان إلى صنعاء واستولى أصحاب المطهر على صعدة وجهز الباشا رضوان عسكرياً على جبل بيت خولان فأمر المطهر ابن أخيه الأمير محمد بن شمس الدين بالنهوض لمحاربتهم فهزمهم إلى صنعاء ، وكان رضوان قد أرسل كاشفاً إلى بلاد جنب لقبض خراج بلادهم فقتلوه ، وتقدم محمد بن شمس الدين إلى بلاد حراز فاستفتحها وهزم من بها من الأتراك إلى صنعاء واشتعلت نار الفتنة على رضوان من كل جانب ، ولما علم صالح الكوراني أن رأيه قد عاد على رضوان بالخيبه والنقصان عاد إلى بلاده خشية على نفسه فبالغ المطهر في قبضه فلم يظفر به .

ولما عرف رضوان عجزه عن حرب "المطهر" مال إلى المودعة على يد "الكيخيا المسيح" ودخل تحت طاعة "المطهر" بلاد نهم وخولان والحدائق وقيفة وبلاد ذي مرمر والخشب والظواهر وحراز وحفاش وأخرجت الأتراك الرهائن من حبسهم وكان تمام الصلح في رجب سنة ٩٧٤ هـ (تسمائة وأربع وسبعين)

وفي ذي القعدة منها خرج "رضوان" متوجهاً إلى الأبواب السلطانية فزحف "المطهر" بجنوده على صنعاء وحط في «ريعان» ، وتقدم "محمد بن شمس الدين" إلى بيت «خولان» وواجهت للمطهر جميع بلاد «الحيمة والمخلاف وبني مطر» ووصل إليه الناس أفواجا .

حروب صنعاء

وقتل "الباشا مراد" و "المكرمي"

ثم تقدم "المطهر" إلى «عَصْر» وكان في صنعاء ستة عشر أميراً من الأتراك ومن الجنود عدد كثير فاحاطت بهم جنود "المطهر" وأرسل أخاه "عليا" إلى «ريمة حميد» لحفظ الطرق ووجه الأمير "أحمد البعداني" إلى بلاد «خبان» وبلغ "الباشا مراد" حصار صنعاء فنهض من اليمن الأسفل إلى «ذمار» بجيش جرار ثم قدم الأمير "أحمد المعروف بالمجنون" بجنوده وعدته فوجه "المطهر" لحربه الأمير "الحسيني بن شمس الدين" فوقع الحرب في «ذراع الكلب» بالحداء فأصدق الحسين الطعن والضرب فقتل "أحمد المجنون" واحتز رأسه وحملت أثقاله وعدته ، ولما بلغ أهل اليمن قتل "أحمد المجنون" أعلنوا بذكر "المطهر" ونوّهوا به في كل منبر ومالوا على من عندهم من الأتراك ، وبلغ أمير زبيد الأخبار فنهض من زبيد بجنوده حتى دخل الحجرية فلم يتم له ما يريد وانقطع الباشا مراد بذمار ولم يجد بداً من الفرار وترك أثقاله وخزائنه فلما وصل إلى وادي الشلالة أقبل إليه الأمير أحمد البعداني بجنوده وأجروا في طريقه الماء ولازموه الحرب وصعب على خيله قطع الوحل فعمل فيهم السيف وقتل الباشا مراد ومن معه من الأجناد ، وكان محمد بن عبد الله بن جعفر المكرمي اليامي الإسماعيلي الذي سبق غدره بمحمود النظاري سنة ٩٦٩ أراد الفرار إلى المطهر قبل سفر رضوان ولكنه لكثرة أثقاله وماله شغل فلم يبرح بين إقدام وإحجام حتى فطن رضوان بما أصره من العصيان فقد كشف سره محمد بن إسماعيل المكرمي لأحقاد بينهما فسجنه رضوان وأخذ أمواله وذخائره وخرج رضوان من صنعاء فتبعه محمد إسماعيل وحسن له قتل محمد بن عبد الله فأمر رضوان رجلاً من أصحابه بالعودة لقتله ففعل وبين قتله وقتل النظاري خمسة أعوام ثم مات محمد إسماعيل بعد خمسة أعوام ولما قتل محمد بن عبد الله انتقل أخوته ومن يلوذ به إلى المطهر .

وفي ذي الحجة سنة ٩٧٤ هـ (تسعمائة وأربع وسبعين) وقعت صاعقة في حصن عفار وأصاب دار العروس وهي مملوءة بالبارود والرصاص فارتفعت الدار في الهوى ثم تفرقت أحجاراً .

أنباء ٩٧٥ هـ (تسعمائة وخمس وسبعين)

استيلاء المطهر

على صنعاء اليمن والتهائم

وفي محرم سنة ٩٧٥ هـ (تسعمائة وخمس وسبعين) قَدِمَ "أحمد البعداني" برأس الباشا "مراد" إلى مخيم "المطهر" في «عَصْر» فأرسل الرأس إلى الأتراك المحصورين بصنعاء فدخلهم الفشل والوجل وطلبوا من "المطهر" الأمان فأمنهم وخرجوا بأجمعهم وكانت خيلهم حيثئذ ستمائة فرس وعسكرهم زهاء ألفي نفر فقابلهم المطهر بالإكرام وأمر بمحمد إسماعيل الداعي اليامي وولده وإخيه إلى السجن بصنعاء وخرج الأتراك إليه إلى عصر في أول صفر فأخذ عليهم العهود وأرجعهم إلى صنعاء .

وفي نصف صفر دخل صنعاء دخولا معظما تحفه الجنود وتخفق على رأسه الرايات والبنود فابتدأ بالجامع الكبير في خاصة أصحابه وتقدم أولاده بالعسكر إلى القصر ، ولما استقر بصنعاء بعث عماله إلى الجهات فوجه الشريف قاسم الشويح إلى عدن فاستولى عليها وأمره المطهر بعمارة مدرسة ومنارة بها وجعل ولاية تعز وجهاتها إلى الشريف علي بن الشويح وولاه اب وجيلة وما ولاها لولده لطف الله بن المطهر .

ثم استفتح بلاد ريمة ووصاب وبرع وتهامة وجيزان إلى جزيرة فرسان وأمر "الشريف عيسى المهدي" بجر المدافع من «جيزان» إلى «بيت الفقيه» .

وفيها وصل "الباشا حسن ارمني" لولاية اليمن واستقر بزيد حائر الفكرة وطلب من السلطان المبادرة بالعساكر والفرسان .

الوفيات

صالح النمازي

وفي سنة ٩٧٥ هـ (تسعمائة وخمس وسبعين) توفي بجيلة الفقيه العلامة المحدث صالح بن الصديق النمازي الخزرجي الشافعي رحل إلى زيد فقراً على علمائها ومنهم عبد الرحمن الديع وعاد إلى وطنه صيباً فلم يظب له المقام فهاجر إلى الإمام شرف الدين إلى صنعاء فعظمه وكان من أعيان جلسائه ، ثم سكن بجيلة وتعز بعد خروج الإمام من صنعاء وأخذ عنه جماعة منهم السيد أحمد بن عبد الله الوزير وله مؤلفات منها كتاب في مشائخه سماه «البرق اللائح في مشائخ صالح» ، و «شرح مفيد على متن الأئمار للإمام» ، و«القول الوجيز شرح الأربعين» و «الحديث سلسلة الأبريز» و«منظومة في نسب الإمام شرف الدين» وغيرها .

حسن حنش

وفي محرم سنة ٩٧٥ هـ (تسعمائة وخمس وسبعين) توفي بشاطب القاضي العلامة اللغوي "الحسن بن علي بن حنش"، كان عالماً، أدبياً مؤرخاً ولتحقيقه العربية يسمونه سيويوه وله عناية بالتراجم والوفيات ونظم الفوائد وجمع الشوارد وكان من أعيان الإمام شرف الدين وكان يقال له عين الإمام لأنه يأمره بالبحث في كتبه كلما يحتاجه، وله قصيدة طويلة أنشأها بسبب رؤيا حسنة في الإمام "المهدي" الشهيد "أحمد بن الحسين صاحب ذيبين" منها:

نسيم الصبا هبت على جبلي نجد
فلرّجت الأرجاء بعنبرها الهندي
إلى أن قال:

دعا ذكر شيء قد مضى لسبيله
ولا تذكرنا أسعداً وآل أبي سعد
وعُد نحو مدح القائم العلم الفرد
شهد الرضى بدر السماء أحمد المهدي
عليه تحببتي وتلك هديتي
وإن ثواب الفضل يأمله المهدي
هو ابن رسول الله وابن وصيه
مديحهم أحلى لدي من الشهد
يراه إله العرش للناس رحمة
وإرشاد من قد ضل عن منهج الرشده
وإنصاف مظلوم وقمع لظالم
وإرشاد من قد ضل عن منهج الرشده
يجود على العائنين بالمال باسم
فيعطيه من غير من ولا وعد
فما حاتم يحكيه في الجود والتدى
وفي حومة الهيجاء كالأسد الوردي
فكم كان من يوم أغر كقلون
كلنا غيره من قبل ذاك ومن بعد
فذاك الذي قام الهدى بقيمه
وذا في بني الزهراء واسطة المقد
قلوب عباد الله قد جُبلت على
محبتة في الشرق والغرب والهند

فيا ابن الحسين الطهر إنك سيد
 شبيه الحسين السبط والسبط كالجد
 وإنك مهدي لآل محمد
 فبوركت من هادٍ وبوركت من مهدي
 وإنك في الإسلام شمس منيرة
 تنزل دياجي كل أدهم مسود
 فجاهدت في الرحمن حق جهاده
 فكم فلتق عاص سيفك قد أردي
 وكم آية أعطيتها وكرامة
 كرد ضيا الأعمى فيا حسن مارد
 كذا المقعد التين للناس عبرة
 يدب على أرباعه مشية القرد
 فمستته من خير الأنام أنامل
 فقام كأملود من الأغصن الملد
 وشابهت خير الخلق في الخلق والحيا
 وضاهيته في العلم والحلم والزهد
 كسيرته قد سرت في أهل دينه
 وألبستهم من عدلك السابغ البرد
 فيا سيد السادات أتى لعائذ
 بكم من عناء الدنيا ومن ضنك اللحد
 فكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة
 سوى جلك المختار أكرم ما جد
 لأنى عظيم الود والحب فيكم
 وحاشاكم لستم بناسين ذا الود
 فحبكم ديني وشرعي وملتي
 أكاد لفرط الحب أخرج من جلد
 ومن نظمه في حصر بيت المال :

خراج وصلح ... ثم في غنيمة
 ولقطة أحماس جزى .. والمظالم

وله فيما يعتبر فيه اللفظ :

لعان وإلاء وقنف شهادة
 وإقــــرار ذاب لاتصح بلا لفظ

ومن أخبرس قالوا تصح عقوده
 مشيراً سوى ما قلت إن كنت ذا حفظ

فسوخ عقود النكحات لحينها
رضاع وعيب والكفاءة والعنف
فساد لعان ملة أي لآخر
يخالف ديننا والبلوغ كذا الرق

وله في الذي يجب رده إلى موضع الابتداء :

معار ورهن ثم غصب ومعرض
ودين بعقد عاجلاً ومؤجلاً
مكفل وجهه والموجل بعلمه
يرد إلى حيث التقابض أولاً
وأما اللواتي ردها حيث أمكنت
فلدين بلا عقد مقود يُقتل
كذا كمعيب مودع وموَجَر
عليه فكن ذا فطنة فتأمل

وله حصورات كثيرة .

أنباء ٩٧٦ هـ (تسعمائة وست وسبعين)

حروب زبيد

في سنة ٩٧٦ هـ (تسعمائة وست وسبعين) اشتدت وطأة "الباشا حسن" على أهل «زبيد» لأنه لم يبق في يده غير «زبيد» فأجأته الضرورة إلى مصادرتهم وتحصيل ما يحتاجه للجند ومن جملة من صادرهم الفقيه "عبد الرحمن المحرقى" كاتب الديوان صادره ثم قتله فتفرق أهل «زبيد» في البلدان .

وفيهما أمر "المطهر" على الشريف "علي بن الشويع" أمير «تعز» بالتقدم على الأتراك بزبيد فتقدم إلى «حيس» وكانت معركة انهزم فيها الأتراك وأخذ من خيلهم نحو الأربعين وأمر "المطهر" "بن الشويع" أن يبقى بـ «حيس» ويتخذها محطة فخالف ونهض إلى «زبيد» بجيشه العديد وكان الباشا "حسن" قد جمع العساكر المتفرقة في «التهائم» وتأهب للقتال فوق قتال طول ذلك اليوم ورجع كل إلى موضعه وفي اليوم الثانى خرجت العساكر السلطانية بعد اجتماع شملها وضم فرعها إلى أصلها فانهزم "الشويع"

وقتل من عسكر نحو ثلاث مائة وقتل حصان "الشويع" فأركبه بعض أصحابه على جواده. بعد أن كادت المنية تذهب بسواده ولما عاد إلى «حيس» لم يستقر بها بل واصل انهزامه إلى «تعز»، فاضطرب أهل «الحجرية» على الأجناد المطهرية فكان قبض رئيسهم "أحمد عبد الوهاب الحجري" وبعض أصحابه وأرسلوا إلى صنعاء ثم أمر السلطان "الباشا مصطفى" .. باشا مصر أن يمد بنفسه "الباشا حسن" إلى اليمن فلم تقو نفسه على الخروج وكتب إلى "المطهر" يحثه على مسالة السلطان عن طريق "شريف مكة" فأجابه المطهر بجواب لم يفده شيئاً ، ثم جهز السلطان إلى اليمن الأمير "عثمان بن ازدم" ر فدخل «زيد» في نصف جمادي الآخرة سنة ٩٧٦ هـ (تسعمائة وست وسبعين) ولما استقر بزيد ناقش "الباشا حسن" عن جملة ما قبضه من أهل «زيد» وإرجاعه إليهم فغضب وتوجه إلى مصر فالتقاء الوزير الأعظم "سنان باشا" فاستجار به من "عثمان" فأجاره وأخرجه معه إلى اليمن وفيها عثر "المطهر" على رسائل من الأتراك بصنعاء إلى "عثمان باشا" يحثونه على النهوض فعاتبهم على نقض العهود وسجنهم وقبض مافي أيديهم.

حروب تعز

وفيها نعى إلى المطهر خبر تجهيز العساكر السلطانية من الروم ومصر إلى اليمن ووصله كتاب من امير تعز الشويع يعرفه أن "عثمان باشا" متوجه من «زيد» إلى «تعز» ويطلب القادة فجمع "المطهر" الأجناد وجعل أميرها ابن أخيه "محمد بن شمس الدين" وفيه بخل وسوء تدبير فتوجه بالأجناد الكثيرة والخزائن الجلييلة وتأنى في مسيره حتى أخذ "عثمان باشا" «تعز» عنوة والتجأ بعض أصحاب "المطهر" إلى «قاهرة تعز» وخرج "الشويع" إلى محطة "محمد بن شمس الدين" ورادف "المطهر" الإمدادات صحبة أولاده "لطف الله" و"حفظ الله" و"الهادي" وقد انضمت أيضاً قبائل البلاد اليمنية إلى جيش "محمد بن شمس الدين" فنهض الجيش كالغمام واستقر في محل يعرف «بالجبل الأغبر» فضرب "محمد بن شمس الدين" به مخيمه وتطير الناس بهذا الاسم وأشاروا عليه بالتحول وأن يتقدم الأمير "الشويع" إلى المداجر وأحد أولاد "المطهر" إلى جبل «صبر» ويبقى هو فئة للجميع فلم يسمع بل أمر "الشويع" بالتقدم إلى «جبل حبش» وهو غير مقصود للعدو ، ثم إنه شح على الأجناد وحبس عنهم الخزائن فانظروا على الأحقاد :

والجند لا يرعون من أضاعهم

كلا ولا يحمون من أجاعهم

خروج "سنان باشا" إلى اليمن

أنفذ السلطان وزيره الخطير "الباشا سنان" وأمره بالتعريض على مصر وقتل واليها "الباشا مصطفى" لتقاعسه عن النهوض إلى اليمن فأنفذ الأمر وأمّ اليمن بجنود تملأ الفضاء لم يُسمع بقوة مثلها ، **قال في روح الروح** : أن الجمال تربو على مئتي ألف جمل تسري في اليمن سريان النار في يابس العرفج وصعد من زبيد إلى تعز وفتح قاهرته وامتن على أهلها ولم يتعرض لهم أحد بسوء وسرح طائفة من الجند إلى عدن فاحتلته عنوة وقتل أميرها من قبل "المطهر" "قاسم الشويح" غدرا بعد الأمان ، وزحف "سنان" في أثر "محمد بن شمس الدين" إلى باب ميثم وكان "لطف الله بن المطهر" قد صعد إلى «جبل الشماحي» المطل على «آب» فوجه "سنان" "الباشا حسن" لمنازلته . وانتقل "سنان" إلى «جبل»

أنباء ٩٧٧ هـ

(تسعمائة وسبع وسبعين)

وفي ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) احتل «آب» وزحف على «جبل بعدان» فثبت أصحاب "المطهر" أول الأمر وقتلوا جماعة من الأتراك ثم انهزموا وتغلب الأتراك على الجبل وفر "محمد بن شمس الدين" و "لطف الله" .

قال في أنباء الزمن : ولما وصل "محمد بن شمس الدين" إلى عمه "المطهر" لم يعاتبه على الفرار ولا مخالفه الأمر وهكذا الشجعان الذين لا يبالون بطوارق الحدثان .

ولما فرغ "سنان" من «اليمن الأسفل» نهض إلى «ذمار» وجر المدافع الكبار فدخلها وسلمت من ظلم العابثين ومنع جنوده من دخول البيوت والتعرض للأهالي .

وكان "المطهر" قد أرسل أخاه "عليا" إلى «حصن حب» فثبت به كما سيأتي .

ولما وصل "سنان" إلى «ذمار» نقل "المطهر" من صنعاء الخزائن والمدافع إلى الحصون وأذن لأهل صنعاء بمواجهة سنان فاعتمدوا كلامه وكان في عاقبته السلامة .

خروج "المطهر" من صنعاء

ودخول "سنان" إليها

في غرة صفر سنة ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) خرج "المطهر" من صنعاء ووصل مرسوم "سنان" لأهلها بالأمان واختاروا للقائه مئة رجل فأجلّهم وأكرمهم

وأرسل معهم شاوشا يمنع عساكره من دخول البيوت ودخلها "سنان" في ٨ صفر وترك خيامه وأثقاله وخيله وجماله غربي صنعاء وجهز "سنان" "الباشا حسن" إلى «وادي السر» و«ذي مرم» فحاربوه ثم انهزموا وسُبيت البيوت والحريم وأسر الرجال ومن قُتل الفقيه "صالح العنجور" ، ووجه "سنان" "عبد الله بن محمد الداعي المكرمي" بعسكر إلى «الحيمة» و«حراز» و«الغارب» فتنقل ووصل فيها إلى «سارع» و«الشاحذية» .

حروب «ثلا» و«كوكبان»

توجه "سنان" بجيوشه الواسعة لحرب «ثلا» و«كوكبان» فطبق أرجاءهما وضرب خيامه في «قاع حوشان» وأمر "حسن باشا" بالارتفاع لحصار «كوكبان» عن طريق الأهرج وشمات وأراد أن يرقى إلى الضلع فقصد "محمد بن شمس الدين" بمن عنده واستخلف على «كوكبان» أخاه "الحسين" فكانت حرب انهزم فيها "حسن باشا" وقتل من أصحابه عدة وحُزرت منهم روس أرسلت إلى "المطهر" «ثلا» وانهزم "حسن باشا" إلى «بني الخياط» فقصد "محمد بن شمس الدين" وانضم إليه "ابن الشويع" ووقعت حرب في «صيعان» ثلاثة أيام قُتل فيها "محمد بن رضي الدين بن الإمام شرف الدين" وحُمل إلى «الطويلة» ودُفن تحت حصنها ثم انهزم "محمد بن شمس الدين" إلى «كوكبان» في جماعة قليلة ورجع "علي بن الشويع" إلى «حصن بكر» وتوجه أصحاب "محمد بن شمس" إلى "المطهر" فأكرمهم ثم استولى "حسن باشا" على «حصن الصياد» في «بني الخياط» فأخبره ثم زحف إلى «الضلع» لحصار «كوكبان» وأطلق "محمد بن شمس الدين" وأخوه "الحسين" من في سجنهما من الأتراك كالأمير "محمد بن قزل باشا" والأمير "يوسف" والناظر والأمير "فُتُيح" والأمير "كراكول" ثم توجه "سنان" إلى «شباب» فافتتحها بتاريخ ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) ودخل «شباب» وصعد من فيه إلى العارضة فتبعهم إليها جند "سنان" فما شعروا إلا بغارة من "المطهر" أرجعتهم إلى «شباب» .

ثم استمر القتال الشديد بين "سنان" و"حسن باشا" من جهة و"المطهر" «ثلا» و"محمد بن شمس الدين" بكوكبان من جهة ثانية أشهراً من صفر إلى ذي القعدة في «قاع حوشان» وفيما حول الحصنين بلغت المعارك إلى ثلاث وثمانين معركة . ولما انتقل "سنان" من «حوشان» إلى «شباب» ترك كميناً في محطته بحوشان ، فجهز "المطهر" الفتى "ريحان" في مئة فارس وخمسمئة رام إلى جهة «كوكبان» بعد أن ضربت المدافع من «كوكبان» إمارة بين "محمد بن شمس الدين" وعمه "المطهر" فلما توسط "ريحان" ومن معه ثار عليهم كمين "سنان" وأحاط بهم وانكشفت المعركة عن قتل "ريحان" وعودة أصحابه إلى «ثلا» .

وتعقب ذلك خروج "الهادي بن المطهر" بأعيان أصحاب أبيه إلى سفح الجبل فأقبلت جيوش "سنان" وانجلت المعركة عن قتل "الهادي" وبعض أصحابه ورجع كل فريق إلى موضعه، ثم توجه "سنان" لحرب «حصن الروس» ورما بالمدافع واحتله وأخربه وعاد إلى مخيمه بحوشان وأنفذ طائفة لمحاربة أصحاب "المطهر" بحصن عز الغريب من «كوكبان» فنال الأتراك من التعب مالا مزيد عليه لأنهم صعدوا ليلاً والطريق ضيقة المسلك ، ولما شعر بهم أصحاب "المطهر" عند الصباح كافحهم وأرجعهم إلى مخيم "سنان" .

ثم اجتمع "سنان" و"حسن باشا" وقصدا بيت عز ليلاً في عدة وافرة وجمع كبير فوجدا الطريق قد سدت بالأبطال من أصحاب "المطهر" و"محمد بن شمس الدين" فوقع الحرب الشديدة ليلاً ثم طول النهار. فانهزم "سنان" وأصحابه إلى «حوشان» وقد هلك منهم جماعة .

وحين استقر "سنان" بمخيمه أمر بجر المدافع إلى العارضة لرمي «كوكبان» فحصل مع من فيه التعب ، وبالجملة فإن "سنان" مازال يتوسل لأخذ حصن «كوكبان» بجميع ما يدخل تحت الإمكان حتى إنه أمر بإخراص دار بهرام الفخمة بصنعاء وحمل أخشابها وأبوابها إلى القطع المعروف باب «كوكبان» ليقع المرور عليها إليه ، ولما شارف الأتراك على إتمام العمل رماهم أهل «كوكبان» بالمدفع وهم رموا «كوكبان» بالمدفع حتى أثر في جانبه القبلي وكادوا يدخلونه من فوق الأخشاب فانكسرت فبطلت حيلتهم .

صلح "محمد بن شمس الدين"

"وسنان"

لما طال القتال وضائق الأحوال وتوفي "الحسين بن شمس الدين" في شعبان وكان هماما ماجدا مقداما ملازماً للحرب والمحارب جنح أخوه "محمد بن شمس الدين" للصلح فقام عمه المطهر بحمايه كوكبان ومنع محمد بن شمس الدين عن الصلح ولم يزل يحمل إليه ما يحتاجه بخفية وكان يسلم لمن يدخل «كوكبان» عشرة دنائير ذهباً ولمن يصل إليه من «كوكبان» مثلها وبالغ في تقوية "محمد بن شمس الدين" أشد المبالغة . وكانت في رمضان معركة بين "محمد بن عز الدين بن الإمام" ومعه عصابة نافعة من أصحاب عمه "المطهر" وبين أمير السنجق السلطاني ومعه عدة وافرة من الأتراك وانكشفت المعركة عن قتل "محمد بن عز الدين" وأمير السنجق السلطاني وعدة من عسكر الفريقين ، ولما عيل صبر "محمد بن شمس الدين" وضاق صدره بما يجري وأشار الداعي المكرمي "عبد الله بن محمد اليامي" على الوزير "سنان" أن يصالح

الأمير "محمد بن شمس الدين" فكتب إليه في الحال فجنح إلى الصلح . فلم يشعر "المطهر" إلا بظهور إشعار الصلح بكوكبان وإعلان اسم السلطان وكان "المطهر" قد عرف ما أراده "محمد بن شمس الدين" من الصلح فراجعته وخوفه منه فلم يجد شيئاً، فلما تمت قواعد الصلح ورجع "سنان" من مخيمه بـ "حوشان" إلى "المنقب" بهمدان وصل "المطهر" إلى "كوكبان" فارتاع "محمد بن شمس الدين" وتلقاه بنفسه إلى الباب وأنشد "المطهر" :

ررناكم لا نؤاخذكم بجفوتكم
إن للمحب إذا لم يسـ _____ زورلوا

ورمت المدافع من "كوكبان" واشعلت النيران إعلاناً بدخول "المطهر" "كوكبان" فسأل "سنان" عن الخبر فقالوا له إن "المطهر" بكوكبان قد استقر، فقال "سنان" : الآن تيقنت أن الكل في قبضة "المطهر" وتحت بسطته وكتب إلى "محمد بن شمس الدين" أن يكون الصلح بينه وبين "المطهر" على يديه فأجاب أن ذلك لا يتأتى إلا بعد ارتفاع "سنان" عن "المنقب" وبشروط شرطها "المطهر" .

وفي ذى القعدة سنة ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) وصل الخبر بقدم "الباشا بهرام" بولاية اليمن فانتقل "سنان" من "المنقب" إلى صنعاء في ذى الحجة .

موقع رسائل "المطهر"

في البحث على الجهاد

وفيها كتب "المطهر" إلى "صعدة" وغيرها من الجهات يحرض على الجهاد والمصابرة في مواقف الجلاذ ، ويذكرهم ما ينالهم من الأتراك من القتل والأسر والنهب والخراب وانتهاك الحرم فأتار برسائله من حفاظ الرجال الأحرار ما أخفاه الخوف فقاموا بغرض الجهاد وكان أول من وصل إلى "المطهر" من صعدة الأمير "أحمد بن الحسين المؤيدي" وغيره من أعيان تلك الجهات وأمر المطهر أهل الحدا والشيخ قطران السحامي الخولاني والشيخ "علي بن بشير" بأن يشنوا الغارات على أطراف تلك الجهات، وأمر أخاه "علي بن الإمام" إلى حصن "حب" ببعدان بمكاتبة أهل اليمن الأسفل في الجهاد ففعل واجتمعوا إليه عن اخرهم وشدوا على حرب من جهاتهم من الأتراك معاقدة مآزرهم وكان النائب على تلك الجهات من جهة الوزير "سنان" يعرف بالأمير "خضر القبطان" فقتلوه مع ثمانمائة من الشجعان فسمى الخبر إلى "سنان" فقت في عضده وكان "سنان" قبل وصول الخبر قد قدم عسكرياً مع الأمير "كواكور" لمحاربة "ذي مرمر" فالتقاه الشيخ "قطران السحامي" والأمير "بلال" وغيرهما فوقع حرب شديدة قُتل فيها الشيخ

"قطران" ومن عسكر ذي مرمر وخولان وحملت رؤسهم الى محطة الوزير "سنان" على جملين فأعلن البشرى والتنصير ولكن عقيهما وصل خبر قتل "القبطان" وعسكره باليمن الأسفل فانعكست البشرى وهكذا أحوال الزمان ، ثم توجه الأمير "كراكور" لقتال عسكر "ذي مرمر" مرة أخرى فاشتد القتال إلى أن قُتل الأمير "كراكور" وقطع رأسه وأرسل به من "ذي مرمر" الأمير "لطف الله بن المطهر" إلى والده .

أنباء ٩٧٨ هـ

(تسعمائة وثمان وسبعين)

وصول بهرام ومفادرة سنان

بعد الصلح مع المطهر

وفي سنة ٩٧٨ هـ (تسعمائة وثمان وسبعين) وصل "بهرام باشا" إلى "زبيد" فلاقى أزمة وضائقة مالية شديدة ألجأته ومن معه إلى بيع ثيابهم لعدم وجود مايسد فاقتهم بزبيد فسارع إلى تعز وأما "سنان" فبادر بالرحيل بعد أن قرر أموراً لأجناده بصنعاء وزاد في نفقاتهم وضاعف الخراج المحمول من اليمن إلى السلطان فأبلغه إلى متى ألف دينار ذهباً في كل عام بعد أن كان قدر خمسين ألفاً في أيام من قبلة من الولاة وانتقل إلى «ذمار» والمخابرة بينه وبين المطهر مستمرة والسفراء يذهبون ويجيئون إلى أن تم الصلح مع "المطهر" على أن يكون من البلاد للمطهر بلاد «صعدة» وأعمالها و«خولان الطيال» و«ذي مرمر» و«نهم» وبلاد الظواهر وعقد هذا الصلح بـ «ذمار» في شعبان سنة ٩٧٨ هـ (تسعمائة وثمان وسبعين) وكان سفير "المطهر" الموقع على الصلح السيد "شمس الدين جحاف" ثم انحدر "سنان" إلى «زبيد» وغادر اليمن في رمضان إلى مكة المكرمة للحج وأنفق أموالاً طائلة في وجوه البر المختلفة وكان بذلاً للأموال جباراً سفاكاً قال الأستاذ المعاصر "محمد كردعلي" في كتابه «خطط الشام» : ومن سفاكي الأتراك العظام "سنان باشا" فاتح اليمن وصاحب الجامع المنسوب إليه بدمشق تم إنشاؤه سنة ٩٩٩ هـ حصرت مخلفاته التي أرسلت إلى الأستانة بعد موته فإذا هي تساوي مئات الألوف من الدنانير بما حوت من الأعلاق والنفائس فمن أين لسنان هذا المال؟ وقال مؤرخوا الترك أن الخيرات التي قام بها سنان باشا في ممالك مختلفة من جوامع ومدارس وتكايا وخانات تُقدر نفقاتها بمليني ليرة ذهب بسكة زماننا وأن ما عمره من المعاهد والمباني الفخمة في الأقطار التي نزلها تناهز المئة ، لا جرم انه من العتاة الطغاة الذين

يجزون خراب البلاد ليعمروا جيوبهم وخزائنتهم ، وأعمالهم الخيرية قد تأتي بالعرض أو
لحب الشهرة وأُفْبِحْ بصدقة أو عمل خير يكون أصل ما أنفق عليه من السحت وقتل
الأنفس وتخریب البلاد لاستصفاء أموال أهلها:

لا نَظْلَمَنَّ لَنُعْطِيَ فَالشَّحِيحُ عَلَى

مَا فِيهِ اعْلَازُ مَنْ خَانَ أَوْ ظَلَمَا

انتهى كلام "محمد كردعلي" .

وفيها نشب خلاف بصعدة بين السيد أحمد بن الحسين المؤيدي الذي سبق أن جاهد
مع المطهر وبين الشريف "محمد بن ناصر الشويح" ولجأ الفريقان إلى الحرب فاهتم
المطهر بالأمر وأوفد الأمير "علي بن محمد الشويح" للإصلاح وتأييد المؤيدي ، ثم فر
الشريف محمد ناصر إلى الجوف وتمكن نفوذ السيد أحمد بن الحسين بصعدة وما إليها
من نجران إلى خيوان وطالت أيام ولايته فأحيا مدارس العلم وتكاثر وفود الطلاب إلى
المدارس من جميع الجهات حتى بلغت حلقات العلم إلى ثمانين حلقة واستمرت ولايته
١٨ سنة إلى وفاته شهيداً في حربه مع سنان الأخيرة في آل عمار في ذى القعدة سنة
٩٩١ هـ وبعد أن سار إلى المطهر للجهاد وأقام في «حصن الجاهلي بحجة» بأهله
وأولاده ١٢ سنة وفي سنة ٩٧٤ هـ رجع بأهله إلى «خولان الشام» وحارب الأتراك
وهزمهم وغنم سلاحاً ومالاً وخيلاً.

الوفيات

موت "علي بن الإمام"

مسموماً بحصن «حَب»

بعد أن غادر "بهرام" تعز ووصل إلى «إب» صعد لمحاصرة "علي بن الإمام" بحصن
«حَب» فأحرق متسللون مخزن البارود بالحصن فارتفع في الهوى ثم سقط فأخرب جانباً
من الحصن وتزلزل بمن فيه فأمر "علي بن الإمام" بإلقاء الفاعلين من شواحق الحصن،
ثم دس "بهرام باشا" إلى "علي بن الإمام" سمّاً على يدي رجل يعرف بـ "ابن
عرجلة" كان يختلف إلى «محطة بهرام» وإلى "علي بن الإمام" فجعل السم في
سفرجله فلما شمها "علي بن الإمام" ثم رجل من "بني الحشيري" ثم مملوك تركي
فأخذ ثلاثتهم في العطاس المتواصل فعرفوا الحقيقة فقتل "ابن عرجلة" ثم مات الثلاثة
واستولى "بهرام" على الحصن فقتل من فيه بعضهم هنالك وبعضهم أخذهم معه
فقتلهم في طريقه إلى «ذمار» .

ثم مات الثلاثة واستولى "بهرام" على الحصن فقتل من فيه بعضهم هنالك وبعضهم أخذهم معه فقتلهم في طريقه إلى «ذمار» .

ففي رجب سنة ٩٧٨ هـ (تسعمائة وثمان وسبعين) مات شهيداً مسموماً في حصن «حَب» فوق «إب» السيد العلامة "علي بن الإمام شرف الدين" عن ٥١ سنة من مولده وكان من أكابر العلماء الأعلام والأمراء القادة الكرام وقد كان والده قد جعله خليفته في الإمامة العظمى بعد وفاته ثم لم يتم وقد روى القاضي "أحمد بن صلاح الدواري" عنه الأربعين الحديث سلسلة الإبريز وأشرت إلى ذلك بقولي في منظومة «ذيل أجود المسلسلات»:

عن ابن الإمام الحبر من دفنه بحصن
حَب علي الكوكب المتوقد

وفي شرح الذيل : مولده في رجب سنة ٩٢٧ هـ ولقبه والده بالناصر فقال شاعره "موسى بن يحيى بهران" في تهنته من قصيدة طويلة:

قَصَدَتْ إِيكَ تَجُولُ فِي حُلِّ الْهِنَا
بِقِلْمٍ مِنْ لَقَبْتِهِ بِالْناصِرِ
هُوَ كَلِمُهُ لِلْحَقِّ يَصْبِحُ ناصِراً
ويعيش بين محابِر ومناير
وفاك أَسْعَدَ قَادِمٍ وَأَعَزَّهُ
وَاتَّكَ غُـمُـرَتِهِ بِأَيْمَنِ طَائِرِ

اسمع على والده في فنون العلم وأجازه، وعن السيد الحافظ "عبد الله بن القاسم بن الهادي إبراهيم العلوي" والشيخ "صالح بن الصديق النمازي الشافعي" وأجازه وغيرهما وممن أخذ عنه ابنه العلامة "إبراهيم بن علي" والسيد "صالح بن أحمد الوزير" والفقيه "أحمد بن صلاح الدواري القصعة الصعدي" والقاضي "عبد الرحمن بن عبد الله الحيمي" وغيرهم وكان يلقب "بالمرتضى" ومن شعر والده الإمام فيه:

أَعْظَمُ بَدَارِ حُوتٍ بِحُورِ
ثَلَاثَةٌ وَهِيَ وَسْطُ بَرِ
فَبِحَرِّ جُودٍ وَبِحَرِّ عِلْمٍ
وَبِحَرِّ نُزُلٍ لَوْ فَدِ بِرِ
شَبِدَتْ بِخَيْرِ الشَّبَابِ طَرَا
الْأَعْلَمُ الْخَضِرُ الْمَرْمِ

علي المرتضى المرجى
لحفظ دين الهدى الأغر
الباقر العلم في صلبه
والفارس الأغلب الأكبر
بلغ فيه الإله سؤلاً
لكل مجد وكل فخر

وقد جمع شرحاً عجيباً في تخريج أحاديث كتاب « أصول الأحكام من شرح التجريد وشرح الأحكام » وغيرهما من كتب الأئمة .

ترجمه صاحب " الطبقات " وصاحب " المواهب السنية " فقال :

إمام العلوم العقلية والنقلية والفقهية والنحوية ، كان قوياً شديد البدن ، إليه تُنسب خزنة الكتب التي بشام . شهد مع صنوه المطهر مشاهد عظيمة . وفي « اللالئ المضيئة » للشرفي أن الإمام " شرف الدين " كتب في سنة ٩٥٢ هـ كتاباً من لفظه :

استخرنا الله سبحانه وتعالى واستخلفنا على البلاد والمدائن والحصون وأهل الطاعة ولدنا السيد الفاضل العالم العامل الصدر الكامل الحلال جمال الدين أبا الحسن علياً المرتضى ابن أمير المؤمنين وأقمناه مقامنا في الزعامة وعرفناكم أيها المسلمون أنا قد علمنا كماله في شروط الإمامة وألزمنا أهل الحصون والعهد والإدراك والمقاومة والاجتهاد البيعة له والعمل برأيه والطاعة لله ثم له في الأمر والنهي والتولية والعزل وكل ما يجب للأئمة على الخلق ، وأخوته الأولاد السادة القادة المجاهدون في سبيل الله سبحانه والعلماء منهم والمتعلمون هم المقدمون في العناية والقصد بهذا البلاغ والمؤملون بالتصدر لنظم هذا النظام فعليهم لله سبحانه ولنا ولصنوهم هدايا الله وإياهم حسن الطاعة والمؤازرة والمبايعة والمعاونة والمظاهرة على ما كانوا عليه في حقنا وزيادة بعون الله سبحانه وما قد وضعناه لهم من الحصون فقد أوصيناه بسلامته والعمل لهم بمضمونه . إلخ

ولكن لم يتم العمل بذلك لدخول الجميع تحت كنف " المطهر " الابن الأكبر ، بل برح الخفا في ذلك العام ووقع الاختلاف بين الإمام و " المطهر " كما سبق .
وفي سنة ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) جهز " المطهر " أخاه " علياً " إلى « حصن حب » في بلاد « بعدان » . إلخ

ومن شعره في حصر أبواب كتاب الأزهار قصيدة طويلة منها :

مقدمة قلّدْهُم في طهارة
نجلسات في ماء لقاض لحاجات
كذلك وضوء ثم غسل تيمم
وحيفض نفاس والصلاة لاوقت

... إلخ

ومن شعره قصيدة طويلة رثى بها والده وضمنها من قصيدة والده «زرناك في سرد
الحديد وفي القنا» منها :

يا عيني القرحاء جودي دائماً
جودي على يحيى بلمع صبيّ
ماذا سمعت به وقد اسمعتي
يا سمع هلا غير هذا في أبي
أبي لا تبعد علينا آل يحيى
خاتم الخلفاء والشهم الأبي
الساجد المتركة المتجهد
المتعبد المتآله المتأوب
الكوكب الوهاج صبح نهارها
شمس البرية بلورها المتغيب
الفتاح الأمصار والأقطار
والمعدن الكبار وكل حصن أغلب
صعب عبوس في لقاء علوه
حد حسام للخلافة مثقب
كم من كتائب قادها لكائب
فكأنها من خوفه لم تكتب
وانظر إلي قول له في صعدة
بلسان ذلق في البلاغة معرب
وقد اصطفاها بالسان مخاطباً
يحيى أباه إماماً في المنهب
زرناك في سرد الحديد وفي القنا
والمشرفية والخيول الشرب
انظر إلى هذا النظام فما ترى
إلا لآلئ في طراز منهب
هذا هو الفخر الذي لا قبله
فخر فقصر يابليغ أو اطنب

هذا هو الفخر الذي لا بعده
 فخر فيالك من فخر طيب
 هذا أمير المؤمنين وطبعه
 في غير دين المصطفى لم يغضب
 هذا أبي من في المعالي شبهه
 في آل بيت المصطفى ؟ لا تكذب
 هذا أبي لما تولى روحه
 للأمير ولي المجد من آل النبي
 هذا أبي عجز الزمان بمثله
 أبداً فقصر نديه أو فأنذب
 لا تعجب من موته مات النبي
 لكن بي وبه ولي وله أعجب
 ما كنت أحسب أنني وأبي كنا
 هذا بمشركه وفا في المغرب
 والله يحرمنا بحفظ مطهر
 الناصر الإسلام ركن المنع

وقد أجاب عنها بقصيدة أطول منها العلامة البليغ عبد الله بن الإمام من آخرها:

(أعلى) قد ورد القريض ورود
 مخضل السحاب في الزمان الأشهب
 فأبلّ ذا القلب العليل ويل
 مضطرم الغليل وطاب منه مشري
 ولقد شجى القلب الكليم بقوله
 (يادهر هلا غير هذا في أبي)
 فاصبر وإن عظمت بك اللاؤاء
 فالأقذار تغلب كل ذمر أغلب
 وتعرز عنه بابنه ملك الوري
 ليث الشرى المتواضع المتحبيب
 الطاهر الشميم المطهر من بدت
 أنوار مفخره ولم تغيب
 لا نقص يخشى الدين وهو مجادل
 عنه بكل مشقف ومشطب

... إلخ

«حصن حبّ» مشهور من حصون «بلاد بعدان» في «بلاد إب» و«جبلّة» وممن جدد بعض مبانيه "طغطكتين بن أيوب" المتوفي باليمن الأسفل سنة ٥٩٣ هـ.

علي الأملحي

جد الإمام "القاسم"

وفي سنة ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) توفي بـ «ثلا» السيد الفاضل "علي بن محمد بن علي بن الرشيد الأملحي" جد الإمام "القاسم بن محمد بن علي" ووالد عمه السيد "عامر بن علي" وكان سيداً هماماً معتزلاً دولة وقته ونسبته إلى وادي «أملح» من جهات «صعدة شام اليمن».

انفصال الوزير "سنان" عن اليمن

بعد أن اجتمع "سنان" بخليفته "بهرام" في بلاد «بعدان» بعد استفتاح "بهرام" لحصن «حب»، سار "سنان" إلى الروم وحارب الإفرنج واستعاد منهم تونس ، وقد ترجمه صاحب «خلاصة الأثر» في أعيان القرن الحادى عشر " ترجمة حسنة وأرخ وفاته سنة ١٠٠٤ هـ وعد من محاسنه الجوامع والمدارس في مصر ودمشق وغيرها .

مظالم بهرام

انتقل "بهرام" من بعدان إلى «ذمار» واستتب له الأمر وساءت سيرته في اليمن وجدد رسوم الظلم والجور وقتل الأعيان وحاسبهم على ما سبق منهم في جهاد الأتراك واشتد في مؤاخذته لهم وجرد الناس من السلاح وجعل يستدعي بالرؤساء ويجتز رؤسهم ويلقيها في بئر معطلة ، قال السيد "أحمد بن أحمد المطاع" الشهيد بحجة سنة ١٣٦٧ هـ في نبذة تاريخية:

أن "بهرام" ظلم الناس وأفرط في القسوة ، وهكذا أمراء المسلمين وقادتهم إلا من رحم ربك وقليل ما هم ولعمري أنه من العار والخزي أن تكون أخلاق قادة المسلمين على ما ترى وتسمع من التهافت على الأطماع والهرولة وراء الشهوات وجعل مدار الحكم إرضاء النفوس والتشفي من المستضعفين والاعتداء على الأموال والإعراض والدماء وذلك من الأسباب التي أودت بهم وأسقطتنا في مهوة لا نعلم متى ننهض منها ويرحم الله القائل:

ملكننا مارن الدنيا بوقت
 فلم نحسن على الدنيا قبلها
 جعلنا الامر توليةً وعزلاً
 فلم نك مصلحين ولا كراماً
 وسنا الامر حين خلا إلينا
 بأهواء النفوس فما استقلنا

وفي سنة ٩٧٩ هـ (تسعمائة وتسع وسبعين) توفي بسجن "المطهر" الراعي "محمد بن الإسماعيلي" وكان "المطهر" قد سجنه لممالاته الأتراك ومناصرتهم .
 وفي سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) خالف على "المطهر" عامله على بلاد الأهنوم وظلمه وعذر السيد "علي بن إبراهيم جحاف" وأظهر الانتماء إلى "الباشا بهرام" فكتب "المطهر" إلى "بهرام" في ذلك وأنها من بلاده حسب الصلح فأجاب على "المطهر" جواباً شافياً وأقسم بالله أنه مآدار بينه وبين "جحاف" حديث قط وبذل المادة والإعانة للمطهر في محاربة "جحاف" فشكره "المطهر" وعذره عن المادة والإعانة وتابع "المطهر" الغارات على "جحاف" بقيادة "علي بن محمد الشوبع" حتى أتى بـ "جحاف" أسيراً إلى "المطهر" وأودعه سجن «ثلا» حتى مات به بعد قليل ، وقد كان عاملاً للمطهر من أيام "ازدرم" .

أنباء ٩٨٠ هـ

(تسعمائة وثمانين)

"المطهر" يودع الحياة كريماً

في سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) بدأت شكوى "المطهر" من علة بول الدم وشدة حرارة أورثته عطشاً إلى أن توفي بمدينة «ثلا» في ثالث من رجب سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) عن ٧٢ سنة من مولده في رجب سنة ٩٠٨ هـ (تسعمائة وثمانية) وعظمت المصيبة بوفاته في عموم بلاده وخرج لتشيع جنازته والصلاة عليه ودفنه جميع أولاده وأمرائه وأجناده بالدروع والرماح وسائر أنواع السلاح وكان "المطهر" شريف النفس ، عالي الهمة ، كثير التلاوة للقرآن غنياً ، يُقال أن راتبه كل يوم من القرآن ثلثة لا يتركه حتى في أيام الحروب ملازماً للتهجد ليلاً مع ما يقاسيه من المشقة بسبب الخلل الذي أصابه في رجله . فأما شجاعته ومواقفه في الحروب فهي كالشمس وأبعد عن اللبس ، أما عن حزمه وعزمه ومهابته وكياسته وسياسته فيعرف بها أهل اليمن وغيرهم قال الشهيد المطاع: كان موت "المطهر" على فراشه وبمدينته «ثلا»

على الرغم من تعرضه للقتل وسط المعامع والمواقع ووقوعه على الموت في كثير من الملاحم والمعارك وفي ذلك دلالة كافية على أن الإقدام والاندفاع إلى الغمرات والتراخي إلى أحضان الفتكات لا يجلب حتفاً ولا يملك موتاً كما أن الجبن والخنوع والتأخر لا يدفع سهام المنايا ولا يكافح صوارم الرزايا ، فلا نامت أعين الجبناء
قد يموت الجبناء في آخر

الصف وينجو من فروع الأبطال

وكان المطهر كما عرفت شريف النفس ، سريع النهضة بعيد الغارة، صلب العود، لا تلين قناته لغامز، قوى الشكيمة، لا يرام من وراء ظهره محبا لمعالي الأمور وللمجد وقد أوقعه ذلك في مآزق حرجة وحمله على المركب الصعب في حياته ودفعه إلى مصاولة كل عظيم والاستهابة بكل خطر في سبيل المجد وقد جمع بين الشجاعة والإقدام والصبر والمتانة وشدة القسوة في الانتقام وبهذه الصفات نجا من مذلة الأتراك وتمسك بأذيال مجده وناصية عزه، إلى أن فارق الحياة غير هيباب ولا وكل ، وكان إلى هذه الخصال متين الدين، قوي الإيمان، واسع الصدر سباق غايات، دراك أوطار، لا يشق له غبار، ولا في فعله عار، ملازما لقيام الليل للتهجد في الأسحار وتلاوة القرآن .
ورثاه الجموع ومن مرثاة لابن أخيه السيد محمد بن عبد الله بن الإمام نحو مائة بيت:

آح ولا غـ _____ روا إذا قلت آح
طرف سفوح وفؤاد جراح
ما لمـ _____ الدنيا وأبنائها
من بعد ضم الجود ليث الكفاح
مطهر خير ملوك الوري
مروي السيف وسمر الرماح

ولما مات "المطهر" ، ثبت كل واحد من أولاده على ماتحت يده من البلاد وكان إلى عين "يحيى بن المطهر" على بلاد «ثلا» و«عمران» و«جبل عيال يزيد» وإعانة ابن عمه "محمد بن شمس الدين" . وثبت "لطف الله ابن المطهر" على حصن «ذي مرمر» وبلاده ونصف «بلاد الشرف» ، وثبت "عبد الرحمن بن المطهر" على بلاد حجة وما إليها ، و"غوث الدين بن المطهر" على «عفار» ، و"حفظ الله بن المطهر" على نصف «بلاد الشرف» واستقراره في «حصن مدوم» إلى أن مات .

وكان أول خلل بعد وفاة المطهر إطلاق الأمير "علي يحيى" لمشائخ «بلاد الأهنوم» من سجن والده وكانوا سبعة عشر شيخا قبض عليهم "المطهر" لذنوب منهم وتمردهم مع عامله "علي بن إبراهيم جحاف" فأخذ "علي يحيى" اليهود عليهم وأطلقهم ولكن

بعد إطلاقهم أظهروا الخلاف ورجع "غوث الدين" منهما إلى «حصن عفار» ، وحصلت وحشة بين "علي يحيى" وأخيه "لطف الله بن المطهر" ، فجهز "علي يحيى" لحرب أخيه "لطف الله" الأمير "علي بن محمد الشويح" ، و"لطف الله" جهز السيد "عبد الله بن محمد بن شمس الدين" فالتقيا في «قطوان» من «بلاد الخشب» ووقعت الحرب بينهما فانهزم "علي الشويح" وأصحابه . وفي خلال ذلك خالف "عبد الرحمن بن المطهر" على أخيه "علي يحيى" فبعث "محمد شمس الدين" إعانة له مبارك شعبان فوقعت حرب كبيرة ثم وقع الصلح على يد "عبد الله بن المطهر" ، ولما اشتغلوا بحروبهم خالف عليهم أكثر البلاد ، و"الباشا" يترصد بهم الدوائر كما سيأتي فيما بعد .

قيام المحتسبين "العابد" و"العالم"

وفي سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) كان قيام السيد الإمام المحتسب "علي بن إبراهيم بن علي بن محمد بن صلاح بن محمد بن أحمد بن القاسم بن يحيى بن الأمير داود بن يحيى بن عبد الله بن القاسم بن سليمان بن علي بن محمد بن يحيى بن القاسم الحرازي بن محمد بن الإمام القاسم الرسي" المعروف بـ "العابد" .

وقيام السيد الإمام المحتسب "علي بن إبراهيم بن علي بن المهدي بن صلاح بن علي بن أحمد بن الإمام محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن فليته بن علي بن الحسين بن أبي البركات بن الحسن بن أبي البركات الحسن بن علي بن القاسم بن محمد بن الإمام القاسم الرسي" ، المعروف بالعالم وهو أحد شيوخ الإمام القاسم وكان قيامهما من بلاد «الشرف» بالحسبة بعد تضرر أهل «هجرة الشاهل» ومن إليهم من أهل الشرف من جور سيرة الفتى "مرجان شاوش" عامل أولاد المطهر على تلك الجهات فطلب أهلها من السידين المحتسبين القيام وإزالة الجور والمنكرات ففعلا وعصدتهم القبائل من «بني جل» و«بني مديخة» و«شمر» وغيرها ووعدهم أهل «قاهرة المحابشة» بالنصرة ثم اختلف أهل المحابشة وكان الفتى "مرجان" وبعض أتباعه في جهة منها فقصدوا أصحاب السידين ووقع القتال فانهزم أصحاب السידين وتفرقوا ثم أغار "مرجان" على أهل المحل فقتل منهم نحو عشرين رجلاً ثم قصدا «الشاهل» فانهزم أهلهم فامنهم ورجعوا إلى محلهم وبقي السيد "علي العابد" ينتقل في المساجد ويعبد الرب الواحد .

وأما السيد "العالم" فاحتال عليه جماعة وقبضوه وأرسلوه إلى أولاد "المطهر" فاعتقلوه مدة في «ذي مرم» وغيره ثم أطلقوه ولزم بيته في «الجاهلي الشرف» وموت

"العابد" سنة ٩٨٣ هـ وموت "العالم" سنة ١٠٠٦ هـ وإليهما أشرنا في تحفة
المسترشدين:

وعام (فظ) الناس في صُقع الشرف
٩٨٠

محتسباً قد قام يا من ما عرف
وقصـلوا مرجان في أنصار
آبَت إلى الفـرار والإدبار
العـابد الأواه في ذاك الزمن
ومعه العالم حفاظ السنن
ثم ثوى العابد في عـفار
في (حفظ) في شـيعة أخـيار
٩٨٣

ويعد أعوام مضت شـيعة
قد نقلوه هجرة القـويعة
ويعله العالم خير عامل
قد مات في (ضرو) بحصن الشاهل
١٠٠٦

وقال شيخ الإسلام "أحمد بن صالح أبو الرجال" في "مطلع البدور": كان السيد
"العالم" و السيد "العابد" فرسي رهان في الفضائل وذكرهما ملأ الآفاق وقد ترجمهما
السيد "أحمد بن الحسين بن إبراهيم بن علي العالم" "حفيد" "العالم" فقال في ترجمة
جده علي "العالم": مولده يوم الخميس ١٣ صفر سنة ٩٣٠ هـ (تسعمائة وثلاثين)
ببلدة هجرة «الجاهلي من الشاهل» ورباه عمه السيد "صلاح بن علي بن المهدي"
الذي كان من أعوان الإمام "شرف الدين" وتولى له القضاء والأوقاف بالشرف ثم
ارتحل العالم علي إلى صنعاء لطلب العلم مدة حتى فتح الله عليه بمعرفة تامة لا سيما
في قواعد فقه المذهب ثم عاد بلده فهاجر إليه جماعة من بلاد «صعدة» أهل «علاف»
وبعض «بني عقبة» علماء فازداد علماً إلى علمه وكان ورداً للطالين وكعبة للمسترشدين
وأباً للضعفاء والمساكين وتخرج على يده جماعة منهم السيد "الهادي بن الحسن" من
هجرة «بني أسد» ومنهم "شمس الدين بن صلاح بن يونس" صاحب هجرة «أسلم
ناشر» من ذرية الإمام المظلل بالغمام "المظهر بن يحيى" ومنهم السيد "أحمد بن
الحسين بن علي" من «الشاهل» الذي تولى القضاء للإمام "القاسم بن محمد" وغيرهم
من هجر «الشرف» وغيرها ودرس في «شرح ابن مفتح على الأزهار» و«التذكرة»
و«البيان»، ولما مات السيد المجاهد "المظهر بن شرف الدين" ظهر بالشرف منكرات

فوصل القبائل سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) إلى السيدين "العالم" و"العابد" يستغيثون بهما في رفع الظلم فلم يجدا عذراً عند الله في الترك لظلم "مرجان" فهاجر "العابد" إلى «عفار» للقراءة والإقراء وأما "العالم" فلم يزل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدرس العلوم بهجرته ثم هاجر بأهله إلى «حجور سلوم» ووصل السيد "غوث الدين بن المطهر" إلى «قفل مدوم» فأعانه على الاستمرار على التدريس حتى دعا الإمام "الناصر الحسن بن علي بن داود" فقام بدعوته في الشرف ولما أسر الإمام "الحسن" أعان الإمام "القاسم" على دعوته وجمع له من فضلات الأوقاف والزكوات ونذورا كثيرة وحشد له من بلده ستين مجاهداً بسلاحهم وكان "القاسم" قد قرأ عليه في «الأزهار» وغيره وأعانه على طلب العلم من صغره ومات بعد ظهور دعوة "القاسم" واستجاب الله إلى دعائه ألا يميته إلا بعد ظهور إمام حق وقبر بهجرة «الجاهلي» وعليه مشهد مزور، وخلف ولدين "محمداً" وكان عالماً مدرساً وهو شيخ "الحسين بن القاسم بن محمد" في الفرائض وغيرها وتولى القضاء للقاسم في الشرف وأرسله إلى "عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر" في الصلح الأول واستمر على حاله من الاشتغال بأمور المسلمين ويدرس العلم إلى وفاته سنة ١٠٣٢ هـ وعقبه في هجرة الجاهلي نحو ثلاثين عالماً سنة ١٠٨١ هـ كالعلامة "أحمد بن صلاح بن محمد بن علي العالم" أخذ العلم عن العلامة "محمد بن عز الدين المفتي" وغيره بصنعاء سبع سنين ثم عاد إلى بلده فأخذ عن جماعة علم الفقه بتحقيق قواعده وتولى القضاء بالشرف الأسفل مع مكارم أخلاق وإكرام للوافد، والولد الآخر من ولدي السيد "العالم" هو "إبراهيم بن علي" مات مهاجراً بهجرة حوث سنة ١٠١٢ هـ وله العقب الأطيب الأكثر وأولاده ستة منهم "شرف الدين بن إبراهيم" أكبرهم علامة عبادة واسع الصدر تولى القضاء للإمام المؤيد "محمد بن القاسم" وبعده إلى أن مات سنة ١٠٩٤ هـ عن ٨٦ سنة وخلف ١٤ ولداً منهم العلامة "شمس الدين بن إبراهيم بن علي العالم"، عالماً مجاهداً إلى وفاته سنة ١٠٥٤ هـ عن ٦٥ سنة منهم "محمد بن إبراهيم" و"أحمد بن إبراهيم" و"صلاح بن إبراهيم" و"الحسين بن إبراهيم" وكل منهم خلف جماعة علماء على طريق سلفهم.

السيد العلامة "علي العابد"

ثم قال "أبو الرجال" في «مطلع البدور»: وأما (السيد العلامة "علي العابد" فهو صاحب الكرامات، كان يتسوق الأسواق ليصلي في كل مسجد وليقول المأثور في السوق وهو: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير) ومن كراماته قصة الأسد المشهورة عام أن حج وحده وقد

انقطع عن القافلة حيث لقيه أسد يصبص له بلسانه وذنبه كالشاكبي عليه ودموعه تسيل ، فسار بعده ، فإذا أبطأ السير انتظره الأسد حتى بلغا إلى الأجمة وإذا هنالك لبؤة في يدها شظية قد شكتها وورمت يدها ، فوثب الأسد على ظهرها ليمسكها ليتمكن السيد من إخراج الشظية فأخذ السيد شفرة حادة وشق يدها واستخرج الصديد ثم الشظية ثم صحبه الأسد حتى قارب القافلة وهو العابد لفظاً ومعنى ، غلب عليه اسم " العابد " لكثرة عبادته واعتزاله وتلاوته ، لم يسمع أحسن من تلاوته وترتيله وتأمله وكان علامة في كل فن ، ارتحل لطلب العلم ، فأخذ القرآن على بعض علماء بيت الفقيه " ابن عجيل " بالقراءات السبع وعلوم العربية وأقام مع السيد " علي العالم " بصنعاء للقراءة والطاعة ثم استفاد عليه خلق وكانت له هبة وجلالة في القلوب واستمر على آخر عمره على التدريس بهجرة « كحلان تاج الدين » وكان يحى الليل عبادة وتلاوة ومات بـ « عفار » بالطاعون سنة ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين) وأوصى أن يقبر عند قبر القاضي العلامة " عبد الله بن زيد العنسي " عند « بركة رحية يمانى كحلان » فحاول أهل « كحلان » ذلك ولكن أهل « عفار » طلبوا قبره لديهم وكادت الفتنة بينهما تنور لولا حضور المتولى السيد " عبد الله بن علي " من آل الامام " المطهر بن محمد الحمزي " وبقي بـ « عفار » إلى ١٢ شوال سنة ٩٨٣ ونقله ولد ولده السيد " علي بن الحسين علي العابد " وجماعة من قبائل « الشاهل » ليلاً من « عفار » إلى « هجرة القويعة » بالشرف وعمرت عليه قبة عظيمة وعمر حفيده " علي بن الحسين " جامعاً كبيراً وصارت من أحسن هجر الشرف مأهولة بالقرآن والعلم إلى وقتنا ، وخلف ولدين : السيد " الحسن بن علي " والسيد " الحسين بن علي " الذي أعقب خمسة أولاد أما " الحسن " فلم ينجب إلا ولداً واحداً اسمه " عبد الله بن الحسن " انتقل من بلده إلى « صوران » لملازمة مولانا " سيف الإسلام الحسن بن الامام القاسم " ومات ولم ينجب .

الوفيات

" عبد الله بن القاسم العلوي "

وفي سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) توفي ببلاد « حجة » السيد العلامة المحقق المجتهد " عبد الله بن القاسم بن الهادي بن إبراهيم العلوي " عن ٧١ سنة من مولده . قرأ على عدة من العلماء ، رحل إلى « رداع » و « زبيد » ثم رجع إلى « حجة » ثم انتقل بأهله إلى صنعاء سنة ٩٣٥ هـ ودرس بـ « الجراف » وغيره وانتفع به عالم من الناس في الأصول والنحو والصرف والمعاني والبيان واللغة والحديث والفقه والمنطق والتاريخ وعلم الأوائل مع الورع الصحيح والزهادة والعبادة والأذكار وهو من أكابر

شيوخ "علي بن الإمام شرف الدين" ترجمته في المستطاب .
 وقال " أبو الرجال " في «مطلع البدور» : إنه كان من نوادر الزمان وعجائبه ، محققاً حافظاً ، ترجم له تلميذه "علي بن الإمام شرف الدين" فقال : مولده ليلة عرفة سنة ٨٠٩ هـ (ثمانمائة وتسع) وابتدأ القراءة على الفقيه "عبد الله بن مسعود" ، ولم أر أحفظ منه ، بحفظ الأشعار والأمثال والتاريخ ، فهو بحر لا يتزف . لازمته خمس سنين ولم أزل أسمع منه فوائد ما طرقت على سمعي ولا يعيد شيئاً ، بل كل يوم أسمع العجب من علومه وقد جمعت ما أملاه من أدب وحكمة في جزء وجمعت الشواهد والفوائد في مجلد ، وأما ورعه فكلمة إجماع يُمنَح بالأموال الجليلة بطيبة نفس ما نحها ، فلا يأخذ منها مثقال ذرة ، وأما عبادته وحسن معاشرته فيفوق كل إنسان .
 ومن شعره في الإمام :

هناك ربك ——— أولاك من رتب
 ونلت ما كنت ترجوه من الأدب
 وزادك الله في عمر وفي سعة
 في الملك تصلح منا كل مضطرب
 أحيت هجرة يحيى بعد ما ظلمت
 دهرًا طويلاً بلا جرم ولا سبب

وجرت سابقا بينه وبين الإمام وحشة وسببها أنه سابقا مال إلى التصوف والتصفيق وطرائق الرموز التي تخالف ظاهر الشريعة وكان الإمام حريصا على حفظ الشريعة فاشتد على المتصوفة قتل الفقيه المسمى "بالجدر القرشي" وضرب العلامة "ابن عطف الله التركي" وحين مال "العلوي" إلى التصوف مع الشيخ "علي الجبرتي" ودار معه في الأمصار حبسه الإمام بحصن العروس ولما تحقق الخطأ في مذهب الصوفية واطلع على رسالة "ابن عطف الله" تاب وكتب الرسالة الآتي بعضها فأطلقه الإمام :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبعد فإن لله حماية يحفظ بها بيضة الإسلام ، وله على عبادة نعم أجلها الأئمة الأعلام ، تعمّر بهم المعاهد والمعاليم ، ويتصف للمظلوم من الظالم ، بهم يهتدي الجاهل ويستقيم المعوج المائل ومذهبهم الشريف خير المذاهب ومنارهم يلوح لكل سارب ، ومنهلهم العذب يروى كل شارب اللهم فكما رزقنا اتباع مذهبهم فثبتنا عليه ، حتى لا نميل إلا إليه ، وقد فعلت إذ وليت علينا إمام الزمان ، الذي زدته بسطة في العلم والسلطان ، أذاق أعداء الله الحتوف ، وأمن بسعيه كل مخوف ، وآوى إلى ظله كل ملهوف ، كم أحيا من مدارس ، وكم أضاءت به

المحافل والمجالس ، وكم تجلت به المشكلات الحنادس وزالت به الشبهة والوساوس ، فمنهجه هو المنهج القويم ، الذي قال تعالى فيه : أهدنا الصراط المستقيم ، وهو الذي بُعث به ودعا إليه النبي الكريم ي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم ، هذا نعتقه وبه ندين ، ويعلمه الله وهو خير الهادي . وهذا ما سار عليه مولانا أمير المؤمنين ، وخليفة الرسول الأمين ، من الذب عن الدين وحيطة المسلمين ، من دعوته الميمونة التي هي بالصلاح مقرونة ، اللهم أجزه أفضل ما جزيت إماما عن رعيته وزد اللهم في حياطته المذهب الشريف وهمته .

ولما ورد عليه سؤال في شأن المتصوفة أجاب برسالة طويلة بين فيها فتح سيرتهم وخبث سريرتهم . وكان قد وصل إلى جهتنا بعض المتصوفة وتوهنا معرفته في الأسماء . ولم يكن لي اطلاع على كتبهم فأنس قلبي لهم بعض أنس وكنت كما ذكره الإمام في كتابه إلى كما عرض ذكر ما هم عليه من الضلال لم يصدر مني ما يطيب به خاطر الإمام فأمر بي إلى « حصن العروس » وكتب إلي بخطه : لما علمنا يقينا حال هؤلاء المتصوفين وخروجهم عن الدين بلا شك وخروج من انتسب إليهم بقول أو فعل أو تصويب ولما جرى منك من الأقوال والأفعال المخرجة من الدين وقع الخوف من الله من المداهنة لك وعدم الشدة . انتهى كلام الإمام وشدة علي أرجعتني إلى منهج الحق وقد أرسل إلي رسالة القاضي " محمد بن عطف الله " ورسالة الفقيه " حسن بن يحيى الجدر " فتحققت مقالات المتصوفة التي تهول ، والكفر الصريح الذي لا تقبله العقول مثل القول بالحلول وتفضيل الولي بزعمهم على الرسول ، وظلمات بعضها فوق بعض ، وضلالات تزلزل منها الأرض ، فحينئذ علمت صدق كلام الإمام بكفرهم ومن انتسب إليهم علما يقينا بلا ارتياب ، كيف لا وقد خالفوا السنة والكتاب . وعلمت أن التسامح في حقهم فيما مضى مني قبيح ، وأن الميل إليهم وقع مني بغير تحقيق ولا تصحيح وبعد أن تحقق ضلالهم يجب الإظهار للتوبة والإصحاح والتبري من المتصوفة آناء الليل وأطراف النهار . هذا مع أن الله يعلم أنني لم أسمع منهم هذه المقاولات الشيعة إلى الآن ، إلا ما سمعته من الإمام من قولهم بتفضيل الولي على الرسول وإلا ما سمعته من كلام " إسماعيل المقري " صاحب الإرشاد في قصيدته التي ذم فيها المتصوفة وبعد حكايته لمقاتلتهم فيها قال :

استغفر الله من ذكرى مقاتلتهم

فالحَر يلفح من يلدنو من الذهب

هذا ولولا الإمام لبقينا على تلك الغفلة ، حتى والعياذ بالله تنقضي المهلة ، وبدا لنا من الله ما لم يكن في حساب ووضع الميزان والكتاب ، ووقعت المناقشة من رب

الأرباب، اللهم زد إمامنا من التوفيق ، وبلغه أمله من الخير، فهو له حقيق ، وأطل عمره حتى يعود الإسلام كالصدر الأول ، ويطل مارسه أمراء الظلم ويتحول .
 هذا ما كتب بقدر الإمكان ، من مملوك الوداد والإحسان "عبد الله بن قاسم" ، جاد عليه الله بالغفران ، يُعرض على الحضرة الإمامية فإن جاء مطابقاً فيبركات المقام المقدس وإن قصر فهو على الركة والفتور مؤسس) .
 وقبره في قبة في القرية التي فوق بلد «عجربة» من جانب القبلة بجهة «حجة» قريب حصن «مبين» من جهة الشرق من بلاد «الجبر» .
 ولقد تعصب الإمام "شرف الدين" على الصوفية إلى حد التكفير وقسا عليهم إلى حد القتل والحبس لمجرد عقيدة فيما بينهم وبين الله بدون منازعة لهم في ملكه ولا في مذهبه ولهم تأويلات واصطلاحات والله أعلم بهم وكانت العصور الوسطى تنازع في العقيدة الآن صارت حرية العقيدة مضمونة وقد سمح الإسلام ببقاء الكفار والمعتقدين على ما هم عليه (لا إكراه في الدين) . كما قسا الإمام "عبد الله بن حمزة" على المطرفية الزيدية القائلين بإمامته .

أنباء ٩٨١ هـ

(تسعمائة وواحد وثمانين)

في سنة ٩٨١ هـ (تسعمائة وواحد وثمانين) حصل الاختلاف بين الأمير "علي يحيى بن المطهر" وبين الأمير "محمد بن ناصر الحمزي الجوفي" أحد خاصة "المطهر" بسعاية الأمير "محمد بن شمس الدين" وكان "محمد ناصر الحمزي" على «بلاد الظاهر» فحزبه "علي يحيى" إلى «الزاهر بالجوف» ولم يلبث "الحمزي" أن توجه إلى «الباشا بهرام» فأعطاه سنجقاً وولاه على بلاد «رداع» فخلفه على «الزاهر» السيد "أحمد بن الحسين المؤيدي" صاحب «صعدة» فاستولى على بيوت «الحمزي»

أنباء ٩٨٢ هـ

(تسعمائة وإثنين وثمانين)

وفي سنة ٩٨٢ هـ (تسعمائة إثنين وثمانين) جهّز "علي يحيى" وزير أبيه السيد "علي بن أحمد بن صلاح" بعساكر إلى بلاد «الأهنوم» فلم يتهياً له دخولها وعاد بالفشل . وفيها حدث خلاف بين "علي يحيى" و«اخيه» عبد الله بن المطهر" وكانت الحرب بينهما فقتل فيه "الناصر بن المطهر" ورجع "عبد الله بن المطهر" إلى حصنه «حقل» فاستقر فيه بأهله وأولاده .

وفيات

وفيه مات السلطان "سليم بن سليمان" وخلفه السلطان "مراد الثالث" وفيها عثت
عساكر الباشا بهرام باليمن واشتد فسادهم في السر والعلن ، وثاروا على "بهرام" وكان
المشير لهم "الدفتردار" فاضطر "الباشا" إلى الاستقالة عن ولاية اليمن فأقاله السلطان
وعزله بالباشا "مصطفى" .

"عمر الناشري" وجمعة رجب والرغائب

في سنة ٩٨٢ هـ (تسعمائة واثنين وثمانين) توفي بزييد الفقيه العلامة "سراج الدين
عمر بن عبد الوهاب الناشري الزبيدي الشافعي" وكان عالماً متبحراً وهو صاحب
الجواب المشهور على السؤال عما يعتاده أهل "زييد" وغيرهم من العيد في أول جمعة
من رجب فأجاب بقوله :

وسائل سال عن قوم وعادتهم

عيد الخميس الذي في مبتدا رجب

أسنة هو أو لا ؟ أو ضحوة لنا

وما تتميز هذا اليوم من سبب

فقلت ذا مبتدا الإسلام في يمن

من أجل ذاك نراه بالسرور حُبي

أتى معاذ بأمر الله فيه لنا

بالإتباع إلى منهاج خير نبي

فصار ذلك عيداً عندنا فلنا

نزيده بمزيد الحب في الرتب

ولا نقول بتخصيص الصيام له

ولا صلاة ولا شيء من القرب

نعم لنا فيه تخصيص المحبة إذ

كان النجاة لنا فيه من العطب

فصار إقباله فيه القبول على

قوابل القابلين الأكل عن إرب

ثم الصلاة على المختار ما صلحت

ورقاً وغنت على الأغصان والقُصْبُ

والأك والمحب ما هبت نسيم صبا

فحركت من قلود الأغصن الرطب

قلت قال "البهاء محمد الجندي الشافعي اليمني المؤرخ" بالقرن الثامن الهجري والشيخ "علي بن الحسن الخزرجي الشافعي" المؤرخ بالقرن التاسع والحافظ المحدث "عبد الرحمن الديبع الزبيدي" المؤرخ بالقرن العاشر، أجمع العلماء أن كافة أهل اليمن أسلموا طوعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لما فشا الإسلام باليمن بعث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بعوثة إليه زاد "الديبع" فسار "معاذ" إلى صنعاء ثم الجند وكتب إلى «بني الأسود» فاجتمعوا في أول جمعة من رجب ووعظهم "معاذ" فمن ذلك اليوم ألف الناس مسجد الجند في أول جمعة من رجب يأتونه ويصلون فيه الصلاة المشهورة، قلت لعل مراده صلاة الرغائب ولم يصححها "الحافظ" بل قال في «جامع الأصول» "عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ذكر صلاة الرغائب وهي أول ليلة جمعة من رجب تصلى بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بست تسليمات، كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة «والقدر» ثلاثا «وقل هو الله أحد» اثنتي عشرة مرة، فإذا فرغ من صلاته قال: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم. إلخ ثم قال هذا الحديث ما وجدته في كتاب ولا في إحدى الأمهات الست والحديث مطعون فيه.

الناشريون فقهاء تهامة

قال في القاموس : الناشريون فقهاء تهامة بـ «زبيد» ، هم أكبر بيت في العلم والفقه والصلاح وبهم كان ينتفع في أكثر البلاد ، ينتسبون إلى "ناشر بن تيم بن سملقة" بطن من "عك بن عدنان" وإليه نسب حصن «ناشر» باليمن وحفيده "ناشر" الأصغر نزل أسفل «وادي مور» بتهامة وابتنى القرية المعروفة بالناشرية في أوائل المائة الخامسة للهجرة ، ومنهم القاضي "علي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله الناشري" شاعر الأشراف توفي بـ «تعز» سنة ٧٣٩ هـ (سبعمائة وتسع وثلاثين) وحفيده "أحمد بن أبي بكر بن علي" ، انتهت إليه رئاسة العلم بزييد وأخوه "علي بن أبي بكر" الحاكم بزييد والدهما "أبو بكر" ممن أخذ عنهم "ابن الخياط" حافظ البلاد اليمنية ، توفي بتعز سنة ٧٧٢ هـ (سبعمائة واثنين وسبعين) . إلخ .

قلت ومنهم بالقرن الثاني عشر الفقيه العلامة "إبراهيم بن عبد الرحمن الناشري" صاحب «قرية الغانمية» المتوفي سنة ١١٨٣ هـ ومنهم بالقرن الرابع عشر من ترجمنا لهم بـ «نزهة النظر» .

الناشريون الحسنيون

والسادة الناشريون الحسنيون بصنعاء وبلادها ينسبون إلى السيد "الهادي" الملقب "الناشري بن القاسم بن الهادي بن عز الدين بن القاسم بن فضائل بن محمد بن إبراهيم بن الإمام المظلل بالغمام المطهر بن يحيى" . إلخ ومنهم الأخ العلامة "عبد الكريم بن عبد الخالق بن حسين بن عبد الله بن قاسم بن هاشم بن محمد بن الهادي الناشري" وولده وأولاد أخيه الفاضل "أحمد بن عبد الخالق" وأولاد قريتهم الفاضل "محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد بن قاسم" . . الخ

أبناء ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين)

وفي سنة ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين) وصل الباشا "مصطفى" لولاية اليمن فلما دخل «البقعة بندر زيد» مات ، وكان "بهرام" قد تجهز للسفر إلى الروم فأنثنى عزمه وانضم إليه بعض العسكر الواصلين مع مصطفى فتوى بهم جانبه وأوقع بعسكره الأولين ومزقهم كل ممزق وقتل "الدفتردار" ، ولم يلبث أن وصل الباشا "مراد" لولاية اليمن فدخل صنعاء وتوجه "بهرام" إلى الروم .
وفيهما وقع فناء في اليمن ، مات منه عوالم منهم "رضي الدين" ، و"عبد التواب" ، و"زكريا" أبناء الإمام "شرف الدين" وغيرهم من أولاد "المطهر" وغيرهم .

الوفيات

"المطهر بن محمد الحمزي"

في سنة ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين) توفي بالفناء في «كوكبان» السيد العلامة "المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي" وكان شيخ زمانه في العلوم ، حسن الأخلاق ، صحب الإمام "الحسن بن علي بن داود" وهو شيخه وقبره بعارضة «كوكبان» .

"عبد الله الورد المجلي" و"عبد الله الحوالي"

وفي شوال سنة ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين) توفي بالطاعون في «الظفيري» القاضي العلامة "عبد الله بن أحمد بن محمد الورد المجلي الحجي الظفيري" المعروف بالناصح وكان عالما صالحا فقيها تقيا من مشائخة السيد "عبد الله بن القاسم العلوي" . وبعد يوم توفي تلميذه العلامة "عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن مسعود

الحوالي " من هجرة «الظهرأوين» بحجة .

"إبراهيم بن أحمد الورد"

وفيهما توفي القاضي العلامة "إبراهيم بن حمد بن محمد الورد المجلي الظفيري" ، المعروف بالراغب وهو أخو الناصح المذكور قبله ، وكان عالماً محققاً للنحو والصرف والمعاني والبيان والفقه وأصوله والتفسير وعلم الصوفية من أعيان علماء وقته من الجامعين بين فضيلتي العلم والعمل وموته بالطاعون .

"الحسين بن محمد المسوري"

وفيهما توفي بالطاعون في «ثلا» القاضي العلامة الأديب "الحسين بن محمد بن علي بن محمد بن غانم السوري" ، نسبة إلى «مسور حجة» ، عالم الشيعة ومحبي علوم الشريعة وكان شاعراً وأديباً كبيراً وولّاه العلامتان المجاهد الكبير "سعد الدين" ، والأديب الكبير "علي" ابني "الحسين" ، وحفيده شيخ الإسلام الشهير "أحمد بن سعد الدين بن الحسين" ، والبيت بيت تشيع ومناصرة للأئمة فالحسين ناصر الإمام "شرف الدين" وولده وحفيده ناصرُوا الإمام "القاسم" وأولاده وتراجمهم في الجزء الرابع الذي بعد هذا الجزء .

وكان صاحب الترجمة زاهداً قانعاً لا يطمع في زخرف الدنيا ومع ذلك فإن عيشه عيش الملوك ، وله أشعار كثيرة يرتجلها بقريحة منقادة وفصاحة وهي «إلهيات ونبويات وعلويات» وفي أهل البيت ومدائح ووقائع الإمام "شرف الدين" وبعد وفاة الإمام "شرف الدين" لازم ابنه "المطهر" . ولما زار الإمام إلى «الظفير» بعد تحول الأحوال ، أمره بزيارة ابنه "شمس الدين" إلى «كوكبان» وكتب معه :

جاءكم سلمان يتي فاعرفن يا شمس حقه

ولرجواه فحقق يشر فتلقه

فقال "شمس الدين" : لا أدري بما أكافيه والذي أجده الآن بقشة أداتي بما فيها .
ومن إلهيته قصيدة منها :

يارب هل إلا إليه توجهت أماليه
وياب رحمتك الوسيعة قد حططت رحاليه
وقرعته من تحت أستار الظلام الداجية
بضراعة مشفوعة بدموع عين باكية

حاشا لجودك أن يُخَيَّبَ يا كريم رجائيه
 أو أن أعود وراحتي من فيض برك خاليتيه
 من ذا الذي أدعو فيسمعني ويكشف ما فيه
 عَجْلاً ويغفر لي ذنوباً قد ملأن حباليه
 إلاك يا من لا عليه قط تخفى خالفيتيه
 فإليك وحيدك يا إلهي والذي أوصى بييه
 والدهر قد آسى به آساد بغى ضاربه
 وغدا على أمر البرية كل خب طاغيتيه
 ومخالب السفهاء من مهج الأفاضل داميه
 فتركتهم وقلوبهم يا ذا الجلال كما هييه
 وقصصت بابك ابتغى يارب حسن قرائيه
 وجعلت دلوي في الدلا يأسى لدى ورشائيه
 أصلح إلهي أين كنتُ بحق ذاتك شلتيتيه
 واجعل من التقوى شعاري دائماً ودثاريه
 وافكك بحققك من قيود الموبقات إسماريه
 فبحق ذاتك لا هتكت بزلتي أستتاريه
 وبحق من خمدت به نار الضلال الحاميه
 خير الأنام صفيك الداعي إليك علانيتيه

إلخ

وله أيضاً قصيدة طويلة جداً منها :

إليكم بكم في حبيبكم أتوصل
 إذا عجز عني مما به أتوصل
 فهل من يد أو نظرة تُحضرني
 بها نحوكم كيما أقول لتفعلوا

أعوذ بكم من ليل هجر ذيوله
على صبحكم من عمر لقمان أطول
ووليت وجهي في الهوى شطر ييتكم
ويت بمسعى كعبه الحب أرمل
ولما تجلى لي صباح تعلقي
بكم ونأى ليل من الشك اليل
صعدت منار العاشقين ولم أرل
عليه إلى دين الغرام أحيل
فإن كنت من اهل المحبة آخرأ
فلي حالة تقضي بأني أول
فإن ترحموا مثلي فمن شأن مثلكم
وإن بك إهمال فمثلي يهمل
بفقري بإخلاصي بذلي بفاقتي
إليكم وهذا ما به أتعلل
أقبلوا أنيلوا أسمعوا أجلدوا
صلوا أعيلوا أفيدوا طولوا وتطولوا
ألم تعلموا أنني فريد هوكم
وإني عن قوم سواكم لا ميل
عصيت عليكم من لام فيكم
وقد كثرت حولي وشاة وعُذْل
ولم تلهني عنكم بلاد وأسرة
وأهل وجيران ومال ومترل
ولاعاق قلبي من نشاء عن نزوعه
إليكم غضيض الطرف أدعج أكل

ثم بعد عشرين بيتا انتقل إلى مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال :

محمد الهادي البشير ومن على
مكائنه عند الإله المعوول
محمد الداعي إلى الله والذي
نصلي عليه ثم ندعو فيقبل
ني زكي لا يوفيه بارع
مدائح له إلا الكتاب المتزل
ني هدى ما زال مذلح نوره
به الدين يعلو والظلاله تُسفل

به جاءت البشرية على السِّن غدت
 بها عنهم الأخبار في الأرض تنقل
 ألم تر سيفنا كان بشر جلد (١)
 وفصل ما قد كان تبع يجهل
 وما قاله فيه بحيرا وقد رأى
 الغمام له دون الرفاق يظلل
 وما صح من قول ابن نوفل إذ رأى
 محياه من نور الهدى يتهلل
 وما جاءت التوراة من نعمته بما
 يقهر عنه جاحد ومعتل
 وما شهدت إنجيل عيسى له بما
 إذا طن في سمع المعابد يخجل

ومنها :

وأهدت لنا الشفقا بمولده شفا
 به رحم الدين الحسيني يوصل
 وسل آل سغد كيف سغد رضاعه
 أما اخصبوا بالمصطفى حين أمحلوا
 وقابلهم وجه من اليمن باسم
 أراح عليهم ذودهم وهي حقل
 وشق عليه صدره لي زال من
 بواطنه عاب القلوب ويُفسل

إلى ان قال :

وإن امــــرا تمت عناية ربه
 به فهو دون العالمين المفضل

ومنها :

يقيم بلا مال تظل لخوفه
 بأهل الدنى أرجاؤها تزلزل

(١) المراد بالسيف : سيف "بن ذي يزن" ، والمراد بالجد "عبد المطلب"

وفي كل قطر اظهر الله آية
له وهو في حصن الكلاءة يكفل
بتغوير ماء من بحيرة سلاوة
إلى أن غدت في جوفها النار تشعل
وكاصدع من إيوان كسرى ولم يكن
به خلل من قبلها يُتَخَيَّل
دعا قومه والشرك في كل بقعة
وشيطاته في كل قطر مسجل
فلما تولوا ناكسين واعرضوا
ومالوا عن الحق المبين وميَّلا
تحداهم بالمعجز الباهر الذي
يلين له قسراً خطيب ومقول
كلام إله العالمين وحبله المتين
الذي منه الشفاء المعجل
فأفحمهم فاستيأسوا من نزاعه
وقالوا اساطير مضت وتمحلوا
على العلم منهم أن أعلاء مُورق
وأسفله مُغفلودق إذ تطلقوا
فعادوا سراعا يوفضون ضلالة
إلى اللات والعزى ولم يتمهلوا
وحسين أبوا إلا لزوم ضلالهم
وقالوا به من وقالوا مخيل
ففارقهم في هجرة طفقت بها
مساكنهم من خوفها تتقلقل

إلى أن قال بعد نحو خمسين بيتاً :
ومن لي بأن أي على بعض فضله
فتلك التي لم يسقطها محصل
وأي يعدّ الشهب أو يحصر الحصا
قصير لعمري في علاه المطول
هو المقصد الأسنى هو النعمة التي
بها الكل من آمننا تحصل
ألا يارسول الله ياخير من طوت
به البعيد فتلاء الزراع واقبلُ

مدحتك لا أبغي لذاك إجارة
 من العاجل النائي به أتمول
 ولكنتي في قيد ذنب يحل من
 عراي القوي اني بذاك مكبل
 ومن كنت ياخير الأنام شفيعه
 إلى الله قل لي رده كيف يجمل
 إذا لم تقم بي يوم ينكشف الغطا
 فلست على حي سواك أعول
 يمر بيالى وقت نشر صحيفتي
 فيقتلني هول هنالك أهول
 وأذكر منك الجاه والرحمة التي
 تعم جميع العالمين وتشمل
 فتتحل عني عقلة الكربة التي
 بها لم أزل في مضجعي أنمل
 إذا الله حاشا الله رد وسيلتي
 بكم فاهلني من ذا به أتوسل
 وكن لي وللأخوان ياخير مرسل
 إليه تُشد اليعملات وتعمل
 عماداً وركناً كلما لحظت لن
 مهلة عين الحوادث تحجل
 وأهل ولاء من ذؤابة هاشم
 حبونني برفع القدر فيكم وجللوا
 وأولوا ووالوا كل عارفة بها
 أقاموا قناتي بعد ميل وعدلوا
 ولاتنس فضلاً والدي فلاني
 على والدي العاجزين لأوجل
 وأهلي التي مازال خوفُ إلها
 لأجفاتها بالسهر في الليل يكحل
 فخذ بيدي ياخيرَ صنِ كريمة
 وقل معنا دار المقامة تدخل
 وصلى عليك الله ما ظل بارع
 يحبر وشي المدح فيك ويعمل
 وألك من أعصى الولي عن الوفا
 لهم بالثناء بالحق في الذكر مجمل

وصحبك من أرضوك حيا وميتا
وماتوا وهم في ذاك لم يتبطلوا
وهنا مقام أنت فيه مؤمل
جليل لعمري أن يفور المؤمن

وهي عدة مئات أولاً ، تصوف إلهي مخلص ، ثم سيرة نبوية تستحق شرحه ، فهي
من تراث اليمن البديع .

له قصيدة علوية طويلة أورد منها أبو الرجال في «مطلع البدور» نحو خمسين بيتا
أولها :

اشهد علي إذا أتيت المشعرا
ووردت بيت الله من أم القـرى
ونزلت في ضيف الكريم ملبيا
ومسبحا ومهللا ومكبـرا
ووردت جمعا والجموع كأنها
بحر طما والعيس تنفخ في الثرى
إلى أن قال :

بل يشهد الثقلان مهما يعموا
لقضاء رب العالمين المحشرا
إني أفضل بعد خير الرسل
مولانا الوصي أبا الأئمة حيلرا

إلى أن قال :

من نفس خير الخلق فيمما قاله
رب السما يا من درى ما قد قرا
ومن الذي حُصرت عليه بانما
أي الولاية مفخر لن يحصرا
من ذاك ركن راكم ما يا من له
عقل يؤم به الطريق النيرا
من ذاك يسقي في القيامة كل من
ولاه من هذا الأنام الكوثررا

أم من دحا الباب الذي عجزت
 ليوث الحرب عنه حين أموا خيبرا
 من قال فيه نبينا يا من وعى
 ما قاله : هذا أخي دون الورى
 أم من فدها بليلة أمسى بها
 جبريل يكلؤه إلى أن أسفرا
 من قال منزلة بها من قبله
 هارون أورد عن أخيه وأصلدا
 من كان نجل المصطفى من صلبه
 إما جهلت فسل شبير وشبرا
 من كان باب مدينة العلم الذي
 من لم يفز بدخوله لن يظفرا
 من زوج الزهراء في ملاء السما
 هل قد علمت بمثل ذلك مفخرا
 من ذاك بلغ عن رسول الله يوم
 الحج ممثلا براءة بالبرا
 ولمن يوم "غد يرخم" شد من
 عقد الولاية في ولايته العرى
 من منذ نشأ لسوى الذي رفع السما
 ودحا البسيطة خده ماعفرا
 من جرع الأعداء في بدر وقد
 حمى الوطيس هناك موتا أحمر
 من ذاك للأصنام حطمها على
 كشف النى علاه ثمة كسرا
 من كان مختبئا مع خير الورى
 للجنب في سن الطفولة في حرا
 من قال لو كُشِفَ الغطا ما اردت معرفة
 على ما في مواجهمتي أرى

إلى أن قال :

هذي مآثره التي لسواه من
 أهل البسيطة عن يد لن تؤثر
 ولتلك عندي قطرة من مطرة
 من ذا يعد القطر مهما استعبرا
 دعني وتفضيلي وكن متيقنا
 إني حلبت من الأدلة أشطرا

هو ما سمعت فكن مقرا أو فكن
للشمس في راد الظهيرة منكرا
فتولنا أو ولنا منك القفا
مستكرا مستكبرا متحيرا
وانظر بفكرك إن أردت خلاف ما
أمليت في أي قولينا هرا
لولا مكابرة العقول لما جرى
بعد النبی مع علي ما جرى
دعني ومعتقدي وته في حيث لا
متقدما تلقى ولا متأخرا
وارفض وارفضني إذا لم تدرك أن
الصيد كل الصيد في جوف الفرا
نفسى الفداء لآحمد ووصيه
وابنيهما أهل القراءة والقري
ثم الأنوف عن الدنيا والأولى
يلقى منازلهم بهم أسد الشرى
من كل من هجم الظلام عليهم
طردوا عن الأماق طارقة الكرا
وتعاهدوا الذكر المبين بلهجة
لو لاقت الصخر الأصم تفجرا
يارب وفقني لحفظ حقوقهم
واجعل مودتهم لديني مظهرا
يسر بحقوقهم مسالكى التي
ترك الزمان يسيرها متعسرا
وانظر إلي بعين رحمتك التي
يُمسى بها ذنبى العظيم مكفرا
أنا سائل ولقد قطعت بأن من
سأل الكريم نواله لن ينهرا
واقبل شفاعتهم لعبد لم يزل
متعلقا بولائهم مستهترا
فلهم لديك مكانة يُطْفئ بها
وهج الجحيم إذا الجحيم تسعرا
يارب هذا موردى في حبهم
يارب فاقض بفضل عفوك مصدرا

واقل عشاري في جرا يرى التي
 أسلفت واحرسني لكي لا أعشرا
 واجعل بحقك عيش من والاهم
 يارب في الدارين عيشا أخضرا
 هذا الذي أبديه من خببر ودع
 مني وراء الستر ذاك المخبر
 لا زال قلبي أهلاً بولائهم
 أبدا وقلبك يا عدوي مقفرا
 هذا وصل على نببيك من ألى
 أعلى مكان دون عرشك قد سرى
 وعلى جميع الآل من أنزلتهم
 منها خصصت به عبادك في الذرى

وله جواب على السؤال عن نظم قداح الميسر في الجاهلية فنظمها ارتجالاً وقد سأله
 الفقيه "علي بن قاسم السعيد الشرفي" :

سألتني وفقت يا علي
 معتقدا أنني بها ملي
 سألتني نظم قداح الميسر
 فهاكه برجز مبسر
 الفقد والتوأم والرقيب
 والحلس والنافس يا أديب
 ومسبل يتبعه المعلى
 سبعتها بها سهام تملى
 ويعلها ثلاثة متروكة
 وأهلها عصابة مفروكة
 ليس لها من الجنود حصّة
 سوى احتمال منّة وغصّة
 وهى منيع وسفيع وغد
 نروح في جنبتها وتغلو
 فهاكها وفقت إلى الصواب
 مسامحاً في ركة الجواب
 وهكذا يكون حال المترجل
 ومن بناه ربه على عجل

وقبره ب «ثلا» في «جربة صلاح العريجي» غربي المصلّى ، ومات ابنه العلامة الأديب "يحيى بن الحسين" عقيب موت أبيه ودُفِنَ أيضاً ب «ثلا» ، اما ولداه الآخران "سعد الدين" و "علي" فقد عاشا طويلاً كما سيأتي .

أنباء ٩٨٤ هـ (تسعمائة وأربع وثمانين)

وفي سنة ٩٨٤ هـ (تسعمائة وأربع وثمانين) استقر "مراد باشا" في صنعاء وقتل جماعة ممن أثار الفتنة "على "بهرام" مثل "داني سنجق" و "علي كشك" ونحوهما وشرع في بناء قبة «المرادية» ومنارتها بالقصر وقيل فيها :

قبة الباشا مراد لقبت بالعدلية
وبناها أرخوه مستقر الحنفية

٩٨٤

وقيل أنه كان قد أجرى الماء إليها وإلى القصر من عين الباشا التي في أسفل جبل «نقم» وكانت لا تزال آثار السواقي منها إلى القصر ظاهرة في القرن الرابع عشر .

أنباء ٩٨٥ هـ

(تسعمائة وخمس وثمانين)

قتل أمير تعز

فيها قُتل عامل «تعز» وهو الشيخ "علي" ، كان أميراً كبيراً ، لبث في إمارة تعز كثيراً وعظم شأنه ، حتى أن "مراداً" لم يتمكن من عزله وسبب قتله أن "جعفر أغا" نافسه على إمارته وكان "جعفر" يتولى بعض أعمال لواء «تعز» كيفرس وما إليه ، فعاملَ على قتل الشيخ "علي" رجلاً من أهل حراز كان من جملة عسكره ووعد به مال وكان الشيخ "علي" يركب كثيراً إلى بستان «الشجرة» فخرج على عادته في موكبه إلى «الشجرة» فكمّن ذلك العسكري على الطريق فلما رجع رماه فأصابه وهو راكب فأرخی عنان جواده وضربه بالركاب ضربة شديدة لشدة ألم الرمية فمر به الجواد إلى طريق الميدان ثم ألقاه عن ظهره فظن الحاضرون أن سببه التردّي عن ظهر الحصان حتى نظروا موضع الرصاصة . وأما الرامي فقصد "جعفر أغا" فاخبره فأنكر عليه وقبضه وسجنه وثارَت الفتنة بين العسكر فأظهر أحدهم مرسومًا زوره يقضى بأن "الباشا مراد" هو الأمر بقتل

الشيخ "علي" فسكنت الفتنة وقبض "جعفر أغا" جميع ما خلفه الشيخ "علي" وتوجه به إلى الباشا "مراد" وظن أن الباشا وغيره لم يفتنوا لمؤامرتة وكان في نفسه إمارة «تعز» فتغافل عنه الباشا حتى تمكن منه ثم قتله ، وهكذا الدنيا تلعب بأهلها .

الوفيات

"أحمد بن عبد الله الوزير"

في ربيع الأول سنة ٩٨٥ هـ (تسعمائة وخمس وثمانين) توفي بصعدة وقبر جوار قبر الإمام الهادي السيد الإمام الحجة العلامة النسابة "أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن الوزير العفيف محمد بن معضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين" عن ٦٤ سنة من مولده ليلة الأحد ٢١ ذى القعدة سنة ٩٢١ هـ من مشائخه "نسر بن أحمد الطربي" ، وصلاح بن الإمام عز الدين بن الحسن " ، و"محمد بن عبد الله التركي" ، و"شرف الدين بن محمد الحميري" ، و"عبد الله بن الإمام شرف الدين" ، و"عبد الله بن القاسم العلوي" ، و"المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي" ، و"محمد بن أبي بكر الحرازي" ، و"صالح بن الصديق النمازي" ، و"يحيى بن محمد بن حميد" ، و"إبراهيم بن محمد بن سلامة" ، وكان الغرة الشاذخة في عصره والثمرة الباذخة في أبناء عصره ، وكان موزعا لأوقاته في الطاعات ومن مؤلفاته «شرح أرجوزه النمازي» في نسب الامام "شرف الدين" وهو مفيد ، ومنها «الأحاديث المستحسنة من المقاصد الحسنة في الأحاديث الدائرة على الألسنة» أخذه من كتاب الحافظ السخاوي وله «تاريخ أجداده» (١) من "الوزير محمد العفيف" إلى زمنه ، وشعره ونثره رائعان

ومن ترجمته بالمستطاب لـ "يحيى بن الحسين بن القاسم" : أنه إمام أهل الطريقة ويعسوب أهل الحقيقة ، جمع بين العلم والعمل ، وفي سنة ٩٨٤ هـ (تسعمائة وأربع وثمانين) سافر للحج والزيارة والمجاورة فتعرض لما منعه عن المجاورة فرجع إلى صعدة ووقف بها للتدريس ولازمه الإمام عبد الله بن الحسن المؤيدي أبو علامة وكان يتمنى أن يقبر بجوار الإمام الهادي فتمت أمنيته . وسأله تلميذه الإمام "عبد الله بن علي المؤيدي" عن سبب عدم قيام أحد من آل الوزير بالإمامة العظمى مع كثرة أعلامهم فأجاب : أنهم عرفوا عظمة تحملها فزهدوا عنها . وفي ترجمته بمطلع البدور رسالته البليغة بعد عودته من الحج إلى شيخه "عبد الله

(١) تحت الطبع . . تحقيق : "زيد بن علي الوزير"

بن الإمام شرف الدين " وجواب عبد الله بن الإمام البليغ عليه وهما طويلان .

تباعد "آل الوزير" عن الإمارة

كتب السيد الإمام " محمد بن إبراهيم الوزير " إلى أخيه الأكبر الإمام " الهادي بن إبراهيم " لما اتصل بالإمام " صلاح الدين محمد بن علي بن محمد " المتوفى سنة ٧٩٣ قصيدة شهيرة منها :

ياسـبـط إـبراهيم لا تنس ما
كان عليه في التحلى أبوك
فإن أباك لو شأهـدوا
بعض الذي تفـعله أتبـوك
مالك لا تسلك نهجـا وقد
سن لنا فـيه أبوك السلوك
وأهـلنا من قبلنا طالمـا
عاشوا وهم فيه لحرب سلوك
فاتـهـض إلى أوطانهم شاخصـا
وارمك بها ما إن أردت الرمـوك
فوقفة في مسجـد ساعـة
خيراً لنا من مُلك ملك الملوك
هذا وإن كنت امراً عاشقـا
للملك لا تجـدي لديك الصـوك
وإنما تنفع من قلبه
لا يعتـريه في الملوك الشـوك
واعلم بأن العـز في الزهـد
والفضل وأهل الملك جمـعاً هـلوك
فابعـد عن الملك وأربابه
وإن هـم يومـاً له أهـلوك
ولا تطعمهم ياشقـيقـي ولو
وليـتهم في أمرهم أو ولوك
ولا تـضع يـاسـيدي حـلـة
وحلية قد صاغها أولوك
لا تنظرن يومـاً إلى قـائل
وانظر إلى ما قاله ناصـحوك
وعاصـمهم إن كنت ذا هـمـه
لهم وطاوعهم إذا ناصـحوك

فأجاب السيد "الهادي" على أخيه "محمد" :
 فارق بني الدنيا وإن أكرموك
 وارفض بني الملك وإن قـربوك
 يوما إذا ما أنت أرضيتهم
 ملوا وإن أسخطتهم عاتبوك
 ومثل خط فوق ماء إذا
 عاتبتهم والويل إن عاتبوك
 لهم عليك الحق تيهها سوى
 أغنتهم في الأمر أو أعتبوك
 إن قطعوا عنك عطاياهم
 أو أقطعوا أملاكهم عنذك
 وإن هم أعلوك في رتبة
 فلنما في هوة ككبوك
 ولا يغـرنك إن نوبوك
 فلنما في ما أرى ينبوك
 فابعد عن القوم فلو جنتهم
 طفلا وخالطتهم شيبوك
 ولا تحمل لهم راية
 في الحرب لو أنهم حاربوك
 فلنما تحمل في مثلها
 أم بها المختار غزوة تبوك
 فـارغب عن الملك وأريابه
 وإن هم في شأنه رغبوك
 واقنع من الدنيا بمرقوعة
 لو أنها مصنوعة من مسوك
 وكل حلالاً طيباً واتلم
 شكراً وكن للعرـمـن يـلوك
 وجالس الزهاد وانهض إلى العباد
 واقصدهم وإن جاتبوك
 فإن بعض الفضـلا كان في
 جزيرة يعبد رب الملوك
 وكان لا يأكل في عـمـره
 المحمود إلا من لحوم السموك
 وليست الدنيا بمحمودة
 هيئات ما فيها لنا من سلوك

والزهد فيها ثوب عز لمن
يلبسسه جوّده من يحسوك
لكنه عز فتى لا بس
لذلك الثوب الشريف المحسوك
وقد أتى يا ولدي منك لي
نظم هو الدر الذي في السلوك
كأنه الشمس ولكنها
طالعة ما إن لها من دلوك
هو اليقين الحق ما خالطت
قلبي فيما قلت فيه الشكوك
ما أوضح النهج الذي قلت له
وأوضح المسلك لا فُض فوك
واعلم بأني يا ابن ودي على
النهج الذي نوره سابقكوك
وكل حال غير هذا وإن
قليل به لا يرتضيه أخوك
ولست بالراضي لها حجة
أحسن منها رفضها والتروك
تلك التي من وصف أصحابها
حماسة الروم وكبر الثروك

ومع تجنبهم للإمارة فلا يخلو الزمان من علامة مجتهد أو أكثر منهم منذ المائة السادسة إلى عصرنا ، وكذلك مثلهم السادة الكباسية تجنبوا الإمارة مع كثرة الإعلام منهم في كل عصر ، ولما وصل إلى اليمن الوالي الداهية "حسين حلمي باشا" سنة ١٣١٦ هـ ونظر إلى رئيس العلماء السيد "أحمد بن محمد الكبسي" والسيد العلامة "الحسين بن علي غمضان الكبسي" ناظر الأوقاف والسيد العلامة "زيد بن أحمد الكبسي" ناظر الوصايا وما هم عليه من الصور الرصينة الجميلة والهيئة الحسنة والعلم الغزير والوجاهة فسألهم عن سبب عدم قيام واحد من الكباسية بالإمامة فأجابوا بمحبة أسلافهم الخمول .

الإمام "الناصر الحسن بن علي بن داود المؤيدي"

دعوته ٩٨٦هـ

أسره ٩٩٣هـ وفاته بالروم ١٠٢٤هـ

هو الإمام الاعظم الناصر للدين "الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين"، نشأ بوطنه «صعدة» وبلادها وأخذ عن الفقيه «صلاح بن يحيى قيس» والسيد «الهادي بن أحمد الوشلي» و«ابن علان» وغيرهم وحقق النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصولين والفقه والحديث والتفسير وله رسائل تدل على بلاغته وممن أخذ عنه ولازمه الإمام «القاسم بن محمد» وغيره .

وكان أسره في سنة ٩٩٣ هـ (تسعمائة وثلاث وتسعين) وأما موته فكان في سنة ١٠٢٤ هـ بالروم .

ذكره السيد داود بن الهادي المؤيدي في تتمته للبسامة فقال :

والقائم الناصر الداعي العباد إلى

نهج الرشاد عظيم القدر والحظر

سعى لنصرة دين الله معتصماً

بعمرة الله سعيًا غير محتقر

وكان ما كان من أخبار سيرته

فكن لبيباً ولا تسأل عن الخبر

وقال السيد "عبد الله بن علي الوزير" في تتمته للبسامة مشيراً إلى أسر الوزير

"حسن" له وإرساله إلى السلطان "مراد" إلى الروم :

ومكنت حسناً ما رام من حسن

من بعد حرب شليد الحر مستعر

واستفحل الترك إذ لم يبق في يده

من البلاد سوى الأهنوم أو عنذر

فقال منه مراد ما يريد على

يلدي منان ووافى الروم في رمـ

وله سيرة خاصة في مجلد جمعها خاصته الفقيه "أحمد بن شايح بن محمد الدعامي اللوزي" وجمع في مجلد أيضاً جوابات الإمام على رسائل وسؤالات .

وكانت دعوته في نصف رمضان سنة ٩٨٦ هـ (تسعمائة وست وثمانين) بأسفل جبل "الأهنوم" وبإيعاء علماء وفضلاء وقته وانتشر صيته ومجده ونفذت أوامره في اليمن إلا

صنعاء ففيها الترك ووجه القاضي "أحمد بن صالح الدواري الصعدي" والسيد "محمد الأخفش" رسالتين إلى أولاد "المطهر بن شرف الدين" وإلى آل شرف الدين عموماً وإلى سائر الجهات فأجاب "علي يحيى بن المطهر" و"محمد بن شمس الدين" بعدم الطاعة وكانت أول حرب بين أصحاب الإمام وأصحاب "علي يحيى" في «جرف خمر» وكانت الدائرة على أصحاب "علي يحيى" ثم تقدم الإمام إلى «سيران الأهنوم» وجهاز إلى «السودة وظليمة» ففتحها .

وفيها ظهر رجل في «بلاد آس» يدعى أنه منصور حمير فتبعه الناس وعظم أمره وطرده عامل الأتراك فمازال الباشا يبذل المال حتى تم له القبض عليه وإيصاله إليه إلى «تعز» فقتله وسلخ جلده .

مخالفة "أحمد بن الحسين المؤيدي"

للإمام "الحسن" ثم طاعته له

كانت دعوة الإمام "الحسن" بعد خروجه من «صعدة» مغاضباً للسيد "أحمد بن الحسين المؤيدي" ومنكراً عليه سيرته مع ما بينهما من القرابة ثم تقدم الإمام إلى «جبل ذري الأهنوم» وفي سنة ٩٨٧ هـ (تسعمائة وسبع وثمانين) نهض السيد "أحمد بن حسين المؤيدي" من «صعدة» إلى مدينة «عيان» في خمسمائة فارس وألقي رجل وكتب إلى "علي يحيى" و"لطف الله" ابني "المطهر" و"محمد بن شمس الدين" في الاجتماع على حرب الإمام فجهز كل واحد منهم عسكره إلى الصيّد فأرسل الإمام جنده فانهزم عسكر "لطف الله" و"محمد بن شمس الدين" وثبتت يد الإمام على بلاد الظاهر وجهاز لمحاربة "أحمد بن الحسين" بخيوان وقدم عسكراً إلى «صعدة» ودخل في طاعته السيد "محمد بن أحمد بن الحسين المؤيدي" مخالفاً لأبيه ، ودخل أصحاب الإمام «صعدة» واستولوا على خزائن "أحمد بن الحسين" فكتب إلى الإمام وبذل الطاعة للإمام ووصل إليه معتذراً فقرره على بعض جهته .

طاعة أكثر أولاد المطهر للإمام

وفي سنة ٩٨٧ هـ (تسعمائة وسبع وثمانين) وقعت المراسلة بين الإمام و"علي يحيى" حتى انتظم أمرهما وسلم "علي يحيى" إلى الإمام «حصن السودة» وقرره الإمام على بقية حصونه وبلاده ، وكذلك السيد "الحسن بن الإمام شرف الدين" صاحب «حصن كحلان تاج الدين» ، وكذلك السيد "رضي الدين بن الإمام" صاحب «حصن جرع» وقرره الإمام على ماتحت أيديهم وقنع منهم بالموالاة والطاعة ، وأما "لطف

الله بن المطهر" صاحب «حصن ذي مرمر» فكانت الحرب بين أصحابه وأصحاب الإمام وكانت الدائرة على أصحاب "لطف الله" وأسّر أميرهم وثلاثون رجلاً ، وخلال ذلك وصل "عبد الرحمن بن المطهر" إلى «ثلاً» فأمره أخوه "علي يحيى" بالتوجه إلى الإمام فوصل إليه وبايعه وترك ماتحت يده وجهزه الإمام إلى «بلاد خيوان» ، وجهز الإمام الشيخ "يحيى العذري" إلى «بلاد الشرف» فاستفتحتها ووصل إلى الإمام "عبد الله بن المطهر" صاحب «حصن حقل» فبايع الإمام وتعهد وقرره الإمام على ما تحت يده .

وبعد أن تم للإمام تمهيد البلاد الصعدية جهز جنده إلى «بني سليمان» و«ذيان» من بلاد «أرحب» فقصدهم عسكر الأتراك من صنعاء ووقعت حرب وجهز الإمام جنداً إلى «عيال سريح» فخرج إليهم "سنان باشا" من صنعاء فاستولى عليهم وضرب أعناقهم ووصل السيد "أحمد بن الحسين المؤيدي" إلى الإمام إلى «الروس» من «الأهنوم» فجدد البيعة وأمره الإمام بالتقدم إلى «ثلاً» فاعتذر ورجع إلى الشام وكاتب أولاد المطهر وأشرف «الجوف» يحرضهم على حرب الإمام ، وظفر الإمام بكتاب من الأمير "عبد الله بن المطهر" إلى الأتراك بأنه سيأتيهم بالإمام أسيراً فقبض عليه الإمام وسجن "عبد الله" مدة ثم أطلقه وقبض منه حصن «حقل» فكان ذلك عذراً لأولاد المطهر في الخروج على الإمام .

أبناء ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين)

انتقاض الحمزات والمؤيدي

وغيرهما على الإمام

في سنة ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين) انفتحت الحرب على الإمام ورمته الحمزات بقوس واحدة واستولى "أحمد بن الحسين المؤيدي" على «صعدة» وسجن السيد "علي بن عبد الله الغرباني" من أصحاب الإمام ثم قتله وتقدم الإمام إلى «ظليمة» وكانت الحروب في بلاد السودة وبني صريم وغيرهما وسار الإمام إلى «وادي أخرف» و«وادي عصمات» بجهات «السودة» .

إنفصال "الباشا مراد" عن اليمن

ووصول الوزير "حسن باشا"

في سنة ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين) وصل لولاية اليمن الوزير "حسن باشا" وتجهز الباشا "مراد" للسفر إلى الروم وكان أعدل من تولى من الأتراك ولم يفتح حرباً

على أشرف اليمن .

وقال إني استحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أحارب ذريته وأزال كثيراً من رسوم الجور التي وضعها من تقدمه ومنها بقاء الجند في بيوت أهل صنعاء غضباً وله ترجمة جميلة في كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» وأن له جامعاً بمصر وجامعاً بصنعاء وأجرى إليه غيلاً من جبل «نقم» وانقطع في أيام «الوزير حسن» وظهر في زمانه سنة ٩٨٦ هـ (تسعمائة وست وثمانين) الإمام «الحسن بن علي» وذكر وفاة الباشا «مراد» سنة ١٠٢٠ هـ .

وفي سنة ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين) وصل سيل عظيم إلى صنعاء وأخرب دوراً كثيرة في «سائلة صنعاء» وشاهدوه من «حصن ثلاً» .

الوفيات

"محمد بن علي الضمدي"

قال في الطبقات والجامع الوجيز في سنة ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين) توفي القاضي العلامة "محمد بن علي بن عمر الضمدي النهامي" وكان علامة كبيراً قرأ على الإمام "شرف الدين" وشيخ الإسلام "محمد بن يحيى بهران" وهو الذي طلب منه نظم : «الجد في الجد والحرمان في الكسل»
إلخ كما سبق ذكر ذلك .

ورحل إلى مكة واستجاز من الشيخ "أحمد بن علي الهيثمي" سنة ٩٦٦ هـ (تسعمائة وست وستين) وله شعر حسن منه قصيدة تزيد على ثمانين بيتاً منها :

إن لم يكن حب آل المصطفى شغلي

فلا بلغت بسعي غاية الأمل

منحتهم صافي الود الذي شملت

به شواهد أحوالي على ولي

قوم محبتهم فرض وقد جعلت

أجر الجني فقم بالفرض وامتل

وسادة قوموا ما كان من أود

في الدين بألبـيض والهتية الذبل

أنتى عليهم إله العرش مكرمة

في الذكر دعني ودع ما جاء من قبلي

وكان الإمام شرف الدين يعتمد على التصرف في بيت المال لذوي الاستحقاق .

أنباء ٩٨٩ هـ (تسعمائة وتسع وثمانين)

الاضطراب فيما بين الإمام وآل شرف الدين والمؤيدي

في محرم سنة ٩٨٩ هـ (تسعمائة وتسع وثمانين) تسلم " محمد بن شمس الدين " حصن «السودة» من أصحاب الإمام الحسن لما قل عليهم الطعام فخرجوا منه ولحقوا الإمام ورجع " محمد بن شمس الدين " إلى «كوكبان» بعد لبثه سنة في جهة «السودة» وتعقب ذلك الصلح بين الإمام و" علي يحيى " في بلاد «شظب» وأجمع أولاد "المظهر" و" أحمد بن الحسين المؤيدي " على قصد الإمام إلى «جميمة ظليمة» فلم يظفروا بمرادهم وانتهى الحال إلى الصلح على أن يكون للإمام بلاد «ظليمة» وانتقل الإمام إلى «هجرة الروس بالأه نوم» وفتح باب التدريس في العلوم وجمع كثيراً من الكتب النفائس وقرر أحوال أصحابه وبذل الوسع في تأليف القلوب . وفيها قدم "الباشا حسن" وزيره " الكيخيا سنان " إلى بلاد «ريمة» و«وصاب» فاستفتحهما وقبض على ما بأيدي أهلها من السلاح وقرر فيها العمال ورجع صنعاء وفيها قُتل الأمير " سنان " الذي كان يتولى أعمال صنعاء في أيام "الباشا مراد" بسبب شكايها منه أيام ولايته .

أنباء ٩٩٠ هـ (تسعمائة وتسعين)

فيها تقدم " الكيخيا سنان " إلى «حصن ظفار» وقبض السيد الفاضل " محمد بن علي " من بيت الناصر بعد أن حاصره مدة وأودعه الوزير " حسن " الدار الحمراء بقصر صنعاء حتى مات في شعبان سنة ٩٩٠ هـ (تسعمائة وتسعين) وفيها هدم سنان سور مدينة عمران . وفيها حصلت الموالاة من " محمد بن شمس الدين " للأتراك وكان أولاده من جملة أمراء الوزير " حسن باشا " . وفيها كانت الحرب بين الأتراك و" علي يحيى " انهزم فيها عسكر " علي يحيى " . ثم تقدم " سنان " إلى «حصن مدع» وترك بعض عسكره في «قاع حوشان» وحاصر «مدع» تسعة أشهر حتى هلك أكثر من فيه .

الوفيات

" يحيى حميد " صاحب الفتح

في رجب سنة ٩٩٠ هـ (تسعمائة وتسعين) توفي بصنعاء الفقيه العلامة المحقق " يحيى بن محمد بن الحسن بن حميد بن مسعود بن عبد الله المقرئ الحارثي المذحجي الزيدي " عن ٨٢ سنة . قرأ على " محمد أحمد مرغم " و" محمد بن يحيى بهران " و" محمد بن أبي بكر

الشافعي" ورحل إلى مكة ولقى "ابن حجر الهيتمي" وسأله بمسائل وكان يسكن السر من أعمال صنعاء وفي ترجمته «بالمستطاب» أنه أحد العلماء الأعلام تعجز عن وصفه الأقلام ، أخذ عن الإمام "شرف الدين" وكان له به الاختصاص الكلي وهو صاحب المؤلفات النافعة منها : «شرح الأثمار» المسمى «بالوالب المغزار» مجلدان ضخمان فيهما من التحقيق والمناقشة بالقواعد مالم يوجد في غيرهما ومنها تعليق عليهما سماه «فتح الأزرار» و«فتح الغفار» و«الشموس والأقمار» و«المصباح الرائض» و«شرحه النور الفائض في علم الفرائض» و«التلخيص» شرح على مقدمة الأزهار و«توضيح المسائل الفعلية والمذاهب الفقهية في أصول العدلية» و«مشاكل الزيدية» في مجلد و«التنقيح في جمل من مسائل أصول الدين» و«نزهة الأقطار في ذكر بعض مؤلفات الزيدية» وبعض طرقيهم . وقال صاحب «مطلع البدور» إنه نشأ يتيماً في حجر أبي أمه الفقيه عبد الله بن مطهر وهو مؤلف «شرح الفتح» الكتاب المشهور .

أنباء سنة ٩٩١ هـ (تسعمائة وواحد وتسعين)

فيها دخل الأمير "عبد الله بن المطهر" من كوكبان إلى صنعاء ، فبعثه الوزير "حسن" من جملة أفرانه ، ولما طالت الحرب على "علي يحيى بن المطهر" كتب إلى الأمير "محمد بن شمس الدين" أن يسعى بالصلح بينه وبين الباشا فأصلح بينهما على أن "علي يحيى" يطلق حصن «مدع» ويلاذه إلى الباشا ويكون حصن «بكر» وبلاد «بني الخياط» ونصف بلاد «لاعة» لـ "محمد بن شمس الدين" ولم يذكر "علي يحيى" أخاه "لطف الله" في الصلح فتوجهت عساكر الباشا لمناجزه "لطف الله" في «ذي مرمر» واشتد الحصار عليه ثمانية أشهر حتى ضاق به الحال وهلك أكثر من كان عنده بالأمم حتى قيل إن جملة من هلك في حصن «ذي مرمر» ثلاثة آلاف إنسان وقل عليهم الطعام حتى أكل بعضهم السباع والكلاب ولم يبق من العسكر إلا قدر ثلاثين رجلاً فسعى "محمد بن شمس الدين" بالصلح على تسليم «ذي مرمر» وخروج "لطف الله" إلى «كوكبان» وخروج الباشا إليه للاجتماع ، ولما اجتمعا عقد الباشا له لواءً وجعله أميراً ودخل الباشا حصن «ذي مرمر» ومعه "محمد بن شمس الدين" و"لطف الله" ثم رجعا إلى «كوكبان» وتقدم «الكيخيا سنان» لمحاربة "أحمد بن الحسين المؤيدي" بصعدة ومع «الكيخيا» أشرف الجوف و"عبد الله بن المطهر" في عسكر كثير حتى وصلوا إلى «بركة مداعس» فالتقاهم "أحمد بن الحسين المؤيدي" وعمه "المهدي بن عز الدين" وأولادهم فوقفوا في سرقة آل عمار وكان "المؤيدي" قد شحنتها وحصنها فلم يتهياً للكيخيا وعساكره المرور من طريقها فتقدم "عبد الله بن المطهر" بطائفة إلى موضع العجلة فتوجه "المؤيدي" ببعض عساكره ووقعت الحرب فقتل "المؤيدي" وابن عمه وثمانون رجلاً من أصحابه والتجأ أولاده وعمه "المهدي" إلى «حصن أم ليلي» في جماعة واستعدوا للمحاصرة فيها وكانت مستقرهم ومجتمع أموالهم .

وخرج "محمد بن أحمد بن الحسين المؤيدي" في جماعة من أصحاب أبيه إلى الإمام "الحسن بن علي" وبعضهم سار إلى الأتراك .

أنباء ٩٩٢ هـ (تسعمائة وإثنين وتسعين)

فيها استولى "الكخيخا سنان" على جميع بلاد صعدة ثم تقدم لحصار «حصن أم ليلي» أياما حتى خرج من فيها واستولى عليها "سنان" وقبض ما فيها من الأموال .
وفيها قدم "لطف الله بن المطهر" من «بلاد الشرف» إلى صنعاء فأكرمه الوزير "حسن" وعظمه وأرجعه .

وفيها نقض الوزير الصلح بينه وبين "علي يحيى بن المطهر" لغير سبب وكان "علي يحيى" في «الرَّغِيل» وأخوه "إبراهيم بن المطهر" وولده أ"حمد بن علي يحيى" في «ثلا» فوجه "الوزير حسن" عساكره إلى بلاد «مسور المتاب» فكتب "علي يحيى" إلى الإمام «الحسن» يستمد منه الإعانة وجعل للإمام «جبل مسور» فأرسل الإمام "الحسن" السيد "أمير الدين بن عبد الله" في جماعة من أهل «مسور» فمال عسكر الباشا إلى المخادعة وأرسلوا السيد "محمد بن الهادي بن المطهر" وبذلوا له مالا جزيلا فأخرج السيد "أمير الدين" وأصحابه إلى «شرس» منهزمين ودخل أصحاب الباشا إلى «مسور»

وفي هذه الأيام اشتد الحصار على «ثلا» وواجه أهل «حضور» الشيخ للأتراك ونهض "الكخيخا سنان" من «صعدة» إلى «الأهنوم» لمحاربة الإمام فارتفع الإمام من «قرية الهجر» إلى «القدوم بالأهنوم» وواجه أهل بلاد «عذر» لك "كخيخا سنان" .

الوفيات

قتل "عبد الرحمن بن مطهر"

في رجب سنة ٩٩٢ هـ (تسعمائة وإثنين وتسعين) قُتِلَ غيلةً في «الحوضين» من بلاد «حجة» الأمير "عبد الرحمن بن المطهر" وقيل إن القاتل له ابنه "عبد الرحيم" ثم ظهر أن القاتل أحد عبيده فقتله ، وبعد مدة جعل الباشا لـ "عبد الرحيم" ولاية «حجة» فاستمر فيها حتى أسره "جعفر باشا" وأرسله إلى السلطنة فقتل بها كما سيأتي في الجزء الذي بعد هذا .

"محمد بن شمس الدين"

في السادس من رمضان سنة ٩٩٢ هـ (تسعمائة وإثنين وتسعين) مات في «كوكبان» الأمير "محمد بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين" وكان مرضه الاستسقاء وطال مرضه .
وقال صاحب المواهب السنية : إنه بهجة الأولين وزينة الآخرين ومن مآثره «عارضة كوكبان» ذات الروح والريحان والزهور المتنوعة الأفنان وعمر بها مسجدا وبركة وهي مطلّة على مدينة

«شباب» .

ثم لما صارت هذه العارضة بعد انقراض أهلها إلى يد السيد ' يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد' بناها وأشادها . وبعد وفاة 'محمد بن شمس' قام بالإمارة بعده ابنه ' أحمد بن محمد' .

أبناء ٩٩٣ هـ

(تسعمائة وثلاث وتسعين)

في محرم غزا ' الكيخيا سنان' إلى محل الإمام 'الحسن' بالأه نوم فرده بعض أصحاب الإمام إلى بلاد «عذر» .

وفيها مال إلى موالة الإمام 'الأمير غوث الدين بن المطهر' صاحب «حصن عفار» لوحشة حصلت بينه وبين الأتراك فوجه 'الباشا حسن' الأمراء والأجناد وسار 'الكيخيا سنان' لتشديد الحصار على «عفار» قبض الأتراك على الأمير 'محمد بن الهادي بن المطهر' من حصن «مسور المتتاب» وأرسلوه تحت الحفظ إلى صنعاء فسجنه 'الوزير حسن' بالدار الحمراء ووصل 'علي يحيى' فأكرمه الوزير وسار إلى «ثلا» فاستقبله الأمير 'إبراهيم بن المطهر' والأمير 'أحمد بن علي يحيى' ورجع 'سنان' إلى «الأه نوم» يتعقب الإمام ويخذل الناس عنه واستولى على بلاد «ظليمة» وانتقلت محطته إلى «سيران» . وأرسل القاضي 'شرف الدين بن إدريس العيزري' أخاه 'صلاح' لاستقبال الأتراك فأكرموه وأرسلوا معه بكسوة لأخيه 'شرف الدين' وتبعه الناس في استقبال الأتراك وتقدمت محطتهم إلى «نجد بني حمزة» فلبثوا ثلاثة أيام لتقرير قواعد الصلح بينهم وبين أهل «شهادة» على يد القاضي 'شرف الدين' ثم تقدم 'سنان' وتقدم 'علي باشا' بطائفة من الأتراك إلى الهجرة وتقدم 'الأمير بن المطهر' إلى شرقي القدوم وأحاطوا بالقدم ، إحاطة السوار بالمعصم ، وبلغت جنودهم نحو ثلاثين ألفا .

وكانت الحرب بينهم وبين أصحاب الإمام وضاق الحال بالإمام فدار الكلام بينه وبين 'سنان' على خروج الإمام ومن معه بأمان ، وأن يكون سكونه بصنعاء فأمر الإمام السيد 'إبراهيم بن المهدي' بالخروج إلى 'سنان' لأخذ العهد منه وبعده خرج الإمام إلى يد 'سنان' في رمضان سنة ٩٩٣ هـ (تسعمائة وثلاث وتسعين) فسار به سنان إلى حصن عفار وأمره أن يكتب إلى غوث الدين بتسليم حصن عفار فاعتذر الإمام فلم يقبل سنان عذره فكتب الإمام بعد البسملة: أردنا وأراد الله ويأبى الله إلا ما يريد وطوى الكتاب وبعد وصول الإمام مع سنان إلى صنعاء أودعه السجن ومعه القاضي 'محمد بن يحيى سلامة' والشيخ 'وهان بن صلاح بن وهان العذري' ونقض 'سنان' العهود .

أنباء ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين)

أسر آل المطهر واحتلال بلادهم

في سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) اعتزم الأتراك مطاردة آل المطهر والقضاء على إماراتهم واحتلال بلادهم ونفيهم مع الإمام "الحسن بن علي" إلى دار السلطنة تحت الحفظ وتوحيد اليمن تحت راية الدولة التركية وكان أعظم ما أعان الأتراك على ذلك اختلاف أمراء وسادات اليمن وقد نقض "الوزير سنان" وكيخياه "سنان" الصلح مع الأمير "علي يحيى بن المطهر" بدون سبب فوجه الأتراك الأجناد إلى «مسور» لاحتلاله وفيه الأمير "محمد بن الهادي بن المطهر" من لدن عمه "علي يحيى" فاستولوا عليه وطلب الوزير وصول الأمير "لطف الله" من بلاد الشرف فوصل ومعه أخوه "حفظ الله بن المطهر" ووصل "علي يحيى" لزيارة "الوزير الباشا" فاستبقى ثلاثهم وطلب الأمير "غوث الدين بن المطهر" تأمينه على أن يصل ويكون من جملة إخوانه وينقل أهله وأولاده إلى بلاد الشرف فأسرع الباشا إلى إجابته وعند خروجه من حصن «عفار» في خزائنه الواسعة قبض عليه الأتراك وعلى جميع خزائنه وبعثوه معها إلى الباشا .

وفي ربيع الأول سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) أظهر الوزير "حسن" أنه يريد المسير إلى «صعدة» وخرج من صنعاء بعساكره وسناجقه وصحبته أولاد المطهر "لطف الله" ، و"علي يحيى" ، و"حفظ الله" ، و"إبراهيم" ، و"عبد الله" وغيرهم من الرؤساء ، ولما وصل إلى مطرح الرقة أول مطرح من صنعاء شمالا طلب "سنان" إلى خيمته كافة الأمراء والأشراف والمشايخ وأظهر عليهم الأوامر السلطانية بالقبض على أولاد المطهر "لطف الله" و"علي يحيى" و"حفظ الله" ، وإرسالهم إلى السلطنة وأرسل الثلاثة إلى سجن قصر صنعاء .

وتعقب ذلك وصول "غوث الدين" فسجنوه مع أخوته وتوجه "سنان" لقبض حصون "لطف الله" وأخرب «حصن حرام بالشرف» ، وكان من أمنع الحصون وفيه ما يزيد على مئة بركة للماء .

وفي جمادى الأولى رجع "سنان" من بلاد الشرف ومعه أولاد "لطف الله بن المطر" .

المسير بالإمام وأولاد المطهر إلى السلطنة

في شوال سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) توجه "الكيخيا سنان" من صنعاء بالإمام "الحسن" وأولاد المطهر الأربعة "لطف الله" ، و"علي يحيى" ، و"غوث الدين" ، و"حفظ الله" ، والأمير "محمد بن الهادي بن المطهر" والشيخ

" وهان العذرى الحاشدي " إلى «بندر المخا» ، وكان الإمام "القاسم بن محمد" ملازماً للإمام "الحسن" للدراسة وأراد الركوب معه في السفينة إلى السلطنة فمنعه "سنان" وقال (رُوح يا قاسم) لأمر يريده الله وأقلع المركب بهم وقلوبهم مريضة حزينه ودموعهم جارية وأكبادهم تنقطع من الأسف على أهلهم وأولادهم وبلادهم والحيلولة بينهم وبين آمالهم وإبعادهم عن مرابع مجدهم وفخارهم :

يتلفتون مودعين بلادهم واللحظ ماء والديار ضرام

وكان آخر العهد بهم .

وكان أولهم موتاً الأمير "محمد بن الهادي بن المطهر" حيث مات في مصر في الطريق ، ثم مات بالقسطنطينية "غوث الدين" في صفر سنة ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين) عن ٥٣ سنة ثم مات محبوساً بذى قُلة في رجب سنة ٩٩٩ هـ (تسعمائة وتسع وتسعين) "حفظ الله" ومات بذى قلة أيضاً "لطف الله" سنة ١٠١٠ هـ (الف وعشرة) ومات "علي يحيى" بذى قُلة أيضاً سنة ١٠١٧ هـ (الف وسبعة عشرة) ومات الإمام "الحسن بن علي" بذى قلة أيضاً في شوال سنة ١٠٢٤ هـ (الف وأربعة وعشرين) وقد ظهر وقوى تلميذه الإمام "القاسم" وأنزل بالأتراك في عموم اليمن هزائم فادحة .

قال الشهيد "أحمد بن أحمد المطاوع في نبذته التاريخية عن صاحب «روح الروح» : وقد كان للسلطان مندوحة عن حبسهم في بلاد قاصية بعد نفيتهم وإرهاقهم وانتزاع أموالهم ثم علق السيد الشهيد المطاع بقوله : (ولما لاقوه من سلطان آل عثمان فلا عذر لنا إذا لم نسجل ذلك له في صفحة السيئات وسجل الهنات ونمقت هذه القسوة التي دمرت الشرق وقضت على مجد الإسلام وزايلت تعاليم الدين ورشده وقد قدموا جميعاً إلى الله الملك الحق العدل المبين ليحكم بينهم على مثقال الذرة في الحياة الخالدة) .

وقد نقد صاحب «روح الروح» "عيسى بن لطف الله بن المطهر" الموالي للأتراك والمؤرخ لهم وفند رأي الوزير "حسن" ومن حسن رأيه واستدل على خطئه بما حدث من دعوة الإمام القاسم ونهوضه في المقاطعات التي كانت تحت أيدي آل المطهر المنفيين ولم يقيم في وجه الإمام "القاسم" أحد منهم ولو كانوا في بلادهم لما نجحت دعوة الإمام "القاسم" ذلك النجاح الباهر بعد أن اشتد ظلم الأتراك باليمن وجُرد اليمن من جميع السلاح حتى السلاح الأبيض ولم يبقوا في كل قرية إلا سكاكين للذبائح وأول سلاح للإمام "القاسم" وأصحابه سبع عشرة بندقية سلبوها من الأتراك في أول هجوم عليهم .

وقلت في «تحفة المسترشدين» في ذكر الإمام "الحسن بن علي بن داود" :
 ثم الإمام الناصر البر الحسن
 حفيد داود وذو الفعل الحسن
 دعوته في رمضان بالهجر
 في عام ظفط فطى كل الغير
 ٩٨٤

ومهد الشام وما والاها
 وقد علا من العلى أعلاها
 وأسرته في شهر رمضان
 مؤمناً على يدى سنان
 في ثالث التسمين بعد التبع
 من جبل الأهنوم يا مستوعى
 وسجنوه في أزال علما
 وما رعوا عهداً ولا فملاً
 ثم نفوه نحو أرض الروم
 وباله من قلم مظلوم
 وقد رووا وفاته في كنف
 ١٠٢٤

في رومهم وراء بحر مزبد
 ثم بعد إقلاع المركب بهم من «المخا» في طريقهم إلى السلطنة رجع "سنان" إلى
 بلاد «الحجرية» فاستفتحها ودوخها وقبض سلاح أهلها . وجهز الوزير "حسن" الأمير
 "علياً الجزائري" إلى بلاد «ريمة» فاستفتح حصونها وقرر أمورها .

قيام الإمام "عبد الله المؤيدي" (أبو علامة)

مولده ٩٣٥ هـ دعوته ٩٩٤ هـ

وفاته ١٠١٧ هـ

هو الإمام المتوكل "عبد الله بن علي بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن
 الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن يحيى" المعروف
 بأبي علامة ، مولده كان في رمضان سنة ٩٣٥ هـ (تسعمائة وخمس وثلاثين) وأخذ
 العلم بصعدة وبلادها ، ثم بعد استيلاء الأتراك على صعدة هاجر بأهله إلى الإمام
 "الحسن بن علي" إلى الأهنوم ، ثم بعد أسر الإمام رجع إلى وطنه ، ثم إلى «صيبا»
 ثم جهات عسير ثم عاد ودعا بجهات «صعدة» بعد نفي الإمام "الحسن" إلى السلطنة

في ربيع الأول سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) ولم يقع لدعوته أثر ولما كانت دعوة الإمام "القاسم" سنة ١٠٠٦ هـ (الف وستة) وفتح «شهارة» واستقراره بها قصده إلى «شهارة» متبعاً له فأكرمه الإمام "القاسم" وجعل له ولاية على بلد «خولان» صعدة وبعد مدة حصل إختلاف بين ولده السيد "محمد بن عبد الله" وبين بعض أصحاب الإمام "القاسم" ، فمال السيد "عبد الله بن علي" وابنه "محمد" إلى موالاة الأتراك ولبث السيد "عبد الله" في «يسنم» وعاد إلى «محلة العشة» وندم على مخالفته للإمام القاسم ومات في ذي الحجة سنة ١٠١٧ هـ (الف وسبعة عشر) ، وقد جعله ولده "محمد" في كتابه «التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية» المجدد للمئة العاشرة وأطال الثناء عليه وابنه السيد "محمد بن عبد الله" هو صاحب «المشجر في الأنساب المشهورة» وكتابه «التحفة العنبرية» في مجلد ضخّم شرح لقصيدة له أولها :

يا طالباً للنجا في القول والعمل

ولسلامة من ريغ ومن ذل

أزّم طريقة أهل البيت متبعاً

بني البتول وخير الأوصياء علي

وهي طويلة ، بدأ بالإمام "زيد بن علي" وختم بوالده وبالإمام "القاسم" وتوجد لدينا النسخة الوحيدة من الكتاب التي نسخت سنة ١٠٦٨ هـ (الف وثمانية وستين) بخط "ناصر بن محمد سريع" . وقال السيد عبد الله الوزير في تتمته للبسامة :
ولم تشيع علامات الفضائل في

أبي علامة ذي الأوراد في السحر

وقلت في تحفة المسترشدين :

وقام في ذهبان بالشئام

في ظفد والخلق كالنيام

٩٨٤

أعني المكنى بأبي علامة

وكان أهلاً قليل للإمامة

ثم تحقّ للإمام القاسم

وكان ما كان من الملاحم

وموته في غيبه بقللة

١٠١٧

قال ابنه وكان فخر الكلمة

أنباء ٩٩٥ هـ (تسعمائة وخمس وتسعين)

استفتاح الأتراك لشهارة

في سنة ٩٩٥ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) استفتح الأتراك «شهارة» بالسيف وقتلوا من أهلها عدة وتردى بعضهم من الشواهد ، أخذوا أولاً «شهارة الأمير» ثم «شهارة الفيش» وهما من المعازل اليمنية الشهيرة بمناعتها وقال صاحب أنباء الزمن كان استفتاح الأتراك لشهارة في سنة ٩٩٥ هـ (تسعمائة وخمس وتسعين) على يد " السيد عبد الله الغرباني " ونالت أهلها معرة شديدة وعمر الأتراك فيها «الناصر» و«سعدان» وأصلحوا طريقها وقبضوا على مشايخ «الأهنوم» وأرسلوهم تحت الحفظ إلى صنعاء وتوطد نفوذ الأتراك في اليمن

أنباء ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين)

وفي سنة ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين) توجه " الكيخيا سنان " بالأمراء والكبراء العرب والأتراك إلى بلاد «يافع» ووصل من جهة السلطان " مراد بن سليم مصطفى أغا " بتشريفات ومراسم ، وبخبر وصول الإمام " الحسن بن علي " وأولاد المطهر إلى السلطنة

كتاب " لطف الله بن المطهر " إلى أهله

وصل في رمضان سنة ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين) كتاب طويل من الأمير " لطف الله بن المطهر " من الأستانة إلى أهله ، فيه الشوق والحنين إلى الأهل والأوطان وذكر أحوالهم بالسلطنة ، منه :

(أسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يمن علي بحفظ سيدتي ومالكة أزمة قيادي " ست اليمن بنت الصديق " حفظها الله وأهدي إليها سلاماً ألد من استرواح نسيم الصبا ، وأشهى من مغازلة الغزلان ذوات الصبوة والصبا ، والله المسئول بحق لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفرج علينا وعليكم كل غمة وأن يجعل لنا ولكم سرعة الاجتماع ويهيئ لنا جميعاً من فضله وكرمه ما نرجوه من حسن التلاق وقطع دابر الفراق ، إنه ولي كل فضل ونعمة .

ثم لا يخفاكم شغفي بكم وولهي بحبيكم فقد نحل جسمي ورق جلدي وعظمي ، فيا لله ويا للرسول من ألم البعاد ولا أرجو من الله غير الاجتماع والتلمي بقربكم وغير

المغفرة وحسن الخاتمة إن شاء الله تعالى فذلك الغرض المطلوب والحاجة التي في نفس يعقوب .

الا هل أنما أنسى الليل هائم
تَصَاعُدُ أنفاسي كحَرِّ السَّمائم
وَأَنْ شِعَارِي ذَكَرَهَا وَحَدِيثُهَا
وَذَاكَ لِقَلْبِي كَالرَّقِي وَالتَّمَامِ
وَمَا كُلُّ صَبٍّ يَهْجُرُ النَّوْمَ طَرْفَةً
وَلَا كُلُّ صَبٍّ قَلْبُهُ قَلْبَ هَائِمٍ
وَلَا كُلُّ مَشْتَاكِ يَهِيمٍ وَوَجْدِهِ
إِلَى أَلْفِهِ ذَكَرَى الْهَوَى الْمَتَقَادِمِ
لَا نَمْتُ عَنْ وَجْدِي خَلِيَا فَمُنِي
وَعَيْشُكَ مِنْ فَرْطِ الْهَوَى غَيْرِ نَائِمِ

والرجاء من خالقي ألا يخيب رجائي فيه ، وأسأله جل وعز أن يعاملني بما هو أهله ولا يعاملني بما أنا أهله ، ولا يؤاخذني بما فرطت من الذنوب ، وما تدنست به من درن العيوب ومساوئ العيوب ، إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة ، والله العالم لو تشاهدون حالي وتجدد الشغف لي في كل وقت وأوان وبكل ساعة ومكان لا لذَّ لكم الطعام ولا ساغ لكم الشراب ، ولكن حسن ظني بخالقي يكفيني

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ أَنَّهُ
لَهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ

يفرج عني ما قد ضاق به صدري وعيل معه صبري وقلَّتْ حيلتي وضعفت قوتسي وأسأل من هو كاشف كل ضر وبليّة ، وعالم كل سر وخفية ، أرحم الراحمين أن يفرج عني ما أنا فيه ، وأن يمن بلمّ شملي "بست اليمن بنت الصديق" حفظها الله ، وحرصها بعينة التي لا تنام وكنفه الذي لا يرام هي ومن تحوطه شفقتها ، آمين اللهم آمين .

ولا يخفى عليكم أنها قد تقدمت إليكم كتب من «بندر السويس» قريب مصر بعد وصولنا إليه وأرسلناها إليكم بصحبة شريف من بيت الفقيه يسمى "الشريف عبد القادر" نرجو من الله وقوفكم عليها .

ولما وصلنا إلى حضرة السلطان الأعظم والخاقان المكرم أصلح الله له وبه أحوال

المسلمين رجح بقاءنا في الحبس وجعل لنا من الكفاية قدر خمسة ذهب في الشهر، وكان وصولنا وكل شيء أقرب إلى الرخص ، ولما ضعف الدرهم وبالع الناس في ضعفه وقصّته ارتفعت الأشياء فلاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، ولما توفي الصنو "غوٲ الدين" رحمه الله رحمة الأبرار ووقاه عذاب النار سعى بعض أهل الخير ممن هو مغترب من أهل اليمن إلى "الوزير" في تقرير الموضوع للصنو "غوٲ الدين" للباقيين في الحبس لكل نفر حرف حتى يصير كل شهر لكل نفس ستة حروف ونحن في خير من فضل الله سبحانه وتعالى فوق مانستهقه له الحمد والمن في كل حال ، مالنا مكدر إلا فراقكم .

ثم لما وصلنا إلى الحضرة المباركة عالجننا فيمن يحمل لنا كتاباً إليكم فيه تحقيق وصولنا فلم يتأت ذلك إلى شهر شعبان ووجدنا واحداً من أهل اليمن من «ذي سفال» وصل مع الخزانة التي وصلت من صاحب السعادة ووعدنا بحمل الكتب إليكم وشرطنا له فضلكم إن أوصل الكتب إليكم جميعاً . والكتبُ واحدٌ إليكم وهو الغرض المقصود وإلى الوالدة حفظها الله واحد . وإلى الولد "إسماعيل" مستقل وإلى الولد "الهادي" كذلك وإلى الأولاد جميعهم كتاب ، وإلى بيت الشيخ "سراج" كتاب وإلى بيت "الرماني" كتاب ، وإلى "نصرة" كتاب ، فإن وصلت هذه الكتب جميعها إن شاء الله وفيتهم له بما شرطنا له وإن أخر منها شيئاً فماله شيء والذي حققنا لكم في الكتب المباركة هو كيفية وصولنا إلى حضرة السلطان الأعظم وترجيحه وقوفنا في الحبس خلصنا الله تعالى منه إن شاء الله وحققنا لكم وفاة "محمد بن الهادي" في مصر و"علي مولد" رحمهما الله ، والصنو "غوٲ الدين" توفي رحمه الله في «استانبول» بعد وصولنا بسنة حسبما عرفناكم وكان ألمه من قبل البطن من الحرارة المعتادة معه ثم ضعف في معدته ومن الأسباب عدم تأتي من يقوم بحاله في أمر القوت على ما يجب . ولا شك أن الخير فيما اختاره الله سبحانه وتعالى ونحن سائر الأخوة طيبون الحال ، ناعمون البال ، منتظرون الفرج من الله وهو قريب إن شاء الله تعالى :

توقع صنع ربك سوف يأتي

بما نهواه من فرج قريب

ولا تياس إذا ما ناب خطب

فكم في الغيب من فرج قريب

ربما تكره النفوس من الأمر

له فرجة كحل العقال

وأيضاً عرفناكم أن "أحمد سليم" و"مبارك" عبد الصنو "علي" هربوا بعد وصولنا بمدة و"يسر عبد الصنو غوٲ الدين" هرب من مصر ، ووصل إلينا الفقيه "محمد

الثلاثي " ووقف هنا مدة عاملاً فيها من الأذية والخيانة بما يكافيه الله سبحانه ثم حمل من أداتنا ما حمل ودراهم وعزم إلى غير سلامة الله ، لا قابله الله بخير ، وفي هذه الأيام التقينا بفقيهه من «رداع» يسمى الفقيه "أحمد بن أبي حميش" أصله حضرمي ، صار منافعاً لنا وهو الذي سعى في مصير دراهم حي "الصنو غوث الدين" للجماعة جزاه الله خيراً والله يشبه إن شاء الله ويوفقنا جميعاً إلى مايرضيه .

فقد عرفتم أن من صار مثلنا أن الناس يرغبون عنه ولا يحبونه ووجود أهل الخير في أهل هذا الزمان كما علمتم ، فأطلب من الله ومنكم شرح أحوالكم الخاصة والعامة وأحوال الأولاد بسلامتكم جميعاً وهل هم محتكمون لكم وبارون بكم ومستمرون على الطاعة والقراءة أو قد صارت أحوالهم أحوال أهل الزمان والعياذ بالله تعالى .

وحققوا لي هل أنتم باقون في صنعاء أو في غيرها ومن قد تزوج من الأولاد والبنات أطلع الله منكم كل سار ، ورفع عن الجميع كل مكروه وضار ، بحق محمد المختار ، وآله الطيبين الأبرار .

ثم إنني عرفتكم في الكتاب السابق أنكم ترسلون لي بقميص من قمصانكم أشمه ولعله إن شاء الله تعالى قميص "يوسف" المبشر بالفرج إن شاء الله تعالى واجعلوا فيه مصراً فيه طيب من طيبكم فبالله العظيم أن الريحان المطيب الذي أرسلتم به مع الولد "إسماعيل" حفظه الله إلى القصر حين العزم باق عندي على رباطكم لم يفتح ما يفتحه إلا أنتم إن شاء الله تعالى وأتوسل إلى الله بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحسن الاجتماع ، والأولاد عرفتهم في الكتاب الذي أرسلته صحبة الولد صاحب «ذي السفال» أن يرسلوا لي بكسوة إن سهل عليهم ذلك وتمكنوا وإلا فهم معذورون مشكورون وقليل عود رطب لأنه معدوم غالي ولا يوجد المليح أصلاً ونحن متعجبون من الأولاد لنا هذه المدة ما يرسلون إلينا رسولاً يطلع على أحوالنا ويوصل إليهم خبرنا ويشارف علينا وهذا يدل على عدم همهم وعدم رجالتهم فعندنا محابيس من سلاطين تونس من المغرب كانوا مع النصارى وقبضوا وحبسوا وصار يصل إليهم كتب من أهلهم ورسالات وغير ذلك والمسافة بين بلادهم واستانبول مثل المسافة بين اليمن واستانبول أو أبعد لأن منهم من هو في بلاد النصارى ولكن يقال في أمثال العامة (من غاب عن الناظر غاب عن الخاطر) فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإذا أرسلوا بشيء فلا يرسلون به إلا صحبة ثقة مع الذين يصلون بالخزنة من قبل صاحب السعادة أو مع "الأغا حسن" الذي عزم صحبتنا ، لأنه رجل ثقة أمين إذا عرفتم أنه يعزم إلى حضرة السلطان وإلا أرسلتم بذلك إلى مكة إلى عند السيد "الولي" حفظه الله يرسل به مع أصحاب الشريف الذين صاروا يختلفون إلى حضرة السلطان الاعظم بهدية كل سنة

وبالورق أيضاً وهو يعتني بها فبالله العظيم ما مراد محبيكم إلا الاشتمام والاسترواح بما يأتي من لديكم ولعل ذلك إن شاء الله يطفئ لوعتي ويسكن وهج نار غريتي .

وأيضاً حققوا لي أحوال الوالدة حفظها الله والأولاد والأهل الذين في «محروس كوكبان» وحال أبيكم وأخوتكم وجميع من يتعلق بي وبكم تحقيقاً شافياً ، وأنا أسألكم بالله وبالقرآن العظيم لاوصل إلي كتابكم الجواب إلا بخط يديكم حتى أشتفي به فقد ربما علمتم أن الكتب التي كنتم ترسلون بها إلى القصر كانت مع "علي مولد" ثم إن "الكيخيا" أرسل من يفتشه توهمًا منه في الطريق وقبض الكتب منه ولم يرجعها إلي وما بقي عندي إلا كتاب من الولد "إسماعيل" ألحقت فيه بخطكم صرت أتملى به ، ثم إن حي "علي مولد" رحمه الله تعالى سلم إلي عشرة ذهب ذكر أنكم أرسلتم بها لي وقد كنت عرفتكم أنكم لا تتعبون من جهتي أبداً وأن صاحب السعادة قد أعطانا دراهم وقت العزم ، وذلك محبة مني لا أشق عليكم بحيث إنني راجعت صاحب السعادة بأنني أرسل إليكم بالدرهم الذي تفضل بها وذكر أن ذلك لا يمكن وأنه تعين لكم وللأولاد مواساة ووصل إلينا منه كتاب ونحن في الطريق أنه قد عيّن للأولاد جامكية ومواساة ففضلوا حققوا لي ذلك لأني مشغول الخاطر من جهتكم وجهة الأولاد ومن اشتغالكم بهم وبالمكلف (١) التي تحت أيديكم أعانكم الله على ذلك وعلى طاعة الله تعالى ورضاه ، وبنت الشيخ "سراج" حققوا لي هل هي باقية في بلادكم أو قد تزوجت إلى أي مكان لأنه بلغني أن الفقيه "وجيه الدين" محبته يتأهل بها أو "ابن حميد" ولم أعرف صحة ذلك . وبنت "الرماني" كذلك وهي متحفة بالسلام وكذلك الوالدة "مريم" و"عيشة" وجميع من لديكم متحف بالسلام وجميع أهلكم وأهل البيت وكل من سأل عنا والدعاء مستمد من الجميع إن شاء الله تعالى وذمتهم في حفظ الله وحسن رعايته وحمايته وكلايته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا حافظاً لا ينسى .

ويا من نعمته لا تُحصى ويا من له الأسماء الحسنى ، احفظ هذا الكتاب واحفظ المشار إليه في هذا الكتاب المبارك ومن تحوطه شفقتها وشفقتي بما حفظت به الذكر المبين فإنك قلت في كتابك المبين ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ﴿الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :

ثلاث عصي صففت بعد خاتم

على رأسها مثل السنان المقوم

وميم طميس ابتـر ثم سلم

إلى كل مامول وليس بسلم

(١) المكلف : المرأة

وأربعة مثل الأنامل صُفِّفت
تشير إلى الخيرات من غير معصم
وهاء شقيق ثم واو منكس
كأنبوب حجام وليس بمحجم
فيا حامل الاسم الذي جل ذكره
توق به كل المكاره تسلم
فذلك اسم الله جل جلاله
إلى كل مخلوق فصيح وأعجم

شعرا

غريب قلبه الظامي جريح
كُنَّيب جفنه الدامي قريح
ينوب قطيعة ويموت وجدا
ويحبي بالوصال ويسـتـريح
يهم جوى ويهتم اشتياقا
ونأظره إلى يمن طمـوح
يئن أئين تكلى ذات شـجـو
لها من نارها دمع سفـوح
أسير مطلق الأجفان ناء
عن الأوطان منتزح سفـوح
أجدد في النواحي من نواحي
وكل مفارق غصنا ينوح
يراعي طرفه الساعي سهيلا (١)
أبغـلـو في الدجنة أو يروح
إذا طلع النهار عليه يبكي
وفي الليجور مكتئب طريح
يميل إلى الرياض وكل زهر
ويطرب ذاته دل مليح
ونفمة غادة تشكو لروحـد
لها لحن وإعراب فصيح
وقد بذ قد الغصن لنا
وخـد زاته بدر صـبـيح

(١) سهيل : نجم يمانى

وخصمر ناحل غور رقيق
 وردف شامخ عسل رجيع
 لها عين تغار العين منها
 وميم فم لها فينا جروح
 اذا ابتسمت تخال وميض برق
 سرى في الأفق أنور يلوح
 تزقك كالحمامة شهد فيها
 كان يرقها مسك يفوح
 فلونكها رعلك الله مني
 فإن نظامها السامي فتوح
 وقلنا له ربي كل سوء
 وساعد سعدنا الحظ الصريح
 والولد "محمد الجيني" والفقير "صلاح الدين صلاح بن علي" وجميع من يخصنا
 متحف بالسلام .

كتبه نهار الجمعة التاسع
 من شهر رمضان الكريم سنة ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين)
 الفقير إلى الله "لطف الله بن المطهر" لطف الله به آمين اللهم آمين

قال في الأم هذا لفظ «الكتاب» من "لطف الله بن المطهر بن الإمام شرف الدين"
 كتبه من الروم إلى زوجته بصنعاء .

وقال ابن صاحب «الكتاب» السيد "عيسى بن لطف الله بن المطهر" في كتابه «روح
 الروح» بعد أن ذكر صفة القبض على والده سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) ثم
 ذكر وفاة والده أسيراً «بذي قلة» من البلاد الرومية في صفر سنة ١٠١٠ هـ (الف
 وعشرة) وخلف ولداً على جارية رومية حال رقم هذه الأحرف سنة ١٠٢٩ هـ (الف
 وتسعة وعشرين) وهو حي يرزق واسمه "محمد" لطفه الله بالطفافة الخفية .

وقال الفقيه العارف التقى "محمد بن أحمد العفاري الصنعاني" إنه اجتمع بسيد في
 مدينة بيت الفقيه بتهامة سنة ١٢٧٤ هـ (مائتين وأربع وسبعين والف) وذكر هذا السيد أنه
 من ذرية "لطف الله بن المطهر" وأتهم قد صاروا عدداً كثيراً وتناسلوا هنالك وتملكوا
 بلاداً في أحد بلاد سلطان الروم العثماني .

ومن زوجات الأمير "لطف الله بن المطهر" الفاضلات الشريفة الكاملة "أم الغيث
 بنت علي بن محمد" عمة الامام "القاسم بن محمد بن علي" تزوجها وسكنت معه
 في حصن «ذي مرمر» حتى فارقتها بعد أن أسرت الأتراك فتزوجها بعده السيد المحقق

"إبراهيم بن علي بن الإمام شرف الدين" حتى مات عنها ، وكان الأمراء "آل شرف الدين" يجلبونها غاية الإجلال ، ثم انتقلت في دولة الإمام المؤيد "محمد بن الإمام القاسم" إلى «شهادة» .

وهذا الكتاب وثيقة تاريخية دالة على رقة الكاتب وإنسانيته وإيمانه وعلى قسوة الأتراك وعبرة للمعتبر وزجر للممنزجر عن مثل أفعال المطهر الغاشمة الظالمة فإنها أدركت أولاده وعقبه . ويمتحن الله أهل البيت ويطهرهم وينزههم عن الدنيا في كل زمن لما أعد لهم من الخير في الحياة الأخرى الدائمة التي هي عكس الحياة الدنيا .

أنباء ٩٩٧ هـ (تسعمائة وسبع وتسعين)

سنة ٩٩٧ هـ (تسعمائة وسبع وتسعين) رجع الأمير "علي الجزائري" من بلاد «ريمة» بعد أن قوم اعوجاجها وجبى خراجها وقرر أعمالها فعينه "الوزير حسن باشا" أميراً على بلاد «صعدة» فسار إليها وبقي بها سنة وفيها عقد "الوزير حسن باشا" لولده الأمير "حسين" بولايه «تغز» ومات بها وفي سنة ٩٩٩ رجع "الكيخيا سنان" من بلاد «يافع» بعد أن ذلل سطوتها وأوهن قوتها ودمر معموورها وعمر فيها قلعة الحلقة وأصلح بعض طرقها .

أنباء ٩٩٩ هـ (تسعمائة وتسع وتسعين)

ظهور شجرة التتن : التنبك

في سنة ٩٩٩ هـ (تسعمائة وتسع وتسعين) ظهرت شجرة التتن «التنبك» وأرخ ظهورها بعض الأدباء بقوله :

قائل لي عن الدخان أجبني

هل له في كتابكم إسماء

قلت ما فرط الكتاب بشيء

ثم أرخت (يوم تأتي السماء)

٩٩٩

الوفيات

"شرف الدين العيزري"

في ربيع الأول سنة ٩٩٩ هـ (تسعمائة وتسع وتسعين) توفي بـ«العيازرة» من جبل «سيران الأنوم» القاضي المحقق "شرف الدين بن إدريس بن جابر بن علي بن عواض بن مسعود بن علي بن حسن العيزري" عن ٦٣ سنة من مولده .

ترجمه "يحيى بن الحسين بن القاسم" في «المستطاب» فقال : كان من العلماء الزيدية ، بايع الإمام "الحسن بن علي بن داود" وشايعه وتولى القضاء عن أمره بصعدة وجهات الأهنوم ، وكان يقبض واجباتها للإمام وقبضه الأتراك رهينةً على قبائل الأهنوم قال مؤلف سيرة الإمام "الحسن بن علي" : أنه مات هو وأخوه وأولاده في دون أسبوع فجأةً واعتقد أهل تلك الجهات أن الذي أصابهم من الفتن والمشاق وموت الفجأة عقوبة على عدم الوفاء بحق الإمام الحسن ولعله السبب في أسر الإمام وسبق ذكر ذلك سنة ٩٩٣ هـ (تسعمائة وثلاث وتسعين) إن الأتراك أعطوه كسوة ومالاً ، وقال صاحب «مطلع البدور» في ترجمته : إنه كان إماماً في فروع الفقه ، مدرساً محققاً يراحم المذاكرين ، درس التذكرة أكثر من أربعين مرةً ، وكان صدر البلاد متبوعاً مرجوعاً إليه وكان من أقوى أعضاء الإمام "الحسن بن علي" ، دعا الناس سرا وجهراً وتم به للإسلام نفع كبير وكان الإمام يكتبه مكاتبةً حسنةً ويسميه الوالد ثم إنها جاءت أمور والله أعلم بالحقائق ودخل صنعاء إلى الأروام وخلعوا عليه وكان له أخ يؤثر فيه برأيه ، نسب إليه التهيج لذلك فكان القاضي يدعو عليه والكامن من تلك الأمور ظاهر إلا أن السيد العلامة "محمد بن عبد الله أبو علامة" لما دنت وفاته بصعدة في حدود سنة ١٠٤٧ هـ (الف وسبع وأربعين) ذكر للسيد العلامة "صلاح بن أحمد بن المهدي" ومن حضره حديثاً حاصله أن الأمير "عبد الله المعافي" برأ ساحة القاضي وأن تلك الكائنات مفعولة بيده غيره والله أعلم ، وجده "جابر" كان فاضلاً عالماً ، له خزانة كتب وعمر مساجد «الأهنوم» التي تقدر بثلاثمائة مسجد ، وقبره بـ «العيازره» ويقال إن قبره يطلعه منه النور .

أبناء عام ١٠٠٠ هـ (ألف هجرية)

وفي شعبان سنة ١٠٠٠ (ألف هجرية) رجع (١) إلى صنعاء الأمير "سنان" قافلاً من بلاد "يافع" بعد أن دُلل صعوباتها وأوهن قوتها وعمر فيها قلعة الحلقة وأصلح بعض طرقها فقابله الوزير "حسن" بكل إجلال وإعظام وكرر عليه وعلى من معه من الرؤساء والأمراء الخلع النفيسة والأنعام وزاد في مقررات العسكر وأمر أن يجعل دخولهم صنعاء يوماً عظيماً تزهو به الزينة في المدينة وبعد إخضاع يافع وصعدة وضبط معاقلتهما وحصونهما وترتيب جبل «أم ليلي» الشهير شمال صعدة ، وأسر الإمام "الحسن" وأولاد "المطهر" وغيرهم وإرسالهم إلى السلطنة سكنت الحروب في عموم اليمن وأمنت الأتراك عوادي الخطوب فأساءوا سطوتهم في الرعية .

ظلموا في رعية حسبوها

هملاً فـهي تزُدرى وتـهان

(١) سبق أن ذكر المؤلف رجوعه في عام ٩٩٩ هـ ولعل انفصل عن يافع عام ٩٩٩ هـ ووصل صنعاء عام ١٠٠٠ هـ

فأطل عليهم القرن الحادي عشر بدعوة الإمام الذي بلغت علياء السماء أبي الأئمة الحماية الأمجاد "القاسم بن محمد" سنة ١٠٠٦ هـ (ألف وستة) وسنذكر ذلك في الجزء الرابع من «خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون» وينتهي سنة ١٠٧٥ هـ (ألف وخمسة وسبعين)

ثم الجزء الخامس وينتهي سنة ١١٠٠ هـ (ألف ومائة)
ثم الجزء السادس وينتهي سنة ١١٣٩ هـ (ألف ومائة وتسعة وثلاثين)
ثم الجزء السابع وينتهي سنة ١١٨٠ هـ (ألف ومائة وثمانين)
ثم الجزء الثامن وينتهي سنة ١٢٠٠ هـ (ألف ومائتين)
ثم الجزء التاسع وينتهي سنة ١٢٢٤ هـ (ألف ومائتين وأربعة وعشرين)
ثم الجزء العاشر أوله سنة ١٢٢٥ هـ (ألف ومائتين وخمسة وعشرين) وآخره سنة ١٣٠٠ هـ (ألف وثلاثمائة)

ثم «نزهة النظر في تراجم أعيان القرن الرابع عشر» في أربعة مجلدات ضخمة وقد اشتمل أيضا على الأنباء خلال التراجم .

أما الجزء الثاني من «خلاصة المتون» فمن دعوة الإمام "الهادي يحيى بن الحسين" سنة ٢٨٠ هـ إلى انقراض الدولة الرسولية وقيام الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨ هـ وقبله الجزء الأول من اشراق شمس الإسلام باليمن إلى دعوه الإمام "الهادي" سنة ٢٨٠ هـ

ونختم هذا الجزء بما ختم به نبذته التاريخية السيد الأديب "أحمد بن أحمد المطاع" الشهيد بحجه سنة ١٣٦٧ هـ بقوله : (لقد رحل القرن العاشر واليمن من جراء ما عانت من المتاعب والأحداث تشرب إلى سلام وهدوء ، وتشوق إلى طالع يطلع عليها باليمن والهناء كي تستريح من التعب والمحن التي آلمت بها وقد أمنت الأتراك عوادي الخطوب وكوارث الحروب فأساءوا استعمال سلطاتهم في الرعية فأطل القرن الحادي عشر واليمن من سلطة الأتراك منهوكة القوى تمنى لو ساعدها الحظ ويسرت لها الأقدار التخلص من سوء إدارة الأتراك وظلمهم ودخلت سنة ١٠٠٦ هـ (ألف وست) وفيها ظهرت دعوة الإمام "القاسم" فكانت بداية دور جديد وهو بلا شك أكبر حادث عرفه اليمن نعتبه الدور الثالث من الأدوار المهمة الكبرى التي غيرت سير التاريخ اليمني .

أما الأول : فهو بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإسلام أهل اليمن
والثاني : وصول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام وتأسيسه الدولة العلوية في اليمن .

الثالث : دعوة الإمام المعجد الكبير القاسم بن محمد عليه السلام ولا نبالغ إذا قلنا إنه لم يتسن لأحد من الأئمة ما تسنى للإمام القاسم وأولاده كما سنرى ذلك موضعاً مفصلاً في الصفحات التي ستمر بك .

تعزية وتأبين القاضي العلامة الأديب
"عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي"
بوفاة السيد المؤرخ "محمد بن محمد زيارة"
وتقريضه لكتبه القيمة سنة ١٣٨٠ هـ (ألف وثلاثمائة وثمانين)
نظماً ونثراً

بسم الله الرحمن الرحيم

للقاضي العلامة الشاعر الخطيب "عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي" في آخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٨٠ هـ (ألف وثلاثمائة وثمانين) معزياً بوفاة المؤرخ "زباره" ومقرضاً لكتبه وقد وجدنا النشر والنظم بنصهما بعد تقلبات الزمان في ربع قرن فأثبتناهما غرة في جبهة كتاب «خلاصة المتون» هذا .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه وبعد فإن اليمن إذا استمرت تكتب عن فقيدها السيد العلامة محمد بن محمد زبارة فإنما تتكلم اليمن عن علم من أعلام تطورها ، ولسان من السنة تاريخها ، ومفكر من رواد النهضة والتقدم ومثل للقدوة الصالحة والأخلاق السامية التي يجب أن يتحلى بها رواد البحث وقادات الفكر وحملة أمانة التاريخ فإن التاريخ فرع من الأخلاق وشعبة من التفكير الصادق فعلى خلق المؤرخ يعتمد تدوين الحوادث ومسرحيات الوقائع ومواقف الأعلام الذين لهم الأثر في تكوين التاريخ وتقلبات الشعوب والأمم . ثم إن تاريخ أمة من الأمم أو شعب من الشعوب أو شخصية قوية دفعت عجلة الزمن ودورة الشعب أو العالم لها ارتباط بالتاريخ العام للعالم . فالإنسانية كل أجزاء الشعوب ثم الأفراد فكل مايتصل بالكل له أثر بالجزء وكل تطور يطرأ على الجزء يسري إلى الكل ، وقد كانت اليمن المهد الأول للتيارات الحضارية التي اتسعت حتى شملت العالم وأخرجت حضارة يومنا هذا .

وإن اليمن العريقة في حضارتها لفخورة بماضيها وتاريخها التي أكسبت العالم العلوم والآداب والتقنين والتعمير أصيبت منذ ألفي عام بنكبات فرقت لليمن كلمتها ، وأنضبت معين ثروتها وتفكيرها ، ومزقت وحدتها ، وقاست اليمن من ذلك عتاً في إدارتها الذاتية وفي موجهاتها الروحية وبرغم الزلازل التي قوضت أعلام الحضارة اليمنية وعفت على أطلالها فقد بقيت اليمن محتفظه بعناصر مقوماتها العربية وبملامح شخصيتها الجوهريّة متمسكة بحيثيتها في ضمائر الأجيال بالقصاصين لما في قصصهم من أساطير وحقائق وإلى جانب هؤلاء القصاصين كان يظهر من حين لآخر رواد حقائق من أبناء اليمن يذكرون العواطف ويمدون بها بلمحات من تاريخ ماضي اليمن وبومضات من الذكريات والعبر ، وبشذرات رابطة اليمني في الشمال بأخيه اليمني في الجنوب ، واحتفظت للتفكير اليمني ببذور الوحدة الفكرية والأدبية مما جعل الانتاج الفكري متقارب الصيغة متشابه الموضوع ، غير متأثر كثيراً بالفوارق التي أقامها بين أبناء اليمن

المغيرون والدخلاء والمستغلون ودعمتها السياسة بالمذاهب وإثارة الأوهام الفاصلة القاصمة المشتتة المفركة وأن تلك السياسة لم تنجح في سحق الطابع اليمني ووحدته الأدبية ، ولكنها انتصرت في تحطيم الوحدة السياسية في اليمن بالتفرقة المذهبية والقبلية نجمت عنها مآسٍ من أمرها وأقساها تلك الحروب الأهلية التي امتدت عبر القرون تلتهم بلهيبها آثار اليمن التاريخية من المباني الأثرية الظاهرة ، ومن المخطوطات التاريخية فقد كان هم المتغلب أن يتناول بالتدمير أول مايتناوله هو تدمير كل ما للمغلوب وفي أرضه من آثار تاريخية وكتب تاريخه وبذلك اختفت لليمن ثروة تاريخية لاتقدر بضمن ولم يبق من المخطوطات التاريخية إلا نزر من المؤلفات لم يكن فيها موسوعة حافلة للتاريخ اليمني العام لا من قبل الإسلام ولا من بعده بل هناك تاريخ موزع مبثر في عدد من المخطوطات يدور معظمها في سرد وقائع شخص أو إحداث أسرة بصفة غير قائمة على قاعدة تاريخية ولاعلى سلسلة حوادث متماسكة يمكن للباحث التاريخي من أن يأخذ بطرف خيطه فيتقدم خطوة خطوة إلى نهاية يقف معها ويده نسخة صادقة أو قريبة من الحقيقة للتأريخ اليمني مما يجعل أصداء الحكم التاريخي الذي لامحابة فيه ولاتحيز في تناول فيلسوف التاريخ .

كان على المؤرخ إذا أراد أن يصدر هذا الحكم التاريخي أن يخترق أعماق الماضي وأن يجوب اليمن من أقصاه إلى أقصاه لتفتح له الخزائن في « حضرموت والشحر وتريم وعدن وتعز وزيد وصبيا وصعدة ونجران وصنعاء وثلا وكوكبان» وغيرها من الموطن التي يظن أنها موطن لبقايا ماتركه النهب وأتسته الحروب ليضم ذلك المتجول ماتفرق من تاريخ اليمن وتاريخ أعلامه مايعد مادة أولية لإقامة بنيان تاريخ يمني عام للعصر اليمني الإسلامي .

أما تاريخ ما قبل الإسلام فإلى الآثار الحجرية والبحث عنها ندع المتطلعين في آمالهم يسبحون ، فحسبنا التاريخ لليمن في العهد الإسلامي فهذا هو ما نطلبه اليوم ، ولقد مضت القرون ولم ينهض لجمع هذه المادة أى علم من أبناء اليمن وبينما اليمن تتطلع إلى أبنائها لعل شهما من مثقفيها ينهض بهذا الواجب الوطني وقد طال تطلعها وتلفتها ذات الشمال وذات الجنوب وأنها لفي أحلامها تسبح إذ بالقرن الرابع عشر الهجرى يتمخض عن أحداث جلى وحروب طاحنة أغرقت اليمن في حمامات من دماء تلك الحروب اليمنية التركية التي أشعلها المغير التركي واستمرت قريب نصف قرن عجت التربة اليمنية بدماء المتحاربين وامتدت يد الهدم والخراب إلى الحواضر والبوادي وعم البوار وكسدت التجارة وتحكمت القسوة وتعقدت الشدة فلم يبق للضعيف في الحياة مجال ولم تُبق الظروف إلا ذوي القوة والبأس والصرامة والعزم .

وفي هذه الظروف برز في اليمن أفذاذ من أبطال العلم والتاريخ والقيادة والحرب والحماسة والدراية وفي هذه المدرسة الأخلاقية الصارمة عثرت اليمن على عدة أعلام أبطال برزوا في نواح عدة من نواحي الصراع والحياة والجهاد والإصلاح . ومن طلائعهم السيد العلامة المؤرخ الكبير الشاعر الناصر الأصولي الفروعي الرحالة المتجول " محمد بن زبارة رحمه الله " وفي هذه الشخصية اللمعة القوية الطلعة وجدت اليمن ضالة التاريخ المنشودة وأنشودة الشعب المطربة التي طالما حنت إلى مثلها الآداب وفقه السيرة .

ولقد دعت اليمن إلى معمعة الحروب فلم يتردد من اقتحام لهيئها وخوض عباها في عدة مواقف تقلصت فيها الخصا الى الكلا فكان الفقيد من القواد اليمنيين الذين ساهموا في تقرير المصير اليمني وشاركوا في هزيمة الأتراك وإخماد الفتن كما كان من قادة الفكر والآداب وعلماء من أعلام الشرع والسياسة . تتحدث عنه منتجاته الشعرية والنثرية وهو إلى جانب هذه الجوانب الحية قوة نشرت المؤلفات العلمية اليمنية وأخرجها من مدافنها وبعثها من لحودها إلى عالم الطباعة فشرقت المؤلفات اليمنية وغربت وشرق معها اليمن وغرب مبدداً كثيراً من السحب التي كانت تحجب الحقيقة اليمنية وشخصيتها الفذة .

وإن السيد العلامة " محمد بن محمد زبارة " وهو يقوم بهذه الجهود والذي لا يقوم بواحدتها إلا القليل من الرواد لم يكن يقف عند حدود هذه المواضيع ولا هي أهم مايعنيه ويشغل باله ، لقد كان التفكير المسيطر على أعصابه يدور حول تحقيق ذلك المطلب الذي طالما تطلعت اليمن إليه عبر القرون وتمنت في حُرقة وحرارة أن ترى من أبنائها من يجمع مواد تاريخها الإسلامي ويقدمها كمادة من الخام الذي يبنى منه أحكام التاريخ العام ولكم زهت ولكم تطاولت وهي تضع أملها في يد عالمنا " زبارة " لينطلق في تحقيق هذه الأمنية الشاقة التي كرس لها جل حياته غير واهن ولا مقصّر ولا متردد ولا متلعثم حتى أتى بطليبة اليمن العزيزة ومادة تاريخه العام الخامة أتى بها مهداة إلى شعب اليمن والأمة العربية . وإليك أيها اليمني أينما كنت وإلى ابني وابنك أهدي هذه المادة الغالية في مؤلفاته التي هي اليوم بين يديك ويَدَى كل مؤرخ كثر هو أغلى من كنوز الرأسمالين إنه كثر في أصدافه أباًؤنا وأعلام تاريخنا وصانعو التاريخ اليمني فما على ذي المواهب التاريخية وفلاسفة الزمان والسياسة والاجتماع إلا أن يقفوا على ماخلفه بطل التاريخ " زبارة " ويستخرجوا من كنوزه مواد البناء التاريخي الشامخ ليمتنا السعيدة الشامخة منذ انبثق فجر الاسلام إلى يومنا ، إن بين أيديهم مادة عظيمة فعملها فليشيدوا ذلك الطود الأشم لتاريخ اليمن ويربطوه بتاريخ العالم ليكونوا بذلك مَتممين

لِلرَّسَالَةِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي حَمَلَ مَشْعَلَهَا ابْنُ الْيَمَنِ الْبَارِ "زِيَارَةَ" الَّذِي يُهْدِي الشَّعْبَ الْيَمِينِي إِلَى رُوحِهِ الْخَالِدَةِ بِأَقَاتِ الشَّوَاءِ وَالشُّكْرِ إِنَّ فِيمَا كَتَبَهُ عَنْ أَبْنَاءِ الْيَمَنِ الَّذِينَ تَنْتَظِرُ مِنْهُمْ رُوحَ الْفَقِيدِ أَنْ يَتِمُّوا مَشْرُوعَهُ الْعَظِيمَ وَمَطْلَبَ الْيَمَنِ وَالْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ حَقِّ اللَّهِ الْأَمَالَ وَرَحِمَ الْفَقِيدَ وَأَبْقَى لَنَا إِلَى جَانِبِ ثَرَوَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ نَجْلَهُ الْعَبْقَرِيَّ الْمَحْدَثَ الْحَافِظَ رَئِيسَ الْهَيْئَةِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَلِيَّا السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ "أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ زِيَارَةَ" حَفَظَهُ اللَّهُ وَإِلَى الْفَقِيدِ أَزْفُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَشْفُوعَةٌ بِكَلِمَةٍ شَعْرِيَّةٍ أَهْدِيهَا إِلَى رُوحِهِ .

فَقَدْ كَتَبْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَلَى أَثَرِ مَطَالَعَاتٍ مُتَقَطِّعَةٍ لِمُؤَلَّفَاتِ الْفَقِيدِ وَنَظَّمْتُ الْكَلِمَةَ الشَّعْرِيَّةَ وَأَنَا سَمِيرُ أَحَدِ تِلْكَ الْمُؤَلَّفَاتِ وَهُوَ تَارِيخُ الَّذِي عَلَى دَفْتِهِ وَهَامِشُهُ أَزْفُ إِلَى الْفَقِيدِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الشَّعْرِيَّةُ :

هَنَا الشَّعْبُ مِنْ عَهْدِ التَّبَايَعِ يُنْسَبُ
فَقِفْ لَجَلَالِ دُونِهِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
جَلَالُ سَيَبْقَى خَالِدًا لِمُحَمَّدٍ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّوَاءِ مَنْعَبُ
جَلَالُ عَلَى صَفْحَاتِهِ وَصُدُورِهِ
مُؤَارِدِ آيَاتِ تَنْمِيرٍ وَتُطْرِبُ
أَنَاخَ عَلَى حَافَاتِهَا الشَّعْبُ مَعَلْنَا
هَنَا كَنْزُ تَارِيخِي لِمَنْ يَتَطَلَّبُ
إِلَيْهِ فَأُمُّوْا وَاسْتَمِدُّوْا حَقَائِقًا
إِلَى مَثَلِهَا تَرْجَى الْمَطَى وَتَضْرِبُ
حَقَائِقَ كَالْإِصْبَاحِ يُسْفِرُ وَجْهَهَا
بِأَيَّامِنَا أَنْوَارَهَا تَتَكَهَّرُ
أَبِي هَاهُنَا يَشْدُو وَكُلُّ مُجَاهِدٍ
إِلَيْهِمْ فَأَصْغِ فَالْعَمْرُوبَةُ تَخْطُبُ
شُرَاةَ رَأْيِنَا الدَّهْرُ دَارُ بَأْمَرِهِمْ
وَعَالِبِهِمْ حِينَا فَلَمْ يَتَهَيَّبُوا
مَضُوا قَلَمًا يَجْلُونَ لِلْحَقِّ شَمْسَهُ
وَصَالُوا بِنُورِ الْحَقِّ وَالْحَقُّ أَغْلَبُ
وَلَمْ يَتَّهِمْ عَنْ مَقُولِ الْحَقِّ ظَالِمُ
عَقَائِلِهِمْ فَوْقَ الطُّغْيَانِ تَوَثَّبُ
لَهُمْ هَاهُنَا تَصَوِيرُ أَصْدَقِ عَالَمٍ
بِهِمَّتِهِ سِرُّ الْحَقِيقَةِ يَكْتُبُ
لِسَانُ جَرَى التَّارِيخِ فِي كَلِمَاتِهِ
جَدَاوِلَ فِيهَا مَشْهَدُ الْأَمْسِ مَخْصَبُ

مشاهد يشدو هاشم وفروعه
 لهم في ذراها موكب ثم موكب
 أئمة هدي في السعيدة أشرقوا
 نجومها على صرح القلال تُصوب
 أبا أحمد هذى جهودك بيننا
 لأجيالنا فيها التراث المرجب
 حفظت لهم مجد الجدود وما بنوا
 وما شيدوه في الزمان واتجبوا
 تراث له استخرجت من كل موطن
 وجمعه والجمع مضمين ومتعب
 ولكنك الكرار لم تُلَفْ واهنا
 فعزمك للصخر الأصم مُنَوَّب
 سريت بأعماق الزمان بفكرة
 لها كشف السر المصون المحجب
 ولان لها الصعب الأبى وهكذا
 يلين لأرباب العزيمة مُصْنَعُ
 فجئت بتاريخ السعيدة تحفة
 بها كل أبناء البلاد يُرْحَبُ
 فكل فتى يلقي أباه وجده
 وقد برزوا فيما كتبت وصوبوا
 فحقك يارب البيان كما ترى
 يلين به التالي بنا والمعقب
 ففني كل قلب أنت نبض أباته
 وشخصك حي يتنا يتقلب
 تردده أفواهنا في حليثها
 وأفكارنا من حوله تتوؤب
 تقول هنا يغلو ويمضي محمد
 له مستقر في القلوب ومذهب
 أبا أحمد مامت فالشعب راحر
 بما خطه منك اليراع الملترب
 براع يرى في حلبة البحث سابقاً
 لشتى القضايا قانص متعقب
 بعثت به الماضي من عهد حمير
 مواكب منها يخطب الركب يعرب

ويظهر منها الصيدُ أبناءُ حاشد
 وكلُّ أبي بَلْبِيَّانٍ يُرْحَبُ
 فوارس همدان بن زيد ومَنْذُج
 غطارف مافيهم جبيسٌ مثلب
 أولئك أنصارُ النبي مُحَمَّد
 ومن قبَلِه شادوا الصروحَ وظنُّوا
 ومن بعده أنصارُ حيلرة الرضى
 سراة إذا قال اركبوا الهولَ يركبوا
 حفظت لأعصار الأئمة صورةً
 سيبقى بها التاريخ دوماً يشبب
 تراثيم فخر تملأ الدهر عزة
 إليها ترد المكرمات وتتسب
 تراثيم فخر أنت واضع لحنها
 ونحن بها نزهو ونشردو ونشربُ
 ستذكرها الأجيالُ ما ذرَّ شارقُ
 ومالاح إشعاع وما درَّ صَّيبُ
 أبا أحمدٍ خلفت أضخم ثروة
 فلا الموتُ يفنيها ولا الموت يسلب
 تراث عليه الشعبُ ضَمَّ جناحه
 وفي فكره ينمو جناهُ ويُخصب
 فما المال والجاهُ العريض بخالدُ
 فسرعان ما يَفْنَى وَيُسَى وَيَقْطُبُ
 ولكن بما خلفته أنت خالدُ
 يتبه به في الشعب شرقٌ ومغرب
 فَنَمَ في جوار الله نومة مصلح
 إلى روحه يسري الثناء المحبب

شهر ذى الحجة سنة ١٣٨٠

عبد الله عبد الوهاب المجاهد الشماحي

الفهرس

رقم الصفحة

- ٥ - بعض مصادر الكتاب
- ١١ - انقراض الدولة الرسولية وابتداء الدولة الطاهرية
- ١٢ - المطهر بن كثير الجمل
- ١٣ - يحيى بن أحمد مرغم
- ١٣ - أنباء سنة ٨٦٥ وما بعدها
- ١٥ - محمد بن الناصر
- ١٦ - محاصرة عامر بن ظافر لصنعاء وقتله بها وحالة بنى طاهر بعده
- ١٩ - أبو العطايا عبد الله بن يحيى
- ٢٠ - يحيى بن أحمد مظفر - مؤلف البيان
- ٢٠ - عبد الله بن مفتاح - شارح الأزهار
- ٢١ - عبد الله النجري
- ٢٣ - الإمام المطهر بن سليمان
- ٢٤ - الإمام إدريس الظفري
- ٢٤ - الإمام الناصر محمد بن يوسف
- ٢٥ - الإمام الهادي عز الدين بن الحسن
- ٢٦ - أحمد بن محمد الخالدي
- ٢٧ - علي بن موسى الدواري
- ٢٧ - علي الشظبي
- ٢٨ - علي بن محمد البكري
- ٣٠ - وفاة الملك المجاهد علي بن طاهر
- ٣١ - المنصور عبد الوهاب بن داود
- ٣٢ - احتراق المسجد النبوي
- ٣٢ - السيل العظيم بمكة
- ٣٢ - اضطرابات في تهامة
- ٣٣ - عنبرة في شاطئ ابن

رقم الصفحة

- ٣٣ - يحيى بن صالح العلفي
٣٣ - الحسن بن علي بن المؤيد
٣٤ - يحيى بن أبي بكر العامري
٣٤ - شمس الحور بنت الهادي بن الوزير
٣٥ - بدرة بنت محمد بن علي
٣٥ - والدتها فاطمة بنت الحسن
٣٥ - وأمها كردية بنت الأسد
٣٧ - فاطمة بنت عبد الله بن الهادي
٣٧ - فاطمة بنت المهدي علي
٣٨ - الملك المنصور عبد الوهاب
٣٩ - الملك عامر عبد الوهاب
٤٠ - محمد بن عبد الله الوزير
٤١ - مريم بنت الناصر
٤٢ - الناصر الحسن بن عز الدين
٤٣ - المنصور محمد بن علي الوشلي
٤٤ - صلاح بن يوسف
٤٤ - شمس الدين بن المهدي
٤٥ - قتل يهودي ممّوه
٤٥ - قاسم شريف عامر - ومسجد القاسمي
٤٦ - نهوض عامر إلى صنعاء
٤٧ - وفاه محمد بن الناصر
٤٨ - علي بن أحمد الشظبي
٥٠ - سجن الإمام الوشلي وموته
٥١ - فاطمة زوجة الإمام شرف الدين
٥٢ - زوجته الثانية الشاعرة

رقم الصفحة

| | |
|----|--|
| ٥٤ | - محمد حسن حميد |
| ٥٥ | - الإمام المتوكل يحيى شرف الدين |
| ٥٩ | - الشراكسة في السواحل |
| ٦٠ | - صارم الدين الوزير |
| ٦٢ | - أبو بكر العيدروس |
| ٦٢ | - عباس بن على إسحق |
| ٦٣ | - محمد بن حسين الجوفي |
| ٦٤ | - أحمد بن إبراهيم الوزير |
| ٦٥ | - أحمد الشاوري - خطيب صنعاء |
| ٦٧ | - البرتغال في السواحل اليمنية |
| ٦٨ | - عبد الله الناظري |
| ٦٨ | - الشراكسة في كمران |
| ٦٩ | - مكاتبة الإمام لهم |
| ٧١ | - استيلاؤهم على زيد |
| ٧٣ | - آخر تقدم للسلطان عامر |
| ٧٤ | - استيلاء الشراكسة على صنعاء وقتل عامر |
| ٧٥ | - حسنات السلطان عامر وسيئاته |
| ٧٦ | - نهوض الإمام شرف الدين لقتال الشراكسة |
| ٧٨ | - دخوله صنعاء وتهنته |
| ٧٩ | - الهادي الصغير الوزير |
| ٨١ | - موسى بن زين العابدين مفتى زيد |
| ٨١ | - تقي الدين جمعان |
| ٨١ | - بعد دخول الإمام صنعاء |
| ٨٢ | - اول غزوة للمطهر |
| ٨٢ | - فتح كوكبان وغيره |

رقم الصفحة

| | |
|-----|--|
| ٨٣ | - أحمد بن علي بن الهادي |
| ٨٤ | - ناصر بن يحيى بن محمد |
| ٨٤ | - الاستيلاء على بلاد المؤيدي |
| ٨٥ | - مسير المطهر إلى جبل تيس وغيره |
| ٨٥ | - مسجد المدرسة وقصر دمار وفتح ذي مرمر وقراءة البحر |
| ٨٦ | - محمد بن أحمد مظفر |
| ٨٧ | - علي بن شمس الدين |
| ٨٨ | - فتح القاهرة عاثن والصلح مع الحمزات |
| ٨٩ | - فساد ذبيان السفيناني وقتله |
| ٨٩ | - وفاة الحسن بن عز الدين |
| ٨٩ | - دعوة مجد الدين |
| ٩٠ | - أحمد عمر المزجد الزبيدي |
| ٩١ | - محمد بحرق الحضرمي |
| ٩١ | - فتح طيبة |
| ٩٢ | - محمد بن أحمد مرغم |
| ٩٣ | - المرتضى بن القاسم |
| ٩٤ | - أطماع العثمانيين في اليمن |
| ٩٤ | - عبد الهادي السوداني التعزي |
| ٩٥ | - قضاء الأتراك على الطاهري |
| ٩٦ | - الطاعون بصنعاء وغيرها |
| ٩٧ | - حروب خولان |
| ٩٨ | - عبد الله مسعود الحوالي |
| ٩٨ | - خلاف الحمزات وآل المؤيدي |
| ٩٨ | - حروب الجوف وصعدة |
| ١٠٠ | - قراءة شرح الأثمار |

رقم الصفحة

- ١٠١ - أحمد بن الإمام عز الدين
- ١٠١ - فتح برط
- ١٠٢ - غزوة موكل
- ١٠٣ - الإمام مجد الدين
- ١٠٤ - فتح طهران عسير وزيد وحدود عدن وحراز
- ١٠٥ - عبد الرحمن الديبع
- ١٠٦ - إبراهيم مهدى جحاف
- ١٠٦ - الأتراك في عدن وقتلهم آخر أمير طاهري
- ١٠٧ - تقرير الذميين باليمن
- ١٠٧ - إخضاع وادعة
- ١٠٨ - الاحتفال بتفسير ابن بهران
- ١٠٨ - انهزام الاتراك عن تعز
- ١١٠ - فتوحات لشمس الدين
- ١١١ - عهد الإمام لأولاده
- ١١١ - عبد الله مخزومة العدني
- ١١١ - فتنة حسن بهلوان
- ١١٢ - ظهور القات والبن
- ١١٣ - بحث طويل في القات
- ١١٦ - لم يثبت أنه مخدر ولاضار
- ١١٦ - الإكثار منه مذموم
- ١١٧ - القول بأنه حرام خطر
- ١١٧ - حوار قسطنطين يني وأدباء اليمن
- ١٢٠ - جواب عبد الكريم مطهر
- ١٢٣ - جواب عبد الله بن إبراهيم
- ١٢٤ - جواب زيد الديلمي

رقم الصفحة

- ١٢٥ - جواب محمد بن عبد الرحمن شرف الدين
- ١٢٦ - جواب الإمام وولى عهده
- ١٣٠ - تشطير قسطنطين (ادرغصونا)
- ١٣٣ - تخاميس (ادرغصونا)
- ١٣٧ - ندوة عن القات بمركز الدراسات
- ١٤٧ - عبد القيوم بن الإمام
- ١٤٩ - ابتداء نقص دولة الإمام
- ١٤٩ - خلاف المطهر وشمس الدين
- ١٥٠ - نهوض الأتراك إلى تعز
- ١٥١ - إستعطاف الإمام للمطهر
- ١٥١ - أسباب الخلاف المدمر
- ١٥٣ - دخول المطهر صنعاء
- ١٥٣ - استيلاء الأتراك على تعز وعدن
- ١٥٤ - فظائع أزدمر بصنعاء
- ١٥٥ - أسر عز الدين وموته بينبع
- ١٥٧ - حرب المطهر وازدمر
- ١٥٧ - حروب البون
- ١٥٩ - محمد بن يحيى القاسمي
- ١٦٠ - محمد بن يحيى بهران
- ١٦١ - الجَد في الجَد . إلخ
- ١٦٥ - مصطفى نشار باشا
- ١٦٥ - مكاتبة السلطان والمطهر
- ١٦٨ - قيام الإمام أحمد بن عز الدين
- ١٦٩ - حروب وخطوب ثلا
- ١٧٠ - السرداب إلى ثلا

رقم الصفحة

- ١٧٠ - الصلح بين الفريقين
- ١٧١ - علي رافع وأخوه محمد
- ١٧٢ - المهدي الحسن بن حمزة
- ١٧٤ - عزل ازدمر ووصول مصطفى
- ١٧٤ - تصالح المطهر وشمس الدين
- ١٧٥ - وفاة شمس الدين
- ١٧٧ - الطاعون ووفاة الإمام شرف الدين
- ١٧٩ - عبد الرحمن التبريزي
- ١٨٠ - عزل مصطفى بمحمود باشا
- ١٨٠ - والد الإمام القاسم
- ١٨١ - قتل محمود للنظاري
- ١٨١ - الأمير الكذوب
- ١٨١ - قتل الأمير إسكندر الكردي
- ١٨٢ - صلاح بن شمس الدين
- ١٨٢ - عزل محمود برضوان باشا ونقضه للصلح
- ١٨٤ - عبد الله بن الإمام
- ١٨٩ - محمد بن عز الدين المؤيدي
- ١٨٩ - محمد الحاج الذبيني
- ١٨٩ - بهرام نائب صعدة
- ١٩٠ - انتصارات المطهر على الترك
- ١٩١ - حروب صنعاء وقتل مراد باشا
- ١٩٢ - استيلاء المطهر على اليمن
- ١٩٢ - صالح النمازي
- ١٩٣ - حسن حنش
- ١٩٥ - حروب زبيد

رقم الصفحة

| | |
|-----|---|
| ١٩٦ | - حروب تعز |
| ١٩٧ | - وصول سنان باشا |
| ١٩٧ | - خروج المطهر من صنعاء ودخول سنان إليها |
| ١٩٨ | - حروب ثلا وكوكبان |
| ١٩٩ | - صلح محمد بن شمس الدين وسنان |
| ٢٠٠ | - رسائل المطهر في الجهاد |
| ٢٠١ | - صلح سنان مع المطهر ووصول بهرام |
| ٢٠٢ | - موت علي بن الإمام وترجمته |
| ٢٠٧ | - جد الإمام القاسم |
| ٢٠٧ | - انفصال سنان عن اليمن |
| ٢٠٧ | - مظالم بهرام |
| ٢٠٨ | - وفاة المطهر كريماً |
| ٢١٠ | - المحتسبان : العابد والعالم |
| ٢١٣ | - عبد الله بن القاسم العلوي |
| ٢١٧ | - عمر الناشري ، وجمعة رجب |
| ٢١٨ | - الناشريون فقهاء تهامة |
| ٢١٩ | - الناشريون الحنسيون |
| ٢١٩ | - المطهر بن محمد الحمزي |
| ٢١٩ | - عبد الله الورد وعبد الله الحوالي |
| ٢٢٠ | - إبراهيم بن أحمد الورد |
| ٢٢٠ | - الحسين بن محمد المسوري |
| ٢٣٠ | - قتل أمير تعز |
| ٢٣١ | - أحمد بن عبد الله الوزير |
| ٢٣٢ | - تباعد آل الوزير عن الإمارة |
| ٢٣٥ | - الإمام الناصر الحسن بن علي المؤيدي |

رقم الصفحة

- ٢٣٦ - طاعة أكثر أولاد المطهر له
- ٢٣٧ - انتفاض الحمزات والمؤيدي على الإمام
- ٢٣٧ - عزل مراد بالوزير حسن
- ٢٣٨ - محمد بن علي عمر الضمدي
- ٢٣٩ - يحيى حميد - صاحب الفتح
- ٢٤٠ - حوادث سنة ٩٩١ وسنة ٩٩٢
- ٢٤١ - قتل عبد الرحمن بن المطهر
- ٢٤١ - محمد بن شمس الدين
- ٢٤٢ - حوادث سنة ٩٩٣
- ٢٤٣ - أسر أولاد المطهر
- ٢٤٣ - المسير بهم وبالإمام إلى السلطنة
- ٢٤٥ - الإمام عبد الله المؤيدي أبو علامة
- ٢٤٧ - استفتاح الأتراك لشهارة
- ٢٤٧ - كتاب لطف الله بن المطهر من استانبول إلى أهله بصنعاء
- ٢٥٤ - ظهور التتن سنة ٩٩٩هـ
- ٢٥٤ - شرف الدين العيزري
- ٢٥٥ - حوادث سنة ١٠٠٠هـ وانتهاء الجزء الثالث
- ٢٥٧ - تقرير الشماحي لكتب زبارة في عدة صفحات
- ٢٦٥ - الفهرست